تحية جمال عبد الناصر

ذكريات معه







ذكرياتٌ معه

الطبعة الأولى ٢٠١١

رقم الإيداع ٢١٠٨/ ٢٠١١
ISBN: 978-977-09-2999-6

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)+
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

تحية جمال عبد الناصر

ذكريات معه

دار الشروق

المحتويات

بعد الرحيل

اليوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٧٣.. بعد أربعة أيام ستكون الذكرى الثالثة لرحيل القائد الخالد جمال عبد الناصر.. زوجي الحبيب. لم تمر عليَّ دقائق إلا وأنا حزينة.. وهو أمام عيني في كل لحظة عشتها معه.. صوته.. صورته المشرقة.. إنسانياته.. كفاحه.. جهاده.. كلامه.. أقواله.. خطبه.

مع الذكريات أبكيه بالدموع أو أختنق بالبكاء، وحتى إذا ضحكت فشعوري بأني مختنقة بالبكاء مستمر.

لقد عشت مع جمال عبد الناصر ثماني سنوات قبل الثورة، وثمانية عشر عامًا بعد قيامها في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.

لقد تزوجنا في ٢٩ يونيو سنة ١٩٤٤.. أي عشت معه ستة وعشرين عامًا وثلاثة أشهر.. فبالنسبة لي الآن أعيش مرحلة ما بعد رحيله.

لقد عشت معه مرحلتين قبل الثورة وبعدها، والمرحلة الثالثة هي التي أعيشها بعد رحيله ولم يرها.. آه ما أصعبها.. يا لها من مرحلة قاسية من كل الوجوه.

فراقه وافتقادي له.. لم أفتقد أي شيء إلا هو، ولم تهزني الثمانية عشر عامًا إلا أنه زوجي الحبيب.. أي لا رئاسة الجمهورية ولا حرم رئيس الجمهورية.

لقد عشت هذه السنين الطويلة قبل رحيل الرئيس (لقد اعتدت أن أقول الرئيس لأني أشعر بأني لا أستطيع أن أقول غير الرئيس، وسأظل أقولها).. كانت مليئة بالمفاجآت، بل كانت كلها مفاجآت وأحداثًا، لكنها بالنسبة لي لم تكن صعبة، بل

كنت سعيدة مرحة. وفي أصعب المآزق التي كنت أشاهدها كنت أحيانًا أضحك من المصيبة التي ربما تحل بي، لكنها والحمد لله كلها مرت على خير.

لقد فكرت في الكتابة عن حياتي مع جمال عبد الناصر في أول مرة، وكان في سوريا أيام الوحدة في سنة ١٩٥٩ وقت عيد الوحدة، وأمضيت ما يقرب من ثلاث سنوات أكتب باستمرار عمّا مضى وعن الحاضر، لكني في يوم قلت: لِمَ أكتب؟ وكان الرئيس يعلم أني أكتب ومرحبًا.

غيرت رأيي وقلت في نفسي: لا أريد أن أكتب شيئًا، وتخلصت مما كتبت، وأخبرت الرئيس، فتأسف وقال لي: لم فعلت ذلك؟ فقلت له: إني سعيدة كما أنا ولا أريد أن أكتب شيئًا. وقلت: ربما تكلمت عن حقائق تحرج بعض الناس، وتكون متصلة بحقائق كنت أراها تدور أمامي. فقال لي: افعلي ما يريحك. إنني كتبت عمّا أذكره من مواقف ومفاجآت مما كان يحصل في بيتنا، وما كنت أسمعه وأشاهده بعيني، وما كان يقوله لي الرئيس. وقررت ألّا أكتب أبدًا، وقلت له: أنا مالي؟!.. وضحكنا.

في العام الماضي قررت أن أكتب وأنا أعلم جيدًا أن الرئيس كان آسفًا لأني لم أستمر في الكتابة وتخلصت مما كتبت، فأنا أعيش الآن وكأنه موجود بجانبي لا أتصرف أو أفعل شيئًا كان لا يحبه، ولو كنت أعلم أنه لا يريدني أن أكتب شيئًا ما فعلت.

بدأت أكتب وأعيش مع ذكرياتي، لكني لم أتحمل فكنت أنفعل والدموع تنهمر، وصحتي لم تتحمل، فوضعت القلم وقلت: سأتوقف عن الكتابة، ولأبق حتى أرقد بجانبه.. وتخلصت مما كتبت مرة ثانية. لكني وجدت أن لي رغبة في الكتابة في ذكراه الثالثة.. فلأتحمل كل ما يحصل لي. بما أني أتكلم الآن عن المرحلة الثالثة.. أي بعد رحيل الرئيس، فلأتحدث..

فأنا أعيش في منشية البكري.. في بيت الرئيس جمال عبد الناصر مع أصغر أبنائي عبد الحكيم - الطالب بكلية الهندسة جامعة القاهرة - ويبلغ من العمر الآن ثمانية عشر عامًا وثمانية أشهر، وهو الذي طلب مني أن أكتب وألح في أنه متشوق لمعرفة كل شيء عن والده العظيم.

وكان حكيم قد طلب من المسئولين شرائط خطب والده ليسمعها، لأنه لم يكن عنده فرصة لسماع كل أقوال القائد الخالد بصوته، إذ كان طفلًا، وبعضها قبل أن يولد.. إنه هو الذي يسعى بنفسه في الحصول عليها، فقد طلب أولًا من رئيس الوزراء وهو صديق لنجله فوعده، وطلب من رئيس الجمهورية وقابله بنفسه ووعده، وسألني أن أشتري الشرائط لتسجلها الإذاعة، فقلت له: إني على استعداد لأن أدفع أي ثمن. وأخيرًا قابلت وزير الثقافة مصادفة فسألته عن الشرائط، فقال لي: لم يطلب مني أحد، ووعدني بأنه سينظر في الأمر.. أرجو أن تصل ابني عبد الحكيم الشرائط قريبًا إن شاء الله.

بعد رحيل الرئيس ألاقي تكريمًا معنويًّا كبيرًا من كل المواطنين الأعزاء، فجمال عبد الناصر في قلوبهم. وما يصلني من البرقيات والرسائل والشعر والنثر والكتب الكثيرة من أبناء مصر الأعزاء، ومن جميع الدول العربية والغربية أي من كل العالم، وما يصلني من البرقيات لدعوتي للسفر لزيارتهم من رؤساء الدول الصديقة، وتكرار الدعوة أو زيارتهم لي عند حضور أحد منهم، أو إرسال مندوبين عنهم من الوزراء ليبلغوني الدعوة.. لدليل التقدير والوفاء.

وعندما أخرج أرى عيون الناس حولي.. منهم من يلوح لي بيده تحية، ومنهم من ينظر لي بحزن، وأرى الوفاء والتقدير في نظراتهم.. كم أنا شاكرة لهم.

وأحيانًا أكون في السيارة والدموع في عيني فتمر عربة بجانبي يحييني من فيها.. أشعر بامتنان. وغالبا ما أكون قد مررت على جامع جمال عبد الناصر بمنشية البكري.

إني أرى هذه التحية لجمال عبد الناصر.. وكل ما ألاقيه من تقدير فهو له.

جمال يتقدم لخطبة تحية

فلأتكلم الآن عن ذكريات من حياتي مع جمال عبد الناصر.. كيف عرفني وتزوجني؟

كانت عائلتي على صداقة قديمة مع عائلته، وكان يحضر مع عمه وزوجته التي كانت صديقة لوالدتي، ويقابل شقيقي الثاني، وأحيانًا كان يراني ويسلم عليّ. فعندما أراد أن يتزوج أرسل عمه وزوجته ليخطباني، وكان وقتها برتبة يوزباشي، فقال أخي - وكان بعد وفاة أبي يَعُد نفسه ولي أمري - إن شقيقتي التي تكبرني لم تتزوج بعد. وكان هذا رأي جمال أيضًا، وقال: إنه لا يريد أن يتزوج إلا بعد زواج شقيقتي.. إن شاء الله يتم الزواج.. وبعد حوالي سنة تزوجت شقيقتي.

بعدها لم يوافق أخي على زواجي.. لقد كانت تقاليد العائلة في نظري أن لي الحق في رفض من لا أريده ولكن ليس لي الحق في أن أتزوج من أريده، وكنت في قرارة نفسي أريد أن أتزوج اليوزباشي جمال عبد الناصر.

بعد شهور قليلة توفيت والدتي فأصبحت أعيش مع أخي وحيدة إذ كان أخي الثاني في الخارج.

كان أخي يتولى إدارة ما تركه أبي الذي كان على جانب من الثراء، وكان أخي مثقفًا إذ كان من خريجي كلية التجارة أي يحمل «بكالوريوس»، ويشتغل في التجارة والأعمال المالية والصفقات في البورصة، وكان شديدًا في البيت.. محافظًا لأقصى حد.. لكنه في الخارج كانت له حياته الخاصة.

مكثت مع أخي بضعة شهور وأنا وحيدة تزورني شقيقاتي من وقت لآخر. وفي يوم زارتنا شقيقتي وقالت: إن عم اليوزباشي جمال عبد الناصر وزوجته زاراها وسألا عني، وقالا لها: إن «جمال» يريد الزواج من تحية، وطلبا منها أن تبلغ أخي.. فرحب أخي وقال: إننا أصدقاء قدماء وأكثر من أقارب. وحدد ميعادا لمقابلتهم، وكان يوم ١٤ يناير سنة ١٩٤٤.

قابلت جمال مع أخي، وتم تحديد الخطوبة ولبس الدبل والمهر وكل مقدمات الزواج بعد أسبوع. وطبعًا كان الحديث بعد أن جلست في الصالون فترة وخرجت. وفي يوم ٢١ يناير سنة ١٩٤٤ أقام أخي حفل عشاء.. دعونا أقاربي، وحضر والده وطبعًا عمه وزوجته، وألبسني الدبلة وقال لي إنه كتب التاريخ يوم ١٤ يناير.. وكان يقصد أول يوم أتى لزيارتي.. ثم أضاف أنه عندما زارنا لم يحضر لرؤيتي هل أعجبه أم لا - كما كانت العادة في ذلك الوقت - هذا ما فهمته من كلامه معي.

قال له أخي: إن عقد القران يكون يوم الزفاف بعد إعداد المسكن، على أن يحضر مرة في الأسبوع بحضور شقيقتي أكبرنا أو بحضوره هو. وطبعًا كان وجود أخي في البيت قليلًا فكانت شقيقتي تحضر قبل وصوله. وقبل جمال كل ما أملاه عليه أخي، وقد أبدى رغبة في الخروج معي طبعًا بصحبة شقيقتي وزوجها فلم يمانع أخي.

لاحظت أنه لا يحب الخروج لنذهب لمكان مجرد قعدة أو نتمشى في مكان، بل كان يفضل السينما وأحيانًا المسرح.. وكان الريحاني، وكنت لم أر إلا القليل فكل شيء كان بالنسبة لي جديدًا.. أي لا يضيع وقتًا هباء بدون عمل شيء.. وكل الخروج كان بالتاكسي، والمكان الذي نذهب إليه السينما أو المسرح يكون بنوار أو لوج، وكنا نتناول العشاء في بيتنا بعد رجوعنا.

بعد خمسة أشهر ونصف تم زفافي لليوزباشي جمال عبد الناصر.. يوم ٢٩ يونية سنة ١٩٤٤.

أقام لي أخي حفل زفاف.. بعد عقد القران مباشرة خرجت مع جمال للذهاب للمصور «أرمان»، وكان قد حجز موعدًا من قبل. كانت أول مرة أخرج معه بدون

شقيقتي وزوجها. ملأنا عربة بأكاليل الورد لتظهر في الصورة، وقد نشرت بعد رحيله في السجل الخاص بصور جمال عبد الناصر الذي قدمه الأهرام.

رجعنا البيت لنقضي السهرة، وفي الساعة الواحدة صباحًا انصرف المدعوون وانتهى حفل الزفاف.. وكنا جالسين في الصالون - هو وأنا - فدخل شقيقي ونظر في ساعته وقال: الساعة الآن الواحدة فلتبقوا ساعة أخرى أي حتى الساعة الثانية. ولم يكن هناك أحد حتى أقاربي روحوا، وكان باديًا عليه التأثر فقال له جمال: سنبقى معك حتى تقول لنا روحوا.

وفي الساعة الثانية صباحًا قام أخي وبكى، وسلم عليّ وقبلني وقال: فلتذهبا.. أما أنا فانحدرت من عيني دمعة صغيرة تأثر لها جمال.

وأذكر في مرة وكنا جالسين على السفرة وقت الغداء وكل أولادنا موجودون وجاءت ذكرى أخي فقال الرئيس لأولاده وهو يضحك: الوحيد في العالم الذي أملى عليّ شروطا وقبلتها هو عبد الحميد كاظم.. وضحكنا كلنا.

إلى منزل الزوجية

لم أكن رأيت المسكن من قبل ولا الفرش أو الجهاز كما يسمونه، وكان في الدور الثالث. صعدنا السلالم حتى الدور الثاني، ثم حملني حتى الدورالثالث.. مسكننا، وكان طابقا بأكمله، وله ثلاثة أبواب.. باب على اليمين وباب على اليسار وباب على الصالة. الأول يوصل لحجرة السفرة، والثاني لحجرة الجلوس، والثالث.. وهو باب الصالة في الوسط. وجدنا البيت كله مضاءً.. مكونًا من خمس غرف. أمسك جمال بيدي وأدخلني كل حجرات المنزل لأتفرج عليه، وقد أعجبني كل شيء وأنا في غاية السعادة.

صرفت في تأثيث المنزل مما ورثته من أبي.. وكان لا يقارن بثراء أخي.

بدأت حياتي بسعادة مع زوجي الحبيب، وكنا نعيش ببساطة بمرتب جمال.. وتركت أخي وثراءه، ولم أفتقد أي شيء حتى التلفون.. لم أشعر بأن هناك شيئًا ناقصًا ونسيته.

أول مرة خرجت كانت بعد ثلاثة أيام من زواجنا.. ذهبنا للمصور أرمان لنرى بروفة الصور، وكانت اثنتين. قال لي جمال: اختاري التي تعجبك.. واخترت الصورة التي هي معلقة في صالون في منشية البكري مع صور أولادنا الآن.

التحضير لامتحان القبول في كلية أركان حرب

كنا في إجازة طويلة إذ كان جمال يشغل منصب مدرس في الكلية الحربية.. قال لي إنه سيبدأ المذاكرة في أول نوفمبر ليحضر لامتحان القبول في كلية أركان حرب.

مكثنا أسبوعين في القاهرة.. كنا كأي زوجين نخرج ونستقبل الزوار.. أغلبهم من الأقارب يحضرون للتهنئة، ولاحظت أنه يفضل السينما.. وأنا أيضًا أفضلها.

بعد أسبوعين سافرنا إلى إسكندرية ومكثنا هناك أسبوعين. كانت الإسكندرية في ذلك الوقت مليئة بالإنجليز إذ لم تكن الحرب قد انتهت بعد.. فكانت الأماكن مزدحمة والشوارع تكاد تكون مظلمة بسبب الحرب والغارات، وأذكر مرة أننا كنا نمشي على الكورنيش، وكان مظلمًا وأنا خائفة، وأنا أرى الإنجليز يمشون بكثرة.. فكان يضحك ويقول: كيف تخافين؟!

رجعنا للقاهرة وكنا ما زلنا في الإجازة نخرج سويًّا، وزرنا شقيقاتي، وكانت شقيقتي التي تزوجت قبلي في المستشفى حيث وضعت طفلة (ليلى).. بعد عشرين عاما حضر الرئيس والمشير حفلة زواجها، وكانا شاهدي عقد القران.

كانت زياراتي لأخواتي قليلة جدًّا وهن يسكن الجيزة، ولم يكن سكن أخي بعيدًا مثل الجيزة لكن وجوده في البيت كان قليلًا.

لم يزرنا أحد من أصدقائه الضباط وقال: إنه أخبرهم بأنه سوف لا يتصل بأحد منهم طول مدة الإجازة، فكل وقته كان يقضيه معي.. والصديق الذي ذكر اسمه أمامي وقال إنه كان معه في منقباد هو عبد الحكيم عامر، وقال: إنه الآن في بلده المنيا مع

زوجته يقضي الإجازة. وقد أخبره أيضًا ألّا يتصل به أو يزوره إلا بعد انتهاء الإجازة. انتهت الإجازة وابتدأت زيارات الضباط.. وحضر عبد الحكيم عامر من المنيا وزار جمال في البيت.

كان رأي جمال في الاختلاط أنه لا يحبه.. بمعنى أن الضباط والأصدقاء يحضرون ومعهم زوجاتهم وأجلس معهم.. بل كان إذا حضر أحد ومعه زوجته يقابله بمفرده ويصافحه ثم يصطحب الزوجة إلى الصالة ويدخل لي في الحجرة ويقول: توجد سيدة في الصالة فلتسلمي عليها وتجلسي معها حتى تنتهي زيارة زوجها. وكنت غالبًا لا أسلم على الضيف إذ كان يخرج من باب الصالون وتخرج زوجته وينصرفان. فإذا أراد جمال أن أزورها يقول لي أن أذهب لزيارتها بمفردي.. فطبعًا إذا زارتني السيدة مرة أخرى تزورني بمفردها، ولا يتكرر حضور الضيف مع زوجته.

اليوزباشي جمال عبد الناصر مدرس في الكلية الحربية وله نوبتشية.. أي يبيت مرة في الأسبوع في الكلية، وأحيانًا مرة في أكثر من أسبوع حسب نوبات المدرسين. عند ذهابه للكلية في الصباح، أحيانًا يخرج مبكرًا جدًّا لدرجة أنه كان يستعمل بطارية صغيرة عند نزوله السلالم ويضعها في جيبه. ورغم أنه يوجد في السلالم إضاءة إلا أنه كان يستعمل البطارية، وكان يطلب مني ألّا أقوم ولا أجهز شيئًا وبإلحاح لدرجة أني كنت أشعر بأني إذا قمت سأضايقه. ويقول: سوف أتناول إفطاري في الكلية. وأحيانًا يخرج متأخرًا يعني قبل الثامنة بقليل فالكلية قريبة من منزلنا.

كان منظمًا في كل شيء، ولا يحب أن يساعده أحد في لبسه، وكان عند رجوعه البيت يخلع البدلة ويعلقها بنفسه على الشماعة ويضعها في الدولاب، ودائمًا في حجرة النوم الشماعة التي هي قطعة من موبيليا الحجرة وما زالت موجودة في حجرته، وهي مصممة بحيث يسهل وضع الملابس عليها، وكنت أبدي رغبتي في مساعدته، لكنه كان لا يقبل.

بدأ شهر نوفمبر.. وبالتحديد في أول يوم منه، وبدأ جمال في المذاكرة.. يرجع من الكلية الساعة الواحدة بعد الظهر أو بعدها بقليل ونتناول الغداء في الواحدة والنصف. وأيام يرجع للكلية بعد الظهر، وأيام يظل في البيت حسب نظام التدريس.

نظام وقت المذاكرة.. يبدأ الساعة الثالثة بعد الظهر حتى المغرب أو بعده بقليل، ثم يحضر زوار وأغلبهم من الضباط، يقابلهم ويجلس معهم ولا يحضرون كلهم مع بعض.. يعني واحد يجيء وواحد يذهب، وأحيانًا يكونون اثنين أو ثلاثة مع بعض، ثم بعد ذلك إما أن يبقى في البيت وإما أن يخرج بمفرده أو مع زائر أو اثنين. وابتدأت أميز الأصوات، وعرفت صوت عبد الحكيم عامر إذ كانت له طريقة في كلامه وضحكه.. وكان جمال يرجع إلى البيت إما مبكرًا وإما متأخرا لكن لا يتأخر كثيرًا.

كانت المذاكرة في حجرة السفرة.. يضع الدوسيهات والمراجع والأوراق وخرامة الأوراق إذ كان يعد الدوسيه الذي سيذاكر فيه بنظام وترتيب. ولاحظت أنه يكتب كثيرًا في مذاكرته، ويتناول العشاء معي إذا كان في البيت ولم يخرج أو خرج ورجع مبكرًا.

وعندما يقترب موعد الامتحان كان يظل يذاكر حتى الصباح، ويتناول عشاءه ساندويتش أثناء المذاكرة. قال لي: إن دخول كلية أركان حرب ليس بالسهل، وأصعب شيء فيها هو دخولها إذ العلوم كلها باللغة الإنجليزية والمدرسون إنجليز، وكل سنة يتقدم عدد كبير من الضباط ولا ينجح إلا عدد قليل إذ كان الامتحان على مرتين.. يعني تصفية. أول امتحان ينجح عدد ثم الثاني ينجح منهم عدد ويرسب عدد، وعلى ذلك فلا يدخل كلية أركان حرب كل سنة إلا عدد قليل، وأول امتحان كان في شهر مايو يعني بعد ستة أشهر.

كان يتردد عليه الضباط أحيانًا وهو يذاكر، فكنت أراه يسمع خبطة الباب فيفتح الباب من حجرة السفرة، وأراه يدخل الصالة ثم يدخل الصالون ويُدْخِل الضيف من باب الصالون الذي على السلالم، ثم يحضر ضيف آخر يخبط الباب فألاحظ أنه يخرج إلى الصالة ويدخل حجرة السفرة ويُدْخِل الضيف الآخر حجرة السفرة من بابها، ويمكث مع أحد الضيفين فترة حتى يذهب وغالبا لا يمكث كثيرًا، ثم يذهب للضيف الآخر أي لا يجمع بين الاثنين، ثم بعد ذلك يرجع للمذاكرة. كان بعض الضباط يحضرون ويمكثون في حجرة السفرة معه وهو يذاكر، وهم يذاكرون معه أحيانًا. وكان يجهز الدوسيهات الخاصة بكلية أركان حرب من المراجع الكبيرة الكثيرة التي كانت أغلبها

باللغة الإنجليزية. وكنت أسمع خرامة الأوراق وهي «تتكتك» لترتيب الدوسيهات، وإذا سمعت حديثا - وبعضهم يكون صوته عاليًا - يكون كله عن العلوم، وأكثرهم مذاكرة معه صديقه عبد الحكيم عامر.

كان يخرج معي يومًا في الأسبوع وغالبًا إلى السينما، وكان الموسم قد ابتدأ بالأفلام الجديدة في سينما مترو، ريفولي إلى آخره... فكان يحجز التذاكر من قبل ليختار المكان الذي يفضله، ويطلب أن أكون جاهزة للخروج في وقت يحدده لي، وذلك بدون أن أطلب منه الخروج معه، بل هو نفسه الذي رتب يومًا للخروج معي. استمر الحال على ذلك حتى شهر مايو، ودخل الامتحان ونجح وكان ترتيبه الرابع، وهو كما قال لي امتحان تصفية.

يكره نظام «المراسلة»

ابتدأت أشعر بحمل فاصطحبني لدكتور مشهور، فقال لي: إنه يجب أن يتابعني مدة الحمل. فكان جمال يذهب معي كل شهر حسب تعليماته. لم يكن عندنا مراسلة، أي العسكري الذي يكون مع الضابط في منزله، إذ كان جمال يكره نظام «المراسلة» ويقول: إنه نظام خاص بالضابط فقط، لكن البعض - وهم الأغلبية - يعاملونهم كخدم للأسرة وأكثر، لأنه لا يملك أن يشتكي أو يتظلم إذا ثقل عليه الشغل أو عومل بقسوة أو أن يترك المنزل ويبحث عن شغلة أخرى، وكنت على رأيه، كما كان يعتبر أن في الطريقة هذه امتهانا لكرامة وعزة الجندى.

كنت أقوم بتجهيز البدلة الرسمية بنفسى.. النجوم والأزرار أعطيها للشغالة تلمعها، وأنا أركبها في البدلة إذ كانت في ذلك الوقت تركب بدبل نحاسية. وأذكر أنه مرة كان يزورني قبل الزفاف وكان يرتدي البدلة العسكرية.. فسألته عن النجوم التي على الأكتاف وكيف هي معلقة.. فأدار الجزء الملحق بكتف البدلة وأراني فوجدتها دبلا نحاسية تعلق من ثقوب صغيرة بالنجمة التي بها زردية صغيرة وقال: ها هي ذي.. وطبعًا ضحكنا.

سافرت الشغالة لبلدها في الريف، وكان لا بد أن يكون أحد في المنزل، فأحضر جمال مراسله وقال لي: إنه خاص به يقوم بلوازمه ويشتري لنا ما يلزمنا فقط. فكنت أنفذ رغبات جمال بدقة وأنا سعيدة ومقتنعة بكل شيء يقوله. وكان المجندون في ذلك الوقت من أسر فقيرة أو أولاد الفلاحين المعدمين الذين يشتغلون في أراضي الملاك الأغنياء، ولم يستطيعوا أن يدفعوا عشرين جنيها (البدلية).

استمر جمال في المذاكرة لدخول الامتحان في ديسمبر والضباط وغير الضباط يحضرون واحدا بعد الآخر أو كلّ اثنين، وأحيانًا يجتمع عدد كبير يملأ الصالون ويمكثون وقتا طويلا، وعند حضورهم لا يحضرون في وقت واحد ولا ينصرفون في نفس الوقت أيضًا. وهذه الاجتماعات كانت على فترات أكثر من أسبوع، فكان في الأيام الأخيرة قبل الامتحان يذاكر حتى الصباح، وكان عدد من الضباط يحضرون ويدخلون حجرة السفرة، وأكثرهم مذاكرة معه عبد الحكيم عامر، وفي مرة أحضر معه زوجته لتبقى معي وهو يذاكر مع جمال. وفي الأيام الأخيرة قبل الامتحان حضر ضابط اسمه زكريا محيي الدين.. كان يدخل لجمال وهو يذاكر في حجرة السفرة، وكنت أسمعه وهو يدقق في فهم العلوم ويكرر، وقد ميزت صوته أيضًا من تدقيقه في الفهم وترديده الجملة، وقال لي جمال عنه إن والده يملك عزبة وإنه لم يتزوج بعد، وكان يحضر بعربته الخاصة الجديدة.

امتحن المتقدمون لدخول كلية أركان حرب ونجح عدد قليل بالنسبة للمتقدمين، لا أذكر عددهم بالضبط لكنه لم يكن أكثر من ثلاثين.. نجح جمال وعبد الحكيم وزكريا.

مولد هدى

كنت في آخر أيام الحمل.. وعندما شعرت بأعراض الوضع وكان الوقت ليلا ذهبت مع جمال إلى مستشفى الدكتور المشهور الذي كان يباشر حالتي، وظل في المستشفى دون أن يخبر أحدا من أخواتي حتى الثامنة صباحًا وقت مولد هدى ابنتنا في ١٢ يناير سنة ١٩٤٦ . وبعد أن هنأني قال: سأخبر شقيقتك بالتليفون ثم أذهب للبيت لأنام.

دخل جمال كلية أركان حرب ومدة الدراسة سنتان..

قلَّت ساعات المذاكرة وازداد حضور الضيوف.. يجيئون في أي وقت بعد رجوعه من الكلية قبل الغداء وبعد الغداء وأثناء تناوله الغداء. وكان يدخلهم الصالون ويترك السفرة ويقول لي: فلتكملي غداءك وسآكل بعد ذلك، فكنت أنتهي من تناول الغداء وبعد خروج الضيف - وغالبًا لا يمكث إلا وقتًا قصيرًا - أسأله في تناول الغداء ولا يأكل إلا القليل، لكنه أبدًا ما أكل مرة ثانية.

كان يدخل حجرة النوم ليستريح بعد الغداء لكنه قلما كان يبقى في السرير أكثر من دقائق أو ربع ساعة أو نصف ساعة على الأكثر.. ويخبط الباب ويدخل زائر الصالون فيقوم ويقابل الضيف، وبعد انصرافه يرجع الحجرة ثم يحضر ضيف آخر وهكذا. وأحيانًا يخرج بعد تناوله الغداء مباشرة ثم يرجع البيت، ويحضر ضيفٌ ثم يخرج مرة ثانية إما مع الضيف وإما بمفرده بعد انصراف الضيف.

للآن لم ألاحظ أي شيء غير عادي أو سري. وكنت أرى مسدسات يحضرها معه وأضعها بنفسي في الدولاب، إذ كنت أراها شيئًا عاديا وهو ضابط.

في ليلة قال لي - وكانت الساعة العاشرة مساء - إنه سيخرج ويرجع عند الفجر، وعندما أخبط على الباب تفتحين لي. وقال: سأخبط ثلاث خبطات هكذا.. وخبط بطريقة معينة وحفظتها، وقال: حتى تصحي من النوم وتفتحي الباب. وقال إنه سيحضر اجتماعا يتحدثون فيه فكنت أنام وأفتح باب الحجرة حتى أسمعه عند حضوره.. وأعرف خبطته على الباب وأميزها ولا أخطئها.. وطبعًا تكرر خروجه ورجوعه في هذا الوقت عدة مرات. كنت سعيدة ولم يضايقني أي شيء.. وأرى في عينيه الحب والإعزاز، وكان يداعب هدى كثيرًا ويحملها ويدخلها للضيوف لدقائق.. وأشعر بسعادة وأتمنى أن أعمل كل ما أستطيع في راحته.

جمال الإنسان

في سنة ١٩٤٦.. في آخرها مرض عبد الحميد شقيقي بصدره (درن)، ومكث في البيت راقدا في السرير، وأخي الثاني كان يسكن في بيت آخر بعد رجوعه من الخارج.. يعني كل بمفرده، وكنت في حملي الثاني وكانت زياراتنا له قليلة. وبعد مرضه كان جمال يزوره كثيرًا ويجلس معه، وكان يقول لي كثيرًا عند رجوعه البيت بالحرف: أنا عدّيت على أخوكِ، فكنت أسأله عنه، وطبعًا كان يطمئنني ويقول: مكثت معه نتحدث، على عكس أقاربي.. قلّت زيارتهم له، وعندما يزورونه يكون ذلك بتحفظ.. يعني من باب الحجرة. وكان جمال يقول: إزاي واحد يخاف من مريض يعديه بالمرض! أنا عمري ما خفت ولا فكرت في عدوى من مريض، إنه شيء غير إنساني.

دخل أخي المستشفى وأجريت له جراحة في رئته، وعندما خرج من المستشفى وفي نفس اليوم زاره جمال في المساء وبقي معه حتى الثالثة صباحًا - وكنت أوشكت على الوضع - وعندما رجع للبيت قال لي: أنا من وقت ما خرجت وأنا جالس مع عبد الحميد إذ وجدت شقيقاتك عنده، وكان تعبانا يتنفس بصعوبة، ووجدت أخواتك يروّحن واحدة بعد الأخرى وأخوك في حالة صعبة فقلت: كيف أتركه وهو لا يستطيع التنفس بسهولة.. وشقيقاته ذهبن.. سوف أبقى معه. وكان يطلب مني أن أذهب فقلت له: إني باق معك. وقبل الثالثة صباحًا قال لي: أنا الآن أتنفس بسهولة وأشعر براحة، وطلب مني أن أروح وقال: سأتناول كوب لبن.. فقلت له: سأظل معك حتى تتناوله..

وكان جمال مندهشا من شقيقاتي وكيف أنهن تركنه. بعد أن تحسنت حالة أخي وخرج من المستشفى زار شقيقاتي وقال لهن: أكثر واحد في الدنيا أحبه وأقدره هو جمال عبد الناصر.. إنه أكبر إنسان قابلته في حياتي و أحبه أكثر منكن.

يوم ولدت ابنتنا منى

زارنا ضابط وزوجته بعد تحديد ميعاد، فقابلتهما مع جمال في الصالون، وكنت في آخر أيام الحمل الثاني، وسألا عن الاسم الذي اخترناه إذا كان المولود ولدًا إن شاء الله.. فرد جمال قائلا خالد.. وهذا الضابط كان ثروت عكاشة، وبعد أيام قليلة ولدت ابنتنا منى.

هذا صوت تجربة مسدسات فاضية!

استمر الحال.. حضور الزوار في كل الأوقات، وفي غيابه يسألون عنه، وخروجه ورجوعه البيت لمقابلة الزوار أو مع زائر يجلس معه في الصالون، بالإضافة إلى مذاكرته لكلية أركان حرب.

في يوم كانت تزورني شقيقتي وزوجها، وكنا جالسين في الصالة، وكان أغلب وقت وجود جمال في البيت يكون هناك ضيوف في الصالون، وسمعنا تكتكة فقال زوج أختي: هذا صوت تجربة مسدسات فاضية أي غير معمرة! فتداركت بسرعة وتذكرت خرامة الأوراق وقلت على الفور: إنها خرامة الأوراق وهو يرتب دوسيهات خاصة بالكلية.. والحقيقة أنها كانت مسدسات.

وفي يوم كنت في حجرتي وكنت أحاول أن تنام منى البيبي، والنور مطفأ وباب الحجرة مفتوح على الصالة، فخبط الباب وفتح المراسلة فوجدت رجلا كبير السن دخل الصالة ووقف قرب الباب، وكان جمال في الخارج فقال له المراسلة: إن حضرة اليوزباشي غير موجود، فلم يذكر الزائر اسمه وانصرف. رأيته وأنا في حجرتي وعرفته، وعندما حضر جمال أخبرته أنه عزيز المصري فقال: أنت متأكدة؟ قلت له: نعم.. أنا أعرف أنه مغامر وكتب عنه في الجرائد ونشرت صوره قبل زواجنا بمدة قصيرة. خرج جمال على الفور وعندما رجع قال: لقد ذهبت لعزيز المصري وأخبرته أنك عرفته، وقال لي: نعم حضرت ولم أذكر اسمي.

ما زلت للآن لا أفهم شيئًا إلا أني أعرف أن وجود مسدسات مختلفة الأحجام - أكثر من واحد - وحضور عزيز المصري شيء محظور، ويجب ألّا يعلمه أحد غيري.

إلى فلسطين

اليوزباشي جمال عبد الناصر في كلية أركان حرب يقضي مدة الدراسة، والوقت شهر مايو سنة ١٩٤٨، قال: سنتخرج من الكلية خلال أيام بعد أن قُدِّمَ موعد التخرج أسبوعًا، والبدلة الرسمية سيكون عليها شارة حمراء.. وهي شارة أركان حرب توضع تحت الشارة العسكرية.. أرجو تجهيزها، فخيطتها بنفسي وكنت في غاية السعادة. وتخرج من الكلية وأصبح اليوزباشي أركان حرب جمال عبد الناصر.. هنأته بحب وإعزاز.

بعد يومين قال لي: جهزي كل ملابسي لأني سأسافر إلى فلسطين في خلال يومين لمحاربة اليهود.. فكانت مفاجأة لي وبكيت وحزنت جدًّا.. قال: لماذا تبكين؟ فقلت له: كيف لا أبكي؟.. وكنت عندما يخرج أظل أبكي. بعد تجهيز الشنط لمحته يضع أربطة ومعدات إسعافات للجروح وكان يخفيها حتى لا أراها.

بدأت الحرب يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨، وفي يوم ١٦ مايو الساعة السابعة صباحًا غادر جمال البيت وأنا أبكي، وعندما خرج من الباب، وكان ينزل السلالم مسرعًا وقفت أبكي وأنظر له وهو ينزل السلالم، وكان المراسلة قد سبقه، وعربة جيب منتظرة على الباب.. وحضر أشقاؤه لتوديعه قبل سفره.

كنت مع ابنتي هدى.. سنتان وخمسة أشهر، ومنى.. سنة وأربعة أشهر، وكانت الشغالة قد سافرت إلى بلدها منذ أسبوعين. وقال لي جمال قبل سفره: يجب أن تكوني حذرة في اختيار الشغالة، والأحسن أن تكون يعرفها أخواتك.

كانت تزورني زوجة أحد الضباط، وكانت قد طلبت زيارتي بعد مولد هدى لتهنئني وتسكن قريبة من منزلنا، وزوجها هو حمدي عاشور.. بقي في القاهرة ولم يسافر إلى فلسطين، فكان يرسل لي المراسلة الخاص بهم لشراء ما يلزمني كل يوم.

رجع أشقاؤه إلى الإسكندرية إذ كانوا لا يزالون في الجامعة وفي وقت الامتحانات، وحضر والده لزيارتنا وبقي معي مدة حوالي شهر، وبعد ذلك كان يحضر أحد أشقائه أو اثنان منهم حيث كان وقت الإجازة.

لم يهمني أي شيء.. وكان الذي يشغلني الحرب وأخبار جمال، وكنت أتلهف على استلام خطاب منه وأفرح جدًّا عند استلامي الخطاب، وبعد ما أقرؤه أقول في نفسي: من يدري ماذا حصل بعد كتابته الخطاب؟!.. وأقلق من جديد وأجلس وحدي أحيانًا أبكي.

في خطاب بتاريخ ١٨ مايو:

«أرجو أن تكوني بخير مع الأنجال العزيزات أما أنا فكل شيء يدعو للاطمئنان...».

وفي خطاب بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٤٨:

«أنا في أحسن حال ولا يشغلني سوى راحتكم والاطمئنان عليكم وأرجو أن أراكم قريبا في أحسن حال...».

وفي خطاب بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨:

«أكتب إليك الآن ولا يشغلني أي شيء سوى راحتكم وأرجو أن تكون شقيقتك قد أحضرت لك شغالة.. أوصيك على هدى ومنى والمحافظة الشديدة عليهما...».

وفي خطاب بتاريخ ٩ يونية سنة ١٩٤٨:

«إن شاء الله نجتمع قريبا في أحسن حال بعد النصر بإذن الله...».

طلب مني في خطاب أن أذهب عند أخي وحدد وقتا ليكلمني بالتلفون. ذهبت بمفردي وتركت هدى ومنى مع شقيقه وانتظرته حتى تكلم.. وسأل عن هدى ومنى وطمأنني، وقال إنه سيكلمني في الأسبوع المقبل في نفس الميعاد.. وذهبت وكلمني وقال لي: سأكلمك كل أسبوع.

ذهبت - كما قال - وانتظرت على التلفون لكنه لم يتكلم.. ثم قال لي في خطاب إنه لم يجد فرصة ليكلمني لأنهم لا يمكثون في مكان، وقال: سأكلمك وحدد موعدا. ذهبت وانتظرت ولم يتكلم أيضًا هذه المرة. وقال في خطاب: لم أكلمك نظرا لانشغالي.

وفي خطاب بتاريخ ٢٣/ ٧/ ١٩٤٨ قال:

«وحشني منزلنا جدًّا وإن شاء الله سأحضر قريبا.. وبالمناسبة دي يوم ٢٠ رمضان سأحصل على رتبة صاغ».

وفي خطاب آخر قال لي إنه سيأخذ إجازة لمدة ثلاثة أيام.. كانت فرحتي عظيمة.. حضر وكان قد مضى على سفره ثلاثة أشهر ونصف.

جرح من رصاصة أثناء الحرب

رأيت علامة جرح حديث وخياطة في صدره من الناحية اليسرى، سألته ما هذه؟ فقال: إنها لا شيء.. دي حاجة بسيطة.. وسكت. ثم وجدت في الشنطة قميصًا وفانلة ومنديلا بها دماء غزيرة فنظر وقال: إنه أصيب وهو في عربة حربية، وهذا أثر جرح من رصاصة خبطت أولا في حديد العربة الحربية الأمامي الذي لا يزيد عرضه على بضعة سنتيمترات، مما خفف الإصابة إذ انكسرت منها قطعة دخلت في صدرى.. والحمد لله بعيدة عن القلب بمكان صغير، ومكثت في المستشفى أيامًا قليلة.. وأراني القطعة وقال: سأحتفظ بها والملابس المخضبة بالدماء.. حكى لي كل ذلك ببساطة.وضعتها في مكان كما هي، وكان بها خروم مكان دخول القطعة.

مكث جمال ثلاثة أيام زارنا خلالها كل أفراد العائلة، وذهبنا إلى السينما مرة وانتهت الإجازة.. وعند سفره بكيت فقال إنه سيحضر مرة كل شهر. ولقد كان يرسل لي خطابات منتظمة، وبعد شهر حضر في إجازة ثانية، وطبعًا كانت الفرحة العظيمة يوم حضوره، ومكث الثلاثة الأيام ثم رجع لفلسطين.. وكانت الإجازة يوم ١٤ سبتمبر وانتهت يوم ١٧ منه.

حصار الفالوجة

رجع عبد الحكيم عامر من فلسطين إلى القاهرة.. وكان قد سافر أيضًا وجرح في يده وأخذ إجازة. ذهبت لزيارة عائلته فقابلني وقال: إن جمال الحمد لله بخير وبصحة جيدة. وكان عبد الحكيم رقي أيضًا إلى رتبة يوزباشي وأخبرني أن جمال سيحضر إن شاء الله قريبا في إجازة، وكان عيد الأضحى اقترب. وكنت أول مرة أرى فيها عبد الحكيم عامر ويصافحني ويتحدث معي.. حلَّ عيد الأضحى وانتهى ولم يحضر جمال، وكانت الخطابات تصلني إلا أنها أصبحت على فترات أطول عما قبل، ولم يذكر لي ميعاد حضوره في إجازة.. فكنت قلقة أقرأ الجرائد وأسمع الراديو. طلبت من شقيقتي أن تسأل زوجها فأخبرها بأنهم الآن في مكان بعيد مقطوع عنه الاتصال، ولا توجد قطارات تذهب إلى هناك.

قبل سفره أعطاني جمال شيكات لصرف مرتبه من بنك مصر. وفي خطاب بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٩٤٨ قال: إني حولت لحسابك بالبنك الأهلي مبلغ... شهريا يمكن استلامه في أول ديسمبر. وأضاف: أرجو أن تكوني مطمئنة ولا تنشغلي إلا بنفسك وهدى ومنى وهذا هو طلبي منك.. وأرجو أن أراكم إن شاء الله قريبا في أحسن حال. وأنا ذاهبة للبنك الأهلي قابلتني سيدة جارة لشقيقتي فسلمت عليّ وسألتني: هو زوجك لسه في الأسر؟ هذا ما قالته لي بالحرف.. فذهلت وقلت لها: إنه ليس أسيرًا، إنه في مكان بعيد.. وطبعًا حالتي كانت صعبة جدًّا.

مكثت في البيت وأنا في منتهى الحزن، وكانت جارتي التي تسكن تحت مسكننا ابنة رئيس هيئة أركان حرب الجيش في ذلك الوقت، وهو عثمان باشا المهدي فسألتها

عن جمال، وقالت: سأسأل بابا وأطمئنك. وبعد أيام وجدتها تطرق الباب في الصباح، وكنت لا أزال نائمة فقمت وفتحت الباب، ورأيت معها مجلة المصور وقالت: ها هو ذا زوجك الصاغ جمال عبد الناصر في صورة مع عدد من الضباط في الفالوجة.. فعرفت بحصار الفالوجة.

كنت من وقت لآخر أطلب من جارتي أن تسأل والدها عن الضباط الموجودين في الفالوجة، فقالت لي إن والدها سيحضر قريبًا، وألحت عليّ في زيارتها وقت حضوره لأطمئن.. فشكرتها، وهي طيبة جدًّا وللآن لا أنساها وأطلب منها زيارتي. كنت لا أزورها إلا قليلا وهي التي كانت تحضر عندي وتقول: لم لا تزورينني وأنت وحدك؟ فكنت أقول لها: إنك مع زوجك وأولادك فلتحضري أنت في الوقت الذي يناسبك. فكانت تسأل عني في أغلب الأيام.. وهي السيدة نادية المهدي. زارتني جارتي في مساء يوم من شهر فبراير سنة ١٩٤٩ وقالت: اليوم عيد ميلاد ابني فلتحضري ومعك هدى ومنى، وأصرت على أن أنزل عندها وقالت: لا يوجد عندي غير شقيقتي التي تصغرني.. فشكرتها وذهبت ومعي هدى ومنى.

قابلت هناك والدها.. رئيس هيئة أركان حرب الجيش، فطمأنني وقال: إن ضباط الفالوجة بخير، ويرسل لهم أسلحة وذخيرة وتموينا، وإن شاء الله يحضرون قريبا.

في خطاب بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٩٤٨ يقول جمال:

«أرجو ألّا تنشغلي إذا تأخرت في المكاتبات فأنا أرسلها حسب الظروف ولكنها لا تكون منتظمة في هذه الفترة على الأقل».

وفي خطاب بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٤٨ يقول:

«... أرجو أن نلتقي قريبا في أحسن الأحوال. أرجو أن تكوني مطمئنة جدًّا... وأنا أحاول باستمرار أن أكتب لك في أي فرصة وقد كتبت لك ثلاثة خطابات أرجو أن تكون وصلت... وعموما لا تنتظري خطابات منتظمة في هذا الوقت. لم أستلم منك خطابات منذ خمسة وأربعين يوما لصعوبة وصولها ولكن عبد الحكيم يطمئنني عليكم باستمرار».

وفي خطاب بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٩٤٨ يقول:

«يمكن أن تصلني أخباركم عن طريق عبد الحكيم.. أقصد أن تكلمي السيدة حرمه أن تبلغه عن أخباركم باستمرار لأنه يتصل بي يوميا... وأما خطاباتكم فلا يمكن أن تصل الآن... وأنا بخير والحمد لله وكل شيء يدعو للاطمئنان».

وفي خطاب بتاريخ ١٤/ ١/ ١٩٤٩ يقول جمال:

«ما كنت أعتقد أني سأفترق عنكم هذه المدة ولكن الحمد لله.. ويشجعني على ذلك إيمانك العظيم بالله فيجب ألّا تقلقي ولا تحزني مطلقا لهذا الغياب. سنلتقي قريبا إن شاء الله سويًّا ونشكره شكرا جزيلا... فأنا بخير وسننسى كل شيء ونبقى سويًّا يا حبيبتي العزيزة إلى الأبد...».

وفي خطاب يقول:

«... أرجو أن تفسحي هدى دائمًا وتأخذيها جنينة الحيوان وجنينة الأسماك.. أرجو أن تكونوا دائمًا في أسعد حال».

زرت أختي في الجيزة، وهي تسكن بجوار جنينة الحيوانات، وأخذت هدى ومنى وذهبنا للحديقة، ولم أذهب إلى جنينة الأسماك لأني كنت لم أرها وللآن.. وكانت هدى تتكلم وحفظت اسم طائرين.

مكثت في البيت لا أخرج إلا قليلا أتتبع الأخبار من الجرائد والراديو، وأدعو الله أن ينتهي الحصار في الفالوجة ويحضر جمال.

شتاء سنة ١٩٤٩..

وكانت جارتي السيدة نادية المهدي ترجوني أن أخرج أو أذهب معها إلى السينما فكنت أرفض، ولم أذهب أبدًا. كما أني لم أتعود أن أخرج مع أي سيدة ولم يكن لي صديقات، بل كانت صلتي بالسيدات محدودة والكل بالنسبة لي سواء.. وكنت أقضي فراغي في شغل التريكو لهدى ومنى، وابتدأت أشتغل بولوفر لجمال وقلت له في خطاب: إني أشتغل لك بولوفر لونه رمادي فاتح.. وهو يفضله في ألوان البولوفر.

وصلني خطاب بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٤٩ قال:

«... وإن شاء الله أراكم قريبا جدًّا فإن شاء الله سأكون بالقاهرة قبل أول فبراير أو في الأسبوع الأول....وسنبقى سويًّا باستمرار وأظن أن اللحظة التي سألقاكم فيها ستكون أسعد أوقات حياتي... وإن شاء الله يكون البولوفر خلص».

فعرفت أن خطابي وصل له، وفرحت جدًّا بقرب حضوره.

هذه أجزاء من بعض خطاباته لي أيام حرب فلسطين محتفظة بها وعددها ٤٦ خطابا.. وكلها بإمضائه الذي لم يتغير.

بعد انتهاء الإجازة الصيفية للطلبة وافتتاح الجامعة لم يعد أحد من إخوته يحضر للقاهرة، وكان عيد الأضحى وكنت منتظرة حضور جمال.. ومضت أيام العيد ولم يحضر ولم يصلني منه خطاب، فكنت في غاية القلق والانشغال عليه، وبالإضافة إلى ذلك بقائي بمفردي مع هدى ومنى. وبعد عدة أيام حضر والده وقال لي: سأبقى معك حتى يحضر جمال، ولن أرجع إلى إسكندرية أبدًا مهما طال غيابه.. فشكرته لحضوره ورحبت ببقائه معي وشعرت براحة واطمئنان.

كنت أجلس بمفردي في المساء بعد أن تنام هدى ومنى أشتغل التريكو، وأتذكر حديث جمال لي أيام الخطوبة عن سفرياته وتنقلاته في البلاد. وكنت وقتها منتظرة أني سوف لا أعيش في القاهرة باستمرار، وكنت سعيدة بأني سأسافر معه. وكنت أقول في نفسي: أول بلد يسافر إليه يذهب ليحارب؟!.. وهو الآن محاصر في الفالوجة ولا أدري متى ينتهي هذا الحصار. والخطابات تصلني وكلها يشعرني فيها بأنه في أمان وأنه سيحضر قريبًا.. وأفكر ربما أنه يريد أن يعطيني الأمل ليخفف من حزني بعد أن طال غيابه.

في يوم قالت لي جارتي إن صاحبة البيت أبدت لها رغبتها في أن أترك البيت لأنها سوف تبني دورا آخر فوق مسكني، فرددت عليها قائلة: كيف تطلبين منها أن تعزل الآن وزوجها مسافر في الحرب؟! فاقترحت عليها أن أذهب وأعيش مع أخي.. فقلت لجارتي: أخبريها بأني سأترك منزلها عند حضور الصاغ جمال عبد الناصر إن شاء الله قريبًا.

تليفون من العريش

في أول مارس سنة ١٩٤٩ اتصل جمال بالتلفون وقال إنه موجود في العريش وسيحضر في خلال أسبوع.. وطلب أن أذهب لأخي في الصباح ليكلمني.. فكانت الفرحة العظيمة، وذهبت وكلمني جمال وسألني عن هدى ومنى ووالده وأشقائه وقال: أريد أن أكلم الوالد غدًا.. فذهب معي لأخي وكلم جمال وكانت فرحتنا لا تقدر وقال لي: سأكلمك كل يوم في نفس الموعد حوالي الثامنة صباحًا حتى أحضر.

وفي يوم ٦ مارس سنة ١٩٤٩ في المساء حضر جمال من الفالوجة.. وكانت الفرحة التي لا أقدر أن أعبر عنها، وكان أشقاؤه قد حضروا من إسكندرية. وعند وصوله عرف الجيران والناس في المحلات القريبة من منزلنا.. والكل كان يعرف الفالوجة والحصار ويريد أن يصافح العائدين منها ويحييهم.. فكانت هيصة أمام البيت.

بعد أن استراح قليلا نهض وقال: سأخلع الملابس الرسمية وألبس البدلة العادية.. لقد أوحشني اللبس العادي، ثم سأل: أين البولوفر الذي اشتغلته لي؟ وكنت قد اشتغلته وجهزته وعلقته في الدولاب فأحضرته له فأعجبه لونه ولبسه.. وكان أول لبس جديد بعد رجوعه.. ثم قال لي: سأخرج ولن أغيب فسأذهب للقشلاق وأرجع بسرعة.

كان قد مضى عليه خمسة أشهر لم يرنا.. هدى ومنى تغيرتا وكبرتا.. منى كانت لا تتكلم إلا القليل تعلمت الكلام، وهدى زاد كلامها وفصاحتها..

وطبعًا كان الزوار يحضرون بكثرة، وكذلك الأقارب من إسكندرية والصعيد، وكانت الإجازة لمدة شهر. كنت أخرج معه ونذهب إلى السينما، وكان وقتها المعرض الزراعي الصناعي.. ذهبنا وقضينا اليوم كله هناك نتفرج على المعروضات وتناولنا الغداء. قابلنا ضابطا من معارفه كان متزوجا حديثا من أسبوعين، سلم علينا وقال: لسنا وحدنا في شهر العسل بل أنتم أيضًا.. وضحكنا.

الانتقال إلى بيت جديد

في الأسبوع الأخير من شهر مارس قال لي جمال: قابلت ضابطا أعرفه رتبته كبيرة

يملك فيلا في كوبري القبة، وبنى دورين جديدين فوق الدور الأول، والدور الثاني فاضي.. ففكرت نعزل ونسكن في كوبري القبة. رحبت، فقال: سأذهب لأرى البيت، وذهب مع الضابط ورأى المسكن وقال: إنه لا بأس به فلتذهبي معي وتشوفيه.. فقلت: مش ضروري أشوفه ما دام عجبك، فلنعزل.. وكوبري القبة مكان هادئ والدور الثاني السلالم له سهلة. وكنت مقتنعة بأنه أحسن من البيت الذي نسكنه، ولم أذكر له شيئًا عن رغبة صاحبة البيت في أثناء غيابه، وكانت قد حضرت لتهنئتنا بسلامة رجوعه من فلسطين وحدثته عني وقالت له الكثير من المديح والثناء.

وفي آخر شهر مارس سنة ١٩٤٩.. أي في نفس الشهر الذي رجع فيه جمال من الفالوجة انتقلنا إلى البيت الجديد في كوبري القبة. وقبل مغادرتنا البيت حضرت صاحبة البيت وكانت تسكن بجوارنا - يعني جيران - وكانت متأثرة وبكت وقالت لي: لقد قلت إنك ستتركين البيت عند رجوع حضرة الصاغ جمال وها أنت ذي تتركينه. وسلمت عليّ بحرارة وهي تبكي.

ذهبت مع جمال وهدى ومنى للبيت الجديد.. وكنت أول مرة أراه كما حدث في البيت الأول، وأعجبني جدًّا. والبيت مبني بحيث يكون: البدروم، ثم الدور الأول، والثاني مسكننا، ودور ثالث. و نظام الأبواب الثلاثة كالبيت الأول مع اختلاف إذ لا يوجد باب يوصل لحجرة السفرة كالبيت السابق، فالباب الثالث على الشمال يوصل لمدخل صغير للمطبخ. والبيت مكون من خمس حجرات منظمة كالآتي: حجرة السفرة ملحقة بحجرة الصالون بدون باب ولها باب على الصالة، والحجرتان تطلان على الشارع. الصالون به فراندة مستديرة على ناصية البيت ترى الشارع العمومي.. شارع مصر الجديدة، وترى الباص والترامواي والكوبري الذي يمر تحته المترو أمام المستشفى العسكري في ذلك الوقت.. وهي الآن الكلية الفنية العسكرية. أرى الشارع بوضوح إذ بيتنا الثالث في الشارع بعد فيلتين صغيرتين ولكل فيلا حديقة. حجرة المكتب ملحقة بالصالة بدون باب أيضًا وبها فراندة وشباك في مواجهة الصالة يطل على حديقة المنزل الذي يلي منزلنا، وأرى الشارع أيضًا، وفي الناحية الأخرى حجرتان للنوم.

كان جمال يحكي لي عن الوقت الذي قضاه في الحرب وعن الحصار في الفالوجة وقال: كانت هناك طفلة كنت أحب أن أكلمها تذكرني بهدى وفي عمرها، وفي ليلة شعرت بحزن وقلت كيف حال تحية الآن وهدى ومنى؟ ولم أنم.. وكيف كان الرصاص والقنابل تتساقط حوله ونجاه الله، وقراءته للمصحف عدة مرات وتأديته للصلاة، وكيف كان يرسل لي الخطابات مع أحد العرب، ويدفع كل ضابط مبلغًا ويصل ما يتقاضاه العربي إلى خمسين جنيها.

إبراهيم عبد الهادي يستجوب جمال

انتهى الشهر الإجازة ونقل العائدون من الفالوجة - وهم ثلاث كتائب - كل كتيبة في بلد. وكانت الكتيبة السادسة - وهي التي بها جمال - نقلت للإسماعيلية، وهو أركان حرب الكتيبة. قال لي: لا يوجد هناك مكان لسكن عائلات الضباط، والمكان عسكري فقط، وسوف أذهب وأحضر كل أسبوع.. فكان يحضر يوم الخميس ويغادر القاهرة يوم السبت في الصباح الباكر.. ولم أذهب إلى الإسماعيلية أبدًا ومكثت في القاهرة.

استمر الحال حوالي ثلاثة أشهر، وكانت صحتي متوعكة إذ كنت في الشهور الأولى للحمل. في شهر يوليو قال لي جمال: سأحضر في إجازة لمدة شهر ففرحت جدًّا، وفي أول يوم للإجازة في الصباح خرج ورجع قبل الثانية عشرة ظهرا، وخلع ملابسه العادية طبعًا ولبس البيجاما ورقد على السرير يقرأ. ولم يلبث إلا قليلا وسمعنا أحدا يصفق بشدة ويسأل عن مسكن الصاغ جمال عبد الناصر.

وكان أحد الضباط. قابله جمال وتحدث معه دقائق وارتدى الملابس الرسمية وقال لي: لا تنتظريني على الغداء سأغيب ولتتغدي أنت والأولاد.. وخرج وركب عربة مع الضابط. تناولت الغداء مع هدى ومنى ومر الوقت عاديا، وحتى حوالي الساعة السابعة لم يحضر.. وبدأت أقلق: أين ذهب جمال؟ ومن هذا الضابط الذي حضر بطريقة غير عادية يصفق ويسأل بصوت عال عن مسكننا؟ وكنت أشعر بأن ما يحدث حولي غير عادي ولكن لم أفهم شيئًا غير الكتمان. جلست بجوار الشباك المطل على الشارع في حجرة السفرة.

ولم ألبث إلا قليلا ورأيت عربة كبيرة زرقاء تدخل الشارع وتقف أمام منزلنا، ورأيت جمال ينزل من العربة وينتظر شخصا آخر.. وكان عثمان باشا المهدي - رئيس هيئة أركان حرب الجيش - وكنت أعرفه وحتى عربته إذ كنت أراها أمام منزلنا السابق. خرجت بسرعة من حجرة السفرة ودخلت حجرة النوم، وصعد جمال مع عثمان باشا ودخلا الصالون. وبعد قليل دخل جمال عندي في الحجرة فقلت له بلهفة: أين أنت؟ إني قلقة عليك.. فرد وقال: فلتعطيني بسرعة الأسلحة الموجودة عندك، ولاحظ اضطرابي وقلقي فقال: لا تخافي إني راجع لك.. أسرعي وسأحكي لك عما حصل بعد خروج عثمان باشا، فقلت له: لقد عرفته وكنت جالسة بجوار الشباك.

كنت أخفي الأسلحة بين الملابس في الدولاب.. في الشتاء أخفيها بين ملابسه الرسمية الصيفية، وفي الصيف أخفيها بين ملابسه الشتوية، إذ كنت أرى أنها يجب إخفاؤها وألّا يراها أحد غيري، بدون أن يلفت نظري أو يقول لي شيئًا. رجع جمال بعد خروج عثمان باشا وقال لي: كنت عند رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي.. لقد استدعاني لاستجوابي والتحقيق معي بوجود عثمان باشا، وبقيت هناك للآن، وهو الذي كان يحقق معي ويستجوبني بنفسه، وكان في منتهى العصبية، وكنت أجاوبه على كل سؤال.. وأخيرا لم يجد إلا أن يقول لي: روّح، وسألني هل عندك أسلحة؟ فقلت له: نعم.. وذكرت أنواعها، وكلف عثمان باشا بالحضور معي واستلام الأسلحة. وكنت منتظرا أنه سيعتقلني لكنه قال لي: روّح.. وهو في غاية الغيظ والضيق.

مكث جمال الشهر الإجازة في القاهرة نخرج سويًا ونذهب إلى السينما.. وغالبًا الصيفي في مصر الجديدة، وأحيانًا نأخذ هدى ومنى معنا. وكان يقابل الضيوف ويخرج مع بعضهم أو بمفرده.

بعد انتهاء الإجازة نقل من الإسماعيلية إلى مدرسة الشئون الإدارية بالقاهرة، وهي التي يقضي فيها الضباط فترة.. ثم يمتحنون ويحصلون على الترقية.. أي «فرقة». وكانت فرحتي عظيمة بنقله للقاهرة.

اشترى جمال العربية الأوستن السوداء، ودفع ثمنها من النقود التي توافرت معه أثناء مدة الحرب، إذ المرتب كما هو معروف يكون الضعف للمقاتلين، ولم تكن

تكفي فكملت الباقي من ثمنها وفرحت بالعربية. بعد شراء العربة بأيام قليلة قال: سآخذك لمشوار طويل.. وذهبنا إلى القناطر الخيرية ومعنا هدى ومنى وتناولنا الغداء هناك.

كان يحضر إلى المنزل بعض الضباط الذين سيدخلون امتحان كلية أركان حرب، وكان يساعدهم ويجلس معهم وقتا طويلا، وكنت أسمعهم يتكلمون في موضوعات الدراسة، وكان يعطيهم الدوسيهات التي هو كاتبها ومجهزها بنفسه ويقول لي: إني أحب أن أساعد كل من يريد أن يتقدم لكلية أركان حرب وأرحب به.

ميلاد خالد

يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٩

تقدمت بي شهور الحمل، وكنت أذهب للدكتور الذي اعتدت أن أذهب إليه ليتابعني. وفي الشهر الأخير أخبرنا بأن الولادة ستكون إن شاء الله في المستشفى الجديد الذي بناه، وأخبرني عن وقت الولادة بالتقريب وقال: سأحجز لك حجرة لتكون خالية وقت مجيئك. وسأل: هل علمتم بالأسعار الجديدة؟ وأضاف أنها ارتفعت عمّا قبل بأكثر من الضعف، فسأله جمال: وهل هذا يسري أيضًا على القدماء؟ فرد الدكتور قائلا: المستشفى مبني على أحدث تصميم ومجهز بكل وسائل الراحة، والخدمة يقوم بها ممرضات أجنبيات أحضرن خصيصا للمستشفى. وقال ببساطة: وتوجد الدرجة الثانية. رد جمال على الفور قائلا: يعني هذا معناه أنت ترتفع ونحن ننزل؟! وبعد خروجنا من عنده قال لي جمال: سوف لا أذهب لهذا الدكتور أبدًا، ولتذهبى مع إحدى شقيقاتك إذا كنت تريدين الذهاب إليه، وسوف لا أدخل مستشفاه أبدًا. فقلت له: ولماذا أذهب أنا عنده؟ اسأل لي عن دكتور آخر ليستكمل متابعتي ويتم الوضع في مستشفاه.

كنت أثناء شهور الحمل أتمنى أن يكون المولود ولدا.. وكنت في شدة الاشتياق ليكون عندي ابن، و دائمًا أذكر أمام جمال أني أريد ولدا.. فكان يرد علي بقوله: إن الله ينظم ملكه كيف يشاء.. هل تريدين تنظيم الكون؟ لا فرق بين ولد أو بنت، فكنت أقول له: لكني هذه المرة أريد ولدا.

في آخر أسبوع قبل الولادة كنا خارجين في العربة، وكانت هدى ومنى معنا فنظر لي جمال وقال: شوفي يا تحية أد إيه هدى ومنى وهما رابطين الفيونكات في شعرهم

شكلهم جميل.. وإن شاء الله لما يبقوا ثلاث بنات بهذا الجمال والفيونكات سيكون أجمل. فقلت: عاوز بنت ثالثة برضه؟ فرد: إن ما يريده الله هو ما فيه الخير.

بعد أيام قليلة صحوت من النوم وكانت الساعة الثالثة صباحًا وأنا أشعر بأعراض الوضع فأيقظته.. فقام وقال: فلتجهزي نفسك حتى أحضر العربية ونذهب للمستشفى، وهو في الدقي. كنت في الطريق أشعر بألم وقلت: يا رب أضع في الصباح، فرد جمال: وتجيء البنت الحلوة.. هل حضرت اسما لها؟ فقلت.. وكنت في شدة آلام الوضع: لم أفكر في اسم.. معلهش بس أخلص من الألم. وكانت ليلة ٢٥ ديسمبر والشوارع بها الراجعون من سهرة الكريسماس فقال: انظري الناس صاحية.. وها هم في الطريق وفي العربات.

وصلنا المستشفى وكان الدكتور غير موجود واستقبلتني الحكيمة والممرضات. وحضر الدكتور وكان يرتدي ملابس السهرة. وولد خالد في الساعة الخامسة من فجر يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٩.

بعد أن أفقت أول سؤال سألته - وكانت الحكيمة بجواري - ولد أم بنت؟ فردت الحكيمة قائلة: أنت عندك من الأولاد إيه؟ قلت بنتان.. فردت: ولد يا هانم.. فلم أصدقها وقلت في نفسي: إنها تقول الآن ذلك لأني قلت إن عندي بنتين.. فقلت: صحيح ولد؟ فرد الدكتور من الناحية الأخرى للحجرة، وكان يحمل المولود فرأيته وفرحت جدًّا.

خرج الدكتور من حجرة الولادة وأخبر جمال بأن الولادة تمت والمولود ولد. دخل جمال عندي في الحجرة وهنأني وقال: مبسوطة الآن يا تحية ها هو ولد.. وقال: خالد.. فقلت: نعم إني سعيدة والحمد لله. وكان جمال قبل مولد منى بأيام ذكر اسم خالد إذا كان المولود ولدا لكنه هذه المرة لم يذكر اسم خالد أو أي اسم ولد أبدًا.. فتذكرت وقلت في نفسي: إنه يعلم أني أريد ولدا فكان دائمًا يشعرني بأن المولود سيكون بنتا حتى لا أفاجأ وأزعل. في الصباح أخبر جمال أخواتي وحضرن لتهنئتي. وقالت شقيقتي إنها أخبرت أخي عبد الحميد وهو يبلغك سلامه وتهنئته وسيحضر لزيارتك. وكان من عادته أن يزورني في المستشفى ويحضر لي هدية، فسألتها عن صحته فقالت إنه بخير.

مكثت في المستشفى حتى يوم ٤ يناير سنة ١٩٥٠، وكان جمال يزورني كل يوم كما هي عادته في المساء، وكانت هدى ومنى عند شقيقتي مدة وجودي في المستشفى. وفي اليوم التالي أحضرتهما لي شقيقتي ليريا البيبي. وبعد ذلك لم يزرني أحد من أخواتي، فكنت أفكر: إنهن لم يزرنني كعادتهن كل يوم، ولم يحضر أخي لزيارتي كعادته.. ربما لبرودة الجو وكان ممطرًا.

بعد رجوعي إلى البيت وفي اليوم التالي حضر جمال من الشغل وقال لي: أنا معزوم على الغداء فلتتغدي أنت وهدى ومنى. وحياني وخرج.. فلم يعجبني وقت العزومة وقلت في نفسي: من هذا الذي دعاه على الغداء وقد حضرت أمس من المستشفى وكنت أحب أن نتغدى سويًا.. وهذا أول يوم لي في البيت؟ رجع جمال في المساء وكان الوقت قبل ميعاد تناولنا العشاء وقال: أريد أن آكل حاجة خفيفة.. جبنة. فقمت وأحضرت له وقلت في نفسي: إنه لا يحب إلا أكل البيت ولم يأكل في العزومة. وأكل قليلا وقام ودخل حجرة النوم وقال إنه يشعر بصداع وتعب.

في اليوم التالي كان الخميس موعد حفل أم كلثوم أول الشهر. في المساء خرج ورجع مبكرًا، وبعد تناولنا العشاء قال لي: إني متعب وسأنام ولتسمعي أنت أم كلثوم. فقلت له: سأنام وأفضل ألّا أسهر في خلال الأسبوع الأول من رجوعي من المستشفى.

طلبت سيدة زيارتي.. وكانت زوجة قائد الكتيبة السادسة في الفالوجة، كما حضرت في يوم آخر زوجة حمدي عاشور وكانت ترتدي ملابس الحداد وقالت لي: أنا آسفة لأني حضرت بملابس الحداد إذ كنت في زيارة للتعزية في بيت قريب من هنا فحضرت للتهنئة بخالد.. فلم يعجبني وتساءلت: أما كان الأفضل أن تحضر في زيارة خاصة بي لتهنئتي ولا تذهب للتعزية وتزورني بملابس الحداد؟ ومكثت معي وقتا قدمت لها الحلوى كما هي عادتنا وأحضرت لها خالد لتراه.

مضى اثنا عشر يومًا بعد رجوعي من المستشفى ولم تزرني أخواتي..وكنت أستريح بعد الغداء وجمال في الحجرة، فقلت: لم يحضر أحد من أخواتي وكان الوقت ممطرا.. هذا لا يمنع أن يزرنني، فرد جمال وقال: أخوك عبد الحميد تعبان

جدًّا وكان قد أصيب بإنفلونزا ورئته لا تتحمل واشتد عليه المرض.. فقمت مسرعة وقلت: فلأذهب لزيارته حالا.. وابتدأت أستعد للخروج فقال لي جمال: إنك تعلمين أن كل واحد يعيش ما كتبه له الله من العمر. فقلت على الفور: يعني معناها إنه مات؟ فقال نعم.. من ثاني يوم رجوعك من المستشفى، وقد أخبروني في الصباح، وذهبت إلى منزله ومكثت اليوم كله.

فعرفت أنه لم يكن في عزومة وأنه رجع البيت حتى لا ألاحظ شيئًا وأتناول غدائي. كان وقع الخبر عليّ شديدا وبكيت كثيرًا، وعلمت أنه شدد على الزوار الذين يحضرون لتعزيتي أني لا أعلم بوفاة شقيقي، وأن السيدة التي حضرت لزيارتي - زوجة قائد الكتيبة - وزوجة حمدي عاشور كان حضورهما لتعزيتي، وأدركت.. لهذا لم يسمع جمال حفل أم كلثوم رغم حبه لسماعها.

وتذكرت أنه طوال هذه الأيام لم يفتح الراديو أبدًا، وكنت أنا أفتحه وأسمع الموسيقى. واستعرضت كل ما دار حولي وفهمته، وطبعًا الجرائد أخفاها عني حتى لا أقرأ الخبر وكنت مشغولة بالبيبي.

لم يترك أخي شيئًا من ثروته الكبيرة، إذ كانت كلها قد ضاعت في المضاربات في البورصة، وتقلبات الأسعار في الفترة بعد انتهاء الحرب.

تحديد أماكن قتلى اليهود في الفالوجة

في آخر فبراير سنة ١٩٥٠ قال لي جمال إنه سيسافر لفلسطين لمدة ثلاثة أيام ليعرف اليهود مكان قتلاهم في الفالوجة بعد اتفاق مع الحكومة المصرية. قابل هناك كوهين الضابط اليهودي الذي كان قد التقى به هناك كما هو معروف أثناء الحصار في مكان خارج الفالوجة، رفع عليه العلم الأبيض، وكما هو معروف لم يوافق جمال على أن يسلم وكان هو أركان حرب الكتيبة. وظلت الكتائب الثلاث الموجودة هناك محاصرة وصامدة. قال لي: إن كوهين قابلني وسألني عن أولادي وذكرت له خالد وعمره شهران. فهنأني وقال Boy أي ولد.

اجتماعات مستمرة مع الضباط

سنة ١٩٥٠ الحياة في البيت في كوبري القبة..

الزوار يحضرون باستمرار أغلبهم ضباط يمكثون معه لوقت وينصرفون، وبعضهم - واحد أو اثنان - يمكث لساعة متأخرة من الليل، والكلام يكون بصوت منخفض وهادئ. وفي ليال بعد تناولنا العشاء وقت النوم أو بعد أن يكون قد نام يحضر زائر يطرق الباب.. فيقوم جمال يفتح الباب ويقابله ويجلس معه لوقت في الصالون وينصرف الزائر فيرجع جمال لينام، ثم يحضر ضيف آخر ربما بعد دقائق من خروج الضيف السابق يقابله ويجلس معه لوقت.. وأحيانًا يظل معه حتى الفجر. وليالي يحضر زائر فيقابله ويتكلم معه لدقائق ثم يخرج معه بعد أن يكون سينام.. هذا في الليالي التي يكون جمال موجودًا فيها في المنزل ولم يسهر في الخارج، ورجع قبل ميعاد العشاء وتناولنا العشاء سويًّا.

وفي بعض الليالي يحضر عدد من الزوار أو زائر واحد ويطلب جمال العشاء معه أو معهم، ويكون عشاء خفيفا طبعًا، وأنام وأصحو وأجد جمال لا يزال في الصالون، وأنام وأصحو مرة ثانية وهو مستمر مع الضيف في الصالون. كان خالد البيبي يصحو بالليل فأقوم وأعطيه قليلا من السوائل كراوية أو ينسون.. فكنت أحيانًا أعمل قهوة وأذهب وأخبط على الباب فيفتح جمال الباب من حجرة السفرة ويقول لي: لماذا تعبت نفسك في عمل القهوة؟ فأقول له: أنا صحوت لخالد ووجدتك مع الضيف وأعرف أنك تحب تشرب قهوة.. إذ كنت أحيانًا في الصباح أرى أنه عمل قهوة أثناء سهره مع الضيوف.. فيقول لي: أنا إذا أردت قهوة أعدها بنفسي وهي سهلة ولا

تتعبي.. ثم يشكرني وأذهب وأنام ويبقى هو حتى ساعة متأخرة من الليل.. أحيانًا حتى الفجر. هذا كان يحدث كثيرًا في أغلب الليالي التي يكون موجودًا فيها بالبيت. وعلى هذا كان إذا خرج بعد الظهر ورجع إلى البيت مبكرًا ليس معناه أنه سيبقى معنا ونتناول العشاء سويًّا، بل كان إما يقابل زوارا أو يخرج مرة ثانية مع أحد الزوار أو يخرج بمفرده. وأحيانًا كان يخرج بعد الغداء مباشرة ويظل في الخارج لساعة متأخرة من الليل أو يرجع مبكرا ويخرج مرة ثانية في نفس الليلة.

وفي الأيام التي يكون فيها خارج المنزل كان المراسلة يفتح الباب ويسأله الضيف عن الصاغ جمال عبد الناصر فيقول له: حضرة الصاغ غير موجود، فيعطيه الزائر ورقة مكتوب عليها اسمه فقط أو الاسم والساعة فقط بالعسكرية - كما كنت أسميها - وكنت قد تعلمتها.. يعني الساعة ١٧٠٠ الخامسة وهكذا.

كان في الصالة بيانو على الشمال قبل باب حجرة النوم.. فكنا نضع فوقه الأوراق التي يتركها الضباط، وأغلبها قصاصة ورق صغيرة وليست كروتا، ويعطيها له المراسلة عند حضوره مباشرة. وكنت أرى أن البيانو أعلى من الترابيزة فلا تصل إليه هدى ومنى.. فكان جمال يدخل وينظر فوق البيانو قبل دخوله حجرة النوم، ويأخذ الأوراق التي تركها الزوار المكتوب فيها أسماؤهم.

وأحيانًا أخرى يكون المراسلة في الخارج ويطرق زائر الباب، ويسألني عن جمال فأقول له: إنه غير موجود، فيعطيني الورقة المكتوب فيها اسمه فقط أو الاسم والساعة، وتتكرر عدة مرات.. وغالبًا يكون في المساء بعد نوم الأولاد.

لم أكن أسلم على أحد أبدًا من الزوار، ولا أقول مساء الخير ولا صباح الخير، ولا أنظر إليهم ولا أرى وجوههم إلا قليلا منهم جدًّا.

كنا نتناول وجبة الغداء سويًّا دائمًا إذ كان جمال يواظب على الرجوع من الشغل للبيت، والغداء يكون جاهزا الساعة الواحدة والنصف. نتناول الغداء في حجرة السفرة الملحقة بحجرة الصالون، فكان أحيانًا يحضر أحد الزوار ونكون جالسين على السفرة، فيترك الأكل ويقف يتكلم مع الزائر لدقائق ثم يرجع ويقول: فلينقل الغداء خارج حجرة السفرة، ولتكملي غداءك أنت والأولاد وأنا سآكل فيما بعد.. فكنت أجلس مع هدى ومنى ونكمل غداءنا في حجرة المكتب.

بعد أن تكرر خروجي من حجرة السفرة ونقلنا الأكل خارجها أحضرنا ترابيزة تقفل وتفتح كنا نستخدمها وقت الغداء في حجرة المكتب، ثم تقفل وتوضع في ركن حتى لا يتغير نظام الحجرة، وبعد ذلك أصبحنا نأكل في حجرة المكتب الغداء والعشاء والإفطار إذ كان أحيانًا يحضر أحد الزوار قبل خروج جمال للشغل.

واستمر هذا النظام في الأكل حتى قيام الثورة أي أكثر من سنتين.

جراج العربة كان في شارع بعد الشارع الذي يقع فيه بيتنا، وكان المكان هادئا، وكل المنطقة بيوت وليست عمارات، وأغلب السكان ضباط لقرب المكان من القشلاقات.. فعند رجوع جمال إلى البيت بعد أن يدخل العربة الجراج يمشي في شارع يمين البيت الذي أمام بيتنا.. فكنت إذا صحوت من النوم وتكون الساعة الثانية أو الثالثة صباحًا وأجده لم يحضر بعد.. كنت غالبا لا أنتظر إلا قليلا وأسمع خطواته في سكون الليل.. وكنت أعرفها ولا أخطئها، ويصعد السلالم.. أحيانًا يكون معه مفتاح الباب فيفتح ويدخل، وأحيانًا لا يكون معه المفتاح فيخبط خبطته التي لا أخطئها أبدًا فأقوم وأفتح الباب فيحييني وأرى في عينيه الحب والامتنان. بعد فترة، نقل العربة إلى جراج في نفس الشارع الذي نسكن فيه، ولم تكن عربات كثيرة تمر أمام البيت، لأن الشارع كان في آخره حائط يمنع الوصول لشارع كوبري القبة من ناحية قصر القبة، والجراج في آخر بيت في الشارع أي بجوار الحائط الذي يسد الشارع. وكنا مسبقا إذا خرجنا سويًّا نذهب للجراج أولا ونرجع البيت سويًّا. لكن بعد نقله العربة للجراج الذي في آخر الشارع كان يوصلني للبيت أولا وينتظر قليلا حتى أصعد وأدخل مسكننا.. ولم أذهب إلى الجراج الثاني أبدًا.

وكنت عندما أصحو بالليل أسمع صوت العربة وهي تمر في الشارع وأرى الضوء، ثم بعد ذلك أسمع خطواته التي أعرفها وهو يقترب من البيت. في ليلة عندما رجع إلى البيت وطرق الباب فتحت له - وكان الوقت ليس متأخرا - سألني: هل تناولت العشاء؟ فقلت له: لا لم أتناوله بعد.. فقال: لقد كنت مع عبد الحكيم، ونحن راجعان عدّينا على محل كباب وكانت رائحة الشواء.. فقال عبد الحكيم: ندخل المحل ونتعشى، وعندما دخلنا فيه وقبل تناولنا العشاء أوصيت بتجهيز كباب لك،

وبعد انتهائنا كان جاهزا.. فوجدته ما زال ساخنا. وقال: لقد قلت في نفسي كيف آكل كباب وتحية تتعشى جبنة؟! فشكرته وقلت تأكل بالهناء. وفي مرة أحضر الكباب وسألني: هل تناولت العشاء؟ فقلت له نعم لقد تعشيت.. لكن رائحة الشواء جعلتني آكل ثانية.. وأحضرت طبقا وشوكة وأخذت في الأكل، وبعد ما أكلت شوية قال لي: يا تحية ما تنسيش إنك اتعشيت وكان يقصد حتى لا أتعب.. وضحكنا.

لم نكن نتناول العشاء سويًا ولا أنتظره على العشاء فكنت أتناوله بمفردي إذ لم يكن له ميعاد، وأحيانًا أشعر برغبتي في النوم وأنام دون تناول شيء. وكان بعد رجوعه يتناول عشاء خفيفا أو لا شيء..

ويسألني إذا كنت قد تناولت عشائي إذا لم يكن الوقت متأخرا.. فإذا لم أكن تناولته نأكل سويًا، وإذا لم تكن لي رغبة في العشاء يقول لي فلتأكلي معي.

أولادنا قبل الثورة كلهم أطفال، ودائمًا يكون واحد منهم بيبي وحجرتهم بجوار حجرتنا.. فكان البيبي عندما يصحو بالليل وأسمع بكاءه أقوم وأبقى معه حتى ينام وأرجع لأنام، وإذا صحا البيبي وبكى واستمر في البكاء وبقيت معه، كان جمال يقوم ويدخل الحجرة ويسأل عن الطفل إذا كنت أعطيته الدواء المهدئ، ثم يحمله ويظل يتمشى به في الحجرة حتى يهدأ الطفل ويكف عن البكاء وينام. وإذا مرض الطفل كان قبل ذهابه للشغل يقول: سأطلب له الدكتور، وكان يطلبه أو يكلف أحدًا في مكتبه أن يطلبه إذ لا يوجد في البيت تلفون.

وكنا نتعامل مع أحد أطباء الأطفال المشهورين أستاذ في كلية الطب.. فغالبا يحضر بعد رجوع جمال من الشغل، وكان يقابله معي ليطمئن على البيبي.

أما إذا كان الطفل متوعكا قليلا وليس به ما يستدعي حضور الدكتور للبيت أو كان محتاجا لتنظيم أو تغيير في غذائه، كان يحجز ميعادا بالتلفون، وعندما يرجع البيت يوصلني لعيادة الدكتور وأمكث في العيادة حتى يحضر الدكتور ويكشف على الطفل، ثم بعد ذلك يرجع جمال العيادة ويوصلني إلى البيت. وأذكر مرة أن مرض خالد وكان عمره عشرة أشهر فخفت عليه إذ كانت حالته تستدعي حضور دكتور بسرعة، وكان جمال في حجرة الصالون مع أحد الضيوف.. فخبطت على الباب وهو

في الصالون فخرج من الحجرة ورأى خالد ووجدني في غاية القلق.. فأحضر أقرب دكتور ليعالجه فورًا بعد أن طلب دكتور الأطفال الذي يتولى أولادنا ولم يجده، ثم بعد ذلك حضر الدكتور المشهور.

كنا نخرج سويًّا ونذهب إلى السينما، وكنا أياما نخرج قبل ميعاد السينما ويركن العربة الأوستن السوداء في شارع جانبي ونتمشى سويًّا في شارع فؤاد - ٢٦ يوليو حاليا - وشارع قصر النيل حتى موعد ابتداء الفيلم.

وفي يوم صورنا أحد المصورين الذين يقفون في شارع فؤاد ليصوروا المارة من دون انتباههم ويعطوه ورقة ليستلم بها الصورة.. وقد أحضرها جمال وأنا محتفظة بها.. وفيها كنت أمشي بجانبه وهو يدخن سيجارة.

في يوم تقابلنا في السينما مع ثروت عكاشة وحرمه، فأوصلناهما لمنزلهما في قشلاق الضباط بالعباسية ونحن في طريقنا لبيتنا. وبعد ذلك كنا نمر عليهما قبل ذهابنا للسينما ثم نوصلهما في رجوعنا عددًا من المرات.

أحيانًا بعد رجوعه من الشغل يقول لي: سأذهب بعد الظهر للجيزة، فلتجهزي نفسك والأولاد لأوصلك لشقيقتك، وعند رجوعي أمر عليكم ونرجع سويًّا. ويحدد لي ميعاد الخروج.. فكنت أسعد بالخروج ومعنا أطفالنا، وأجلس بجانبه والبيبي معي وهدى ومنى في المقعد الخلفي، وعند رجوعه يصعد ويسلم على شقيقتي، وكان لا يتأخر كثيرًا.. التاسعة أو العاشرة مساء.

مدافع وقنابل وذخيرة ورصاص في بيتنا

كان جمال يذهب للسويس وبورسعيد أثناء شغله لتعليم وتدريب الضباط ممن عندهم فرقة، ويغيب لمدة يومين أو ثلاثة، أحيانًا مرة في الشهر أو أقل من شهر أو أكثر، وأحيانًا كان يغيب يوما واحدا.

ولم ينقطع وجود الأسلحة في البيت، ومنها الحجم الكبير أي المدافع التي لا يمكن وضعها في دولاب.. فكنت أضعها في ركن في حجرة السفرة ولا تبقى طويلا.. يوم أو يومان وتختفي وأستريح ثم يصلنا غيرها.

وكانت بالنسبة لهدى ومنى شيئًا مألوفا، وعندما تريان المدافع تقولان: عندنا مدفع كبير يا ماما.. وتجريان وتلعبان فرحتين.. فكنت أقفل باب الحجرة فتنشغلان باللعب في الصالة والفراندة. وكان جمال يحرص على شراء لعب لأطفاله.. وعند إحضاره اللعبة يعلمهم استعمالها، وعند حضوره البيت يقبل أطفاله ويتكلم معهم ويلاطفهم ويداعب البيبي ويقبله، وعندما يكبر ويمكنه الجلوس على السفرة كان يجلسه بجانبه ويلاطفه ويقدم له الطعام ويسعده جلوسه بجانبه.. ويتعود الطفل على النظام في الأكل.

كان في حجرة السفرة دولابان كبيران على جانبي الحجرة، وفي الوسط دولاب آخر أصغر وأعلى كما كان الطراز في ذلك الوقت.. دخل جمال وكنت جالسة في حجرة النوم، وأعطاني مفتاح دولاب منهما وقال: الدولاب الذي على اليمين به قنابل وقد قفلته حتى لا يفتحه الأولاد، فلتبقي معك المفتاح حتى أطلبه. خبأت المفتاح.. وأنا أيضًا أصبحت لا أقرب من الدولاب وخفت منه.. فكان يطلب المفتاح ثم يعطيه لي وأخبئه.

كانت زياراتي للسيدات قليله جدًّا، ولم تكن لي معرفة بالجيران الساكنين في الشارع، والدور الذي تحت مسكنا تسكنه سيدة مسنة لها بنات.. ابنتان منهن تشتغلان حكيمتين وأغلب وقتهما تكونان في المستشفى.. ولم أقابلهما، وابنة متزوجة زارتني في يوم وجلسنا في الصالة إذ كانت معها ابنتها الطفلة أحضرتها لتلعب مع هدى ومنى. سمعت السيدة طرقًا على الباب لزائر سأل عن حرم الص اغ جمال عبد الناصر وأعطاني شنطة متوسطة الحجم وكان بها ذخيرة ورصاص.. حملتها وكأنها فاضية خفيفة ودخلت بها حجرة النوم وقلت للضيفة: إن جمال أرسل الشنطة لأضع فيها ملابسه لأنه عنده شغل غدًا خارج القاهرة.

كل شيء في البيت كان محظورا ولا يبعث على الاطمئنان.. وكنت أعرف ذلك لكن لم أفهم ما هي الغاية، ولم أجد إلا الحرص على الكتمان. وفي يوم رأيت في الحجرة كتابا عن أحد المقربين من الرسول عليه الصلاة والسلام هو «أبو ذر الغفاري»، أول اشتراكي في الإسلام.. حضر جمال ووجدني أقرأ فيه فقال لي: هذا الكتاب ممنوع في مصر وسآخذه بعد يومين.. فزادت رغبتي في قراءته.. وقرأته وقلت في نفسي: كل شيء أراه في البيت ممنوع حتى الكتب!

كانت زيارات شقيقاتي لي قليلة، وإذا حضرت واحدة منهن تجلس في الصالة لوجود الضيوف في الصالون، وكانت شقيقتي الكبرى تقول لي: كل مرة نزورك نجد عندكم ضيوف والصالون مشغول.. وتقول: الصالة برد.. فكنت أقول لها: إن جمال يعطي دروسا للضباط الذين سيتقدمون لكلية أركان حرب.

لم يكن على باب مسكننا جرس وكنت أقول في نفسي: كيف لا يكون على باب مسكننا جرس؟ ولم يقل لي شيئًا عن الجرس.. وأنا لم أعلق.

كنت سعيدة هانئة لم يضايقني أي شيء أبدًا، وكل ما يدور حولي أجده حياتي السعيدة وأضحك كثيرًا.. ورغم سهر جمال خارج البيت وانشغاله لم أشك أو يخطر في بالي أن أشك في وفائه ونبله وإخلاصه وحبه لي ولأولاده.. وكل شيء أراه في نظرى السعادة فقط وأحرص على أن أقوم بكل ما أستطيع وألّا أغلط.

كان الضباط والزوار الذين يضحكون ويهرجون ولا يمكثون طويلا في نظري زوارا عاديين، وهؤلاء الذين يحضرون في أوقات مختلفة ويجلسون في الصالون والحديث يكون بصوت خافت كنت أسميهم في نفسي إنهم من إياهم.. وأقول في نفسي هذا من إياهم.

رقي جمال لرتبة البكباشي وعين مدرسا في كلية أركان حرب.. يعني كل شغله وأنا معه كان يعلم أولا الطلبة في الكلية الحربية، ثم في مدرسة الشئون الإدارية يعلم الضباط قبل ترقيتهم، ثم في كلية أركان حرب.. يعلم الضباط بها.. يعني لم أره إلا وهو يعلم.

كان المراسلة الجديد فلاحًا من الريف لا يقرأ ولو حتى حرف.. كان يقول عن الأسلحة التي يراها في البيت: إنها علشان جناب البكباشي طالع الجبل مع الضباط يعطي دروسًا.

إذا زارتني سيدة دون ميعاد وكانت الأسلحة في حجرة السفرة.. بعد أن يفتح المراسلة الباب أقول له: قبل أن تفتح باب حجرة الصالون الذي على السلالم أسرع وانقل الأسلحة إلى حجرة المكتب.. وكنت أقول في نفسي: وقوف السيدة الضيفة على الباب دقيقتين سيضايقها وإنه ليس من اللياقة، لكنه أحسن من أن ترى الأسلحة

وتبقى مصيبة! وفي مرة كنت جالسة في الصالة بعد الظهر بعد خروج جمال فرأيت المراسلة يحمل صندوقا به مدافع حجم المدفع الذي يحمله جندي الجيش، وكان الصندوق قد وصلنا من قبل. رأيت المراسلة يفتح الباب ليخرج به فقلت له: أين أنت ذاهب بهذا الصندوق؟ قال: جناب البكباشي طالع الجبل باكر، وقال لي أنظف الأسلحة.. وسأنظفها بالجاز على سلم حجرتي بالبدروم، وكانت حجرته في مدخل البيت فقلت في نفسي: كيف يجلس على باب البيت ينظف الأسلحة؟ دي تبقى مصيبة. قلت له: أنت عارف يوجد أولاد كثيرون يلعبون الآن، وربما وأنت جالس تنظفها تضيع منك قطعة وتبقى مسؤول. فرد: نعم دي فيها جزا كبير للجندي إذا ضاعت منه البندقية أو قطعة منها، وكان يسميها البندقية، وقال: سأنظفها في المطبخ أحسن.

الأسلحة تنقل من المنزل للعمل ضد الإنجليز في السويس

قال لي جمال إن الأسلحة التي أراها في البيت تنقل للسويس والأماكن التي فيها إنجليز، ليقتل منهم ويشعروا بالقلق، وبأنهم في بلدنا غير آمنين على حياتهم. وأضاف إن الخطط توضع هنا في البيت، وكل واحد رايح السويس يمر عليّ قبل ذهابه، فسألته إذا كان هو يذهب هناك.. فقال لي: نعم إني أذهب.. وطبعًا رجوته ألّا يذهب.

مرة أخرى حضر أحد الضباط، وكان الوقت بعد الغروب وأعطى المراسلة كيسا كبيرا، وقال له: إن به عدد ٢ سرير سفري، وعندما يحضر البكباشي جمال سيختار منهما واحدا والثاني سيرجع للمحل، وهما ملفوفان بالورق فلا تفتح الكيس. وأوصاه بوضعهما في مكان بعيد عن الأولاد ليظل الورق عليهما. نظرت للكيس وفهمت أنهما مدفعان كبيران. وعندما رجع جمال حدثه المراسلة عن الكيس وعمّا قاله الضابط، وكان في الصالة وكنت واقفة. وبعد أن دخل جمال الحجرة دخلت وراءه مسرعة وقلت له بصوت منخفض وأنا أضحك من المراسلة: إنهما مدفعان كبيران وليسا سريرين.. فقال لي جمال: عارف أنهما مدفعان، وأنا الذي أرسلتهما مع الضابط.

هذا كان يحصل في بيتنا وكنت دائمًا مرحة سعيدة أضحك كثيرًا.

الآلة الكاتبة ومزيد من الحذر مع الزائرين

وجدت يومًا في حجرة السفرة آلة كاتبة موضوعة فوق الدولاب الذي لا أفتحه. وبعد تناولنا الغداء في الوقت ما بين الظهر والعصر دخل جمال حجرة السفرة ووضع الآلة الكاتبة على الترابيزة وأخذ يكتب عليها.. سمعت التكتكة، وكانت أول مرة أراه يكتب على آلة كاتبة فقلت له: أنا عارفة أنت بتكتب حاجة لا تريد أن تكتبها بخطك.. فرد وقال: لا تشغلي نفسك ولا تفكري في شيء. ظلت الآلة الكاتبة موجودة في حجرة السفرة موضوعة فوق الدولاب أياما، فلم يعجبني منظر الحجرة وفيها الآلة الكاتبة فنقلتها ووضعتها خلف الدولاب حتى لا تظهر. سألني جمال: أين الآلة الكاتبة؟ وكان يريد أن يكتب عليها، فقلت له عن مكانها، وإن منظرها في الحجرة لم يعجبني ووجدت أنها ظلت في البيت ولم تأخذها فوضعتها في هذا المكان حتى لا تكون ظاهرة في الحجرة.. فقال لي: افعلي ما تريدين وضعيها في أي مكان يعجبك. ولم يخطر في بالي أبدًا أنها شيء وجوده في بيتنا خطير، ومنظرها فقط في الحجرة هو الذي لم يعجبني، وهو طبعًا لم يقل لي شيئًا.

وظلت الآلة الكاتبة في بيتنا حوالي سنتين، وكان دائمًا إذا استعملها يكون في نفس الوقت.. بعد الغداء مباشرة.

في يوم قال لي: تحية تخلصي من كل ورقة مكتوب فيها أي اسم في البيت.. إذ كان يأخذ الأوراق المكتوب فيها أسماء الضباط والزوار الذين يحضرون في غيابه ويتركها في حجرة النوم أو تظل فوق البيانو بعضها فوق بعض.. وكنت أحرص على ألّا أضيع أي ورقة تخصه، فتخلصت منها وأحرقتها.

كنت أخرج معه عند شراء ملابسي، وهو الذي قال لي: إذا أردت الخروج لشراء ملابسك أخرج معك بعد الظهر. وكان يحدد لي ميعادا ونخرج.. فكنت أشتري ما يلزمني بسرعة وأقول له: سوف أذهب في الصباح بمفردي وأختار بدون استعجال فيقول لي: كما تريدين. فكنت أخرج بمفردي وأجد صعوبة في المواصلات وأتعب وأتأخر في الرجوع، وعندما أذهب إلى البيت أجده رجع من الشغل فأقول له: سوف أذهب معك في العربة وأختار بسرعة أحسن.. فكان يضحك ويقول كما تريدين افعلي ما يريحك.

إنه يحب النظام في كل شيء، فكنت أحرص على أن يكون كل شيء في البيت منظما مرتبا، والأولاد يكونون مرتبين حسني الهندام، وكانت هدى ومنى عند حضور الضيوف بعد أن يدخلوا الصالون وقبل مقابلة جمال لهم، أحيانًا تسبقانه وتجلسان مع الضيوف تتحدثان ويلاطفهما الزوار، وبعد دخول جمال تسلمان على الضيوف وتخرجان. وخالد.. عندما تعلم المشي كان يدخل هو أيضًا ويدخل جمال فيجده مع الضيوف.. فيطلب من المراسلة أن يحمله خارج الصالون أو هو بنفسه يحمله أو يصحبه بيده ويوصله لي وهو يضحك ويقول: وجدته قاعدا مع الضيوف يتحدث. وأنا أيضًا لم يرني أبدًا إلا حسنة الهندام رغم أني مشغولة جدًّا، فلم أنس أبدًا أناقتي في البيت.

سنة ١٩٥١..

دخلت هدى مدرسة روضة أطفال كوبري القبة، وهي في الشارع التالي للشارع الذي فيه بيتنا، وقريبة وممكن أسمع جرسها. وكنت أجلس معها أعلمها كيف تكتب أي ترسم الكلمة، وكانت الطريقة الحديثة شرشر.. وتملأ الصفحة حسب طلب المدرسة.

مرضت هدى بالسعال الديكي - وطبعًا منى وخالد أيضًا - وامتنعت هدى عن الذهاب للمدرسة، وكان يصلنا رسائل عن غيابها وأخبرناهم بمرضها. وبعد شهر شفيت إلا أنها لم يسمح لها بالذهاب للمدرسة حسب التعليمات إلا بعد شهرين. قال لي جمال: فلتذهبي للمدرسة وتقابلي مدرسة فصلها، وتحضري الدروس وتعلميها أنت في البيت حتى لا تتأخر عن زملائها.. وكانت هدى مجتهدة وشهادتها تصلنا كل شهر ونقرأ التقدير عن اجتهادها وشطارتها.

ذهبت إلى المدرسة حسب طلبه وقت خروج الأطفال، وطلبت مقابلة مدرسة الفصل فرحبت بي وقالت: إن هدى أشطر الفصل وأنا أجلسها أمامي، وأرتني مكان هدى وسألتني عن صحتها فقلت: إنها تحسنت إلا أنها لا يسمح لها بالحضور للمدرسة، أرجو أن تعطيني الدروس وأنا أعلمها في البيت، فشكرتني على اهتمامنا، وأحضرت الكراسات الخاصة بها التي أعدتها للتدريس، وأخذت تشرح لي طريقة

تدريس ما فات هدى، وقالت: فلتبقيها عندك حتى تحضر هدى، فشكرتها جدًّا، وعند رجوع جمال حكيت له عن زيارتي للمدرسة.

قال لي جمال قبل خروجه: تحية لا تفتحي الباب لأي زائر قبل أن تتأكدي منه، وافتحي الباب من فوق أولا، إذ كان الجزء العلوي منه حديدا بشكل أعمدة مستديرة خلفها ضلفة زجاج، وعند فتحها يظهر الواقف خلف الباب. قلت له: أنا أفعل ذلك هذه الأيام تلقائيا حتى لا أظهر، إذ كنت في الحمل الرابع.

في يوم آخر قال لي: إذا حضر أحد وطلب أن يدخل ويفتش البيت فلتكوني شجاعة وتقولي: لا أسمح لأحد أن يدخل في غياب جمال عبد الناصر، ولا تخافي ولتقفلي الباب في وجهه. فقلت له: حاضر.. وانتهى الحديث ببساطة عادية وخرج.. ولم أشعر بقلق إذ لم يكن عندي وقت للقلق.

كان صلاح سالم يحضر بيتنا.. وكان جمال يذكر اسمه وأن أولاده يقابلونه عندما يذهب له، وكان يسكن في قشلاق الضباط بالعباسية.

صيف سنة ١٩٥١..

تتقدم بي شهور الحمل، الحركة في البيت في ازدياد وكل ما أراه حولي في ازدياد. تحدث معي جمال يوما وقال: أنا مشغول جدًّا وأفكر كثيرا، فقلت له: إني أرى كل ما يدور حولي غير عادي، وعارفة إنه يخالف الحكومة وضدها، فما هي الغاية؟ وما هو الهدف؟ فقال لي: الأحسن ألّا تعرفي شيئًا وتظلي كما أنت.. فقلت له: أيوه أحسن ربما ألخبط الدنيا إذا سئلت.. فضحك وقال: وتغرقيني.. فقلت: خليني زي ما أنا أحسن.. لا أفهم شيئًا.

ميلاد عبد الحميد

أكتوبر سنة ١٩٥١..

الشغل مدرس في كلية أركان حرب.. الكلية قريبة من بيتنا.. احتمال شعوري بالوضع وهو الذي يرافقني في ذهابي للمستشفى. في الأسبوع الأخير قال لي: إذا شعرت بأعراض الوضع أرسلي لي المراسلة في الكلية وأحضر، وإذا لم يجدني لا تنزعجي وتطلبي تاكسي وتكوني شجاعة وتذهبي إلى المستشفى.. وكان لا يسهر خارج البيت ولا يتأخر عن العاشرة مساء.

كان الحديث عن المولود فقلت له: إني أريده ولدا حتى لا يكون خالد مدللا ويبقى ولد وثلاث بنات.. فقال لي: كوني مطمئنة سوف لا أعطيه فرصة ليكون مدللا.. ما فيش حد يتدلع.

زارتني شقيقتي واقترحت عليّ أن أسمي المولود إذا كان ولدًا عبد الحميد على اسم أخي.. فقلت لجمال فرحب وقال: نسميه عبد الحميد. بعد أيام قليلة قبل خروجه في المساء قال سأذهب للكلية.. إذا شعرت بشيء أرسلي لي المراسلة هناك. وبعد وقت شعرت بأعراض الوضع وأرسلت له المراسلة، وحضر بسرعة وذهبنا إلى المستشفى.. وفي الساعة العاشرة مساء ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥١ ولد عبد الحميد (الضابط البحري)..

هنأني جمال وقال: ولد تاني مبسوطة؟ وقال: عبد الحميد.

الوقت شتاء وعبد الحميد (ميدو) البيبي بلغ من العمر شهرًا. خرجت مع جمال بعد الظهر لشراء ما يلزمني من الملابس. في طريقنا تغير الجو والسماء امتلأت بالسحب، وصلنا شارع فؤاد وقصر النيل واشتريت ما يلزمني. في الطريق ونحن راجعان نزل مطر وعندما وصلنا مدخل مصر الجديدة ازداد المطر بغزارة وأخذ يهطل بشدة حتى وصلنا إلى البيت.

بعد دقائق خرج جمال، وأنا مندهشة كيف يخرج في هذه الليلة، ولم يمكث في البيت. رجع متأخرا وحذاؤه مبلل وقال: المطر غزير جدًّا.. لقد كنت مع صلاح سالم، وكنا راجعين وأنا أوصله لبيته وجدنا القشلاق غارقا بالمياه ولم أستطع الدخول بالعربية في الشارع، فنزل صلاح سالم عند مدخل الشارع وخلع حذاءه ورفع بنطلونه وطواه حتى الركبة، وحمل حذاءه في يده ومشى في بحر لمنزله.. وكان يضحك وهو يحكي، وطبعًا تصورت المنظر وضحكت أنا كمان.. قال: العربات وقفت في الشوارع من غزارة المطر، والحمد لله وصلت بالعربة حتى قرب البيت والموتور تعطل ووقفت فتركتها في الشارع حتى الصباح. وفي ثاني يوم نشر في الجرائد عن المطر وأنه لم يحدث مثله منذ سنوات عديدة.

ذهبت منى إلى المدرسة مع هدى. كل وقتي مشغول في المنزل.. البيبي، وأصبحت أعلم هدى ومنى الكتابة وأجلس معهما أثناء عمل الواجب.

تزايد حركة الزوار في البيت وخروج جمال دائمًا مسلحا وبالملابس الرسمية

الزوار.. ازدادت الحركة في البيت كثيرًا جدًّا.. ومنهم من يحضر قبل وصول جمال مباشرة يعني وقت خروجه من الشغل، وينتظرونه حتى يحضر.. ويتكلم معهم وينصرفون.

حضر زائر قبل رجوع جمال من الشغل وجلس في الصالون ينتظره، وبعد حضور جمال طلب الغداء مع الضيف. ثم حضر الزائر بضع مرات ينتظر جمال ويتغدى معه، وكان المراسلة عندما يفتح الباب له ويدخله الصالون يقول لي: إنه الضيف الذي يحضر وينتظر جناب البكباشي ويتغدى معه. وطبعًا لم يكن يترك ورقة مكتوبا عليها اسمه. قال لي جمال: إنه ضابط مكان شغله ليس في القاهرة، ويسكن الروضة، وهو الآن حضر في إجازة.. وكان هذا الزائر أنور السادات.

وبعد بضعة أشهر والوقت ابتداء صيف سنة ١٩٥٢ على ما أذكر.. حضر زائر وكان بعد خروج جمال في المساء قبل المغرب، وكان المراسلة غير موجود ففتحت له الباب وسأل عن البكباشي جمال عبد الناصر، فقلت له إنه خرج.. فكتب ورقة وانتظرته حتى أعطاها لي.. وضعتها فوق البيانو كعادتي، وبعد رجوع جمال أخبرته بحضور الضيف وأنه أعطاني الورقة بعد أن كتبها، وقلت: إنه أسمر شديد السمرة، فقال: إنه متزوج حديثا وزوجته بيضاء جدًّا.. وكان هذا الضيف أنور السادات.

الحركة في بيتنا ازدادت جدًّا لأقصى حد من حضور الزوار وخروج جمال. في يوم قال لي: سنذهب إلى السينما.. وكان هو الذي اقترح الذهاب وحدد لي وقت الخروج.. كنت أستعد وظللت أنتظره في الصالة جالسة على الكنبة أسمع الراديو قبل أن نخرج. وبعد أن جهزت ما يلزم البيبي والأولاد انتظرته حتى يحين وقت الخروج.. وانتظرته حتى وقت عرض الفيلم ولم يخرج من الصالون. وبعد فوات وقت السينما جاءني في الصالة واعتذر وقال: معلهش يا تحية انشغلت وفات ميعاد السينما.. فقلت له: معلهش نخرج يوم تاني ووضعت شنطة يدي في الدولاب. لم يكن شيء يضايقني أبدًا ولا أرى إلا حبه وإعزازه لي.

كان لا ينسى أبدًا أعياد ميلاد أطفاله رغم انشغاله الزائد وإهداءه لهم اللعب.. أنتظره حتى حضوره ونحتفل سويًّا، وأحرص على ألّا ينام الطفل إذا تأخر في الحضور.

يناير سنة ١٩٥٢..

هدى ومنى في المدرسة وخالد يبلغ من العمر سنتين وعبد الحميد البيبي شهرين.. كل ما يحيط بي يبعث على القلق.. والحركة في البيت وكثرة الضيوف، وعمل الواجب مع هدى ومنى.. كل ذلك لم يترك لي وقتا أبدًا أفكر فيه حتى أقلق وينشغل بالي.. والسعادة والرضا يتغلبان على مشاعري فلا أحمل هما أبدًا.. وبقيت كما أنا تحية السعيدة الهانئة في حياتها مع جمال عبد الناصر الحبيب وأطفالنا الأعزاء.. أقوم بكل ما أستطيع عمله. وعندما يأتي المساء أشعر براحة وسعادة وأنا جالسة على الكنبة في الصالة أو على الفوتيه في حجرة المكتب أقرأ أو أستمع للراديو.. وربما غلبني النعاس فأقوم وأنام.

٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ يوم حريق القاهرة..

رجع جمال من الشغل وأخبرني عن الحريق وسمعت في الإذاعة التفاصيل. وبعد تناولنا الغداء رأيته يخرج فقلت: الحريق ما زال مشتعلا..فقال: لا تخافي سأرى ماذا حصل وأرجع.. وظل في الخارج حتى الليل ولم يحضر. وقفت في شباك حجرة المكتب.. وكان يطل على حديقة منزل الجيران، وأرى الشارع من الناحية الأخرى، وأرى بوابة قصر القبة من بعيد والعلم المرفوع فوقها.. فوقفت أفكر وأنتظر جمال وكان الطقس باردا. لم يسهر لساعة متأخرة؟ وعندما حضر حكى لي عما شاهده في البلد.. وأنه تجول في الشوارع التي حصل فيها الحريق.

في اليوم التالي نشر في الجرائد وأذيع في الراديو عن منع التجول بعد السادسة مساء، وأن من يمشي في الشارع يضرب بالرصاص.

رجع جمال من الشغل.. وبعد الغداء خرج بالملابس العادية، وقبل الساعة السادسة مساء وقفت في الفراندة التي في حجرة الصالون والتي أرى منها شارع مصر الجديدة وميدان المستشفى العسكري.. في ذلك الوقت كنت واقفة أرى الجيران والساكنين في الشارع كل واحد راجع لمنزله إما بمفرده أو مع زوجته أو عائلته.. والعربات تمر في الشارع والوقت المغرب أي قبل السادسة، وكنت أنتظر حضور جمال.. وقلت في نفسي: إنه سيحضر اليوم مبكرًا وسيظل في البيت وسوف لا يزورنا أحد.

وسرتني الفكرة. قبل السادسة بقليل لم يكن أحد في الشارع والدنيا سكون وكانت الساعة السادسة ولم يحضر جمال.. والسابعة والثامنة والتاسعة ولم يحضر، وكنت قفلت باب الفراندة لبرودة الجو ووقفت خلف الزجاج أنظر للشارع علني أرى العربة.. وأنا في شدة القلق أقول في نفسي: كل الناس روحت ولا أسمع صوتا في الشارع وجمال لم يحضر.

وفي الساعة العاشرة والنصف وصل جمال.. حياني وقال لي: رأيت نور حجرة الصالون.. من عندك؟ قلت: لا أحد كنت أنتظرك وخايفة عليك.. وكان الاضطراب ظاهرا على وجهي فقال: لا تخافي.. وهو يضحك.. أنا كنت عند أحد الضباط ويسكن قريبا في الزيتون، ورجعت من شوارع داخلية ضيقة ولفيت وحضرت ولم أقابل أو يرني أحد.

وفي اليوم التالي نشر في الجرائد عن الذين يسمح لهم بالتجول منهم الشرطة والضباط.

لم يتغير الحال في بيتنا والذي تغير هو الملابس فقط.. وأصبح جمال يخرج بالملابس الرسمية، وكل الذين يحضرون يلبسون الملابس الرسمية طول مدة منع التجوال.

في يوم.. والوقت قبل الظهر قبل رجوع جمال من الشغل.. حضر ضابط وطلب مقابلتي، وأعطاني دفتر دوسيهات كبير لونه بني. ففتحته.. فوجدت أوراقا بعضها فوق بعض.. قرأت واحدة والتي تليها.. وجدت نفس الكلام المكتوب.. وفهمت أنها منشورات مهاجمة لنظام الحكم في البلد، وكنت أعرف جيدا عن خطورة المنشورات. وضعت الدوسيه فوق الدولاب الذي لا أفتحه في حجرة السفرة وقلت في نفسي: هذه هي المصيبة الكبرى.. وجود هذه المنشورات عندنا. لم أقلق إلا لدقائق فقط وانشغلت ونسيت.

وفي اليوم التالي دخلت حجرة السفرة على أمل ألا أجد الدفتر.. ووجدته اختفى فقلت: الحمد لله وشعرت بالارتياح. بعد أيام وصل خطاب باسم البكباشي جمال عبد الناصر.. وكان نفس المنشور ولم يكن الخطاب مغلقا. للآن ما زلت لا أعرف ما القصد والهدف إلا أني أخشى على جمال وما سيحصل إذا وصل الملك ورئيس الوزراء أخبار عنه.

كنت في الحجرة وكان جمال يستعد للخروج وقت الغروب، وبعد أن لبس القميص وقبل أن يلبس الجاكيت أخرج مسدسا من الدولاب ولبسه فوق القميص.. أي يعلق من الكتف بطريقة كما لو كان قد لبس صديريا بدون أكمام، ثم لبس فوقه الجاكيت.. فاندهشت وقلت: ماذا لبست؟ ولماذا تحمل هذا المسدس؟ وانهرت وبكيت.. فقال لي: إني مضطر إلى أن أحمله ولا تبكي ويكفيني ما أنا فيه، وقال: يعني بلاش أحمل المسدس؟ فقلت له: لا.. افعل ما تراه أحسن لك، وخرج وهو لابس المسدس. بعد أن خرج وقفل الباب جلست على الكنبة في الصالة أبكي وأقول في نفسي: إنه خرج وهو يحمل المسدس لسببين: إما إنه يخشى أن يطلق عليه أحد الرصاص.. وإما هو سيطلق الرصاص على أحد، وفي كلتا الحالتين مصيبة، واستمررت في البكاء.. وكانت أول مرة أشعر بخطورة ما يحيط بي وأقلق وأحمل هما.

لم يسهر طويلا في هذه الليلة.. ورجع وكنت مستلقية على السرير ولم أنم.. فحياني كما هي عادته عند رجوعه، وخلع المسدس وفرغه من الرصاص ووضعه فوق دولاب الملابس والرصاص بجانبه أيضًا، وحمدت الله أنه رجع بالسلامة. وفي الصباح خرج للشغل كالعادة والمسدس فوق الدولاب. وعند المساء خرج ولم أكن في الحجرة وقت خروجه، وبعد أن خرج وقفت فوق كرسي لأرى إذا كان المسدس موجودا فوق الدولاب فلم أجده. وطبعًا لم أنم حتى رجع ورأيته خلع المسدس وفرغه ووضعه في مكانه كالليلة السابقة. وقلت في نفسي: الحمد لله.. وبعد ذلك كان يخرج ويلبس المسدس.. وأصبح الأمر عاديا بالنسبة لي. وكان أحيانًا قبل خروجه إذا كنت في الحجرة أحضره له بنفسي، وكان هو يضعه فوق الدولاب ويقربه من الطرف حتى يسهل إحضاره.

وفي يوم كنت أحضره له فقال لي يحذرني بسرعة: خلي بالك إني لم أفرغه أمس. بعد ذلك كان بعد أن يخرج إذا وجدت المسدس فوق الدولاب أرتاح وأقول في نفسي: إنه في مكان آمن، وإذا لم أجد المسدس أنشغل حتى يحضر وأحمد الله، ولو أني كنت إذا طال سهره أنام وأصحو على صوت المسدس وهو يفرغه ويضعه فوق الدولاب.

أحيانًا كنت أنام وأصحو في آخر الليل وجمال لم يحضر.. وأنا عارفة أنه يحمل المسدس، فلم أكن أنتظر إلا قليلا وأرى نور العربة وهي تمر في الشارع.. فكنت أقوم وأقف في الشباك وألاحظه وهو راجع من الجراج، وأسمع خطواته وهو يقترب من البيت، وأنتظره حتى يفتح الباب ويدخل يقابلني في الصالة ويحييني. وكان رجوعه سالما يشعرني بالسعادة عند رؤيته فيقول لي: أنت لسه صاحية؟ أقول له: أنا نمت وصحيت من وقت قصير وسمعتك وأنت راجع وانتظرتك. وفي أحيان أخرى كنت أفتح له الباب وهو طالع على السلالم وأقف دون إضاءة النور.. فيحييني ونضحك.

في يوم كان يوصلني لشقيقتي في الجيزة ومعي أولادنا، كما هي العادة عندما يكون في مكان قريب من بيت إحدى شقيقاتي ويرجع لنا ونروح سويًا. عندما قابلتني شقيقتي قالت: وحشنا البكباشي جمال لماذا لم يطلع معك ويجلس معنا بعض

الوقت؟ من مدة لم يزرنا. وكان يحمل المسدس فتذكرته وقلت في نفسي: إنها لا تدري.. كيف سيزورها الآن؟

نشر في الصحف عن مقتل أحد الضباط وهو في طريقه لمنزله في شارع الروضة.. فخشيت على جمال وخفت من الملك وأعوانه، وطبعًا لم أقل أي شيء أمام جمال ولم أعلق بكلمة، فكنت عند خروجه إذا لم يكن يحمل المسدس أذكره به وأقول: هل أحضر لك المسدس؟ فيقول إني سأذهب لمكان قريب من هنا.. ويضحك لأني أذكره به.

كان يكتب على الآلة الكاتبة بعد الغداء مباشرة، وكان يرسل المراسلة لأحد الضباط في منزله ويردد المراسلة اسم الضابط ويقول: عبيد أفندي الذي يسكن عند محطة كوبري القبة في الدور الأول، وعندما يرسله جمال إليه في مهمة يقول: حضرت من عند عبيد أفندي أو ذهبت لعبيد أفندي.. ولم أسمع عن حضور عبيد أفندي لمنزلنا، وكان هو حمدي عبيد الذي عين فيما بعد الثورة وزير دولة. وعندما قرأت اسمه في الجرائد تذكرت أيام قبل الثورة والمراسلة وهو يردد اسمه وضحكت وقلت: إنه عبيد أفندي.. وكانت ماكينة طباعة المنشورات موجودة عنده في المسكن الذي في كوبري القبة.

كان خالد محيي الدين يحضر لمنزلنا والمراسلة يذكر اسمه عند حضوره، وقد حدثني جمال عن مرض ابنته الطفلة التي تبلغ من العمر شهورًا.. وكان متألما لمرضها.

الأيام السابقة على ثورة ٢٣ يوليو

ابتداء الصيف.. شهر مايو ويونية سنة ١٩٥٢ في شهر رمضان..

البيت كما هو.. الحركة والخروج والسهر حتى السحور، وحضور الزوار قبل موعد الإفطار وبعد الإفطار. وانتهى رمضان وكان يوم العيد فنذهب لزيارة أخواتي.. قال لي جمال: نذهب لشقيقاتك في الجيزة.. وكانت اثنتان تقطنان في عمارة واحدة. ركبنا العربة.. هدى ومنى وخالد في الخلف وأنا بجواره أحمل ميدو البيبي.

عندما اقتربنا من البيت، وهو على شارع الجيزة نظر لي جمال وقال: تحبي أمشي بكم شوية للهرم والجو لطيف. قلت له: نعم إنه يسرني ومعنا الأولاد.. شكرًا.

ومشينا بالعربة في طريق الهرم، وأوقفها بالقرب من صندوق بريد، وفتح مظروفا كبيرا كان في العربة وأخرج منه جوابات صغيرة الحجم وعددها كبير.. كمية جوابات، ووضعها في صندوق البريد ومشى بالعربة حتى قرب الهرم، ثم نظر لي وقال: نرجع بقى؟ قلت: نعم.. وأدركت أنها المنشورات.. ولم أقل كلمة ورجعنا والأولاد من الفسحة في طريق الهرم لزيارة أخواتي.

بعد العيد مباشرة قال لي: عندي إجازة لمدة أسبوعين فقط، وسيكون امتحان الضباط في كلية أركان حرب وأنشغل.. نسافر إسكندرية نقضي عشرة أيام مع الأولاد؟ قلت: نعم نذهب لإسكندرية.. وكنت لم أذهب هناك منذ زواجنا أي منذ ثماني سنوات، أما هو فقد ذهب مرات قليلة لمدة يوم أو يومين لزيارة والده وإخوته الذين يقيمون بها. وكان ذلك في يوم ٢٩ يونية سنة ١٩٥٢.

خرجنا في الصباح في العربة الأوستن السوداء ومعنا أولادنا لإسكندرية وكان ميعاد زواجنا.. هنأني وهنأته بعيد زواجنا الثامن، وفي الطريق قال لي: إنها مصادفة.. اليوم عيد زواجنا ونحن نذهب سويًّا ومعنا أولادنا بعد ثماني سنوات منذ ذهابنا سويًّا. وقال: هناك سأبقى معك في الصباح على البلاج حيث أستحم في البحر مع هدى ومنى وخالد وسأحملهم وأعومهم، وبعد الظهر سأخرج ثم أرجع قبل المغرب وأخرج معكم في العربة حتى الليل.. يعني الساعة الثامنة أو التاسعة وأرجعكم اللوكاندة، وكان قد سافر من قبل وحجز لنا في لوكاندة بسيدي بشر وكانت جديدة البناء وعلى البحر، ثم قال: وبعد ذلك سأخرج بمفردي لأقابل ضباطا هناك.. فقلت له بالحرف: هم إياهم دول برضه رايحين ورانا في إسكندرية؟ فضحك جدًّا وهأهأ من كلمة إياهم وقال: كثير منهم سبقنا إلى هناك، ومنهم باقون في القاهرة.

كنا في سيدي بشر وكل الحكومة تسكن سيدي بشر.. وأسمعه يردد اسم حسين سري ويقول: حسين سري سافر.. حسين سري حضر.. وكان منزله بالقرب من اللوكاندة، وكلما مررنا بمنزله في طريقنا ينظر إليه.. أي منزله ويردد اسمه وأنا لا ألتفت ولا أشعر بأن وجود حسين سري في إسكندرية أو عدم وجوده شيء مهم.. وكنت أرى أنها مجرد ملاحظة.

كنا نذهب إلى البلاج أمام اللوكاندة ونجلس تحت الشمسية وينزل البحر ويأخذ هدى ومنى وخالد ويعومهم ويحملهم في المياه.. وأنا جالسة تحت الشمسية ألاحظهم وبجانبي كرسي الأطفال جالس فيه ميدو البيبي الذي لم يتجاوز ثمانية شهور.. ونرجع وقت الغداء، وبعد ذلك يخرج ويغيب حتى الغروب - موعد خروجنا - ويقول: أنا كنت جالسا قريبًا من اللوكاندة في الكازينو مع بعض الضباط. وبعد أن نمشي بالعربة على الكورنيش يركنها ونتمشى سويًّا ساعة غروب الشمس، وفي المساء يوصلني اللوكاندة وقت العشاء، ثم يخرج وينام الأطفال وأبقى في الفراندة بعض الوقت وأنام حتى يرجع.

في يوم ١٠ يولية رجعنا للقاهرة. قبل مغادرتنا إسكندرية قال: نرجع من الطريق الزراعي. في أثناء عودتنا رأيت اللافتات مكتوبا عليها تفتيش الأمير... تفتيش

الباشا... وعليها أسماء لأمراء من الأسرة المالكة وباشوات من الإقطاعيين، والطريق الزراعي أغلبه ملك للملك والأمراء والباشوات فقلت: كل الأراضي والتفاتيش دي ملك للملك والأسرة والباشوات؟ فنظر لي جمال وأنا بجانبه وقال: سوف لا يكون هناك أراض ولا تفاتيش يملكها أمراء ولا باشوات!.. ولم أنتبه لقوله، ولم أعلق بكلمة ولم أفهم شيئًا.

رجعنا من إسكندرية، وبعد أيام قليلة حضر أشقاؤه عندنا. والحياة في البيت كما هي والحركة في ازدياد بشكل غير معقول.. إذ كان عندما يرجع جمال من الشغل يكون في انتظاره ضباط، ويبقى معهم ويطلب الغداء ويظل معهم، وعندما يخرج لا يرجع إلا عند طلوع الفجر.. والوقت صيف والجو حار.. أنام وأصحو وأجد الوقت فجرًا ولم يحضر.. أقوم وأنتظر حضوره.. أنظر من الشباك.. وظل يخرج بالمسدس.

الأسبوع الأخير قبل الثورة

بعد رجوع جمال إلى البيت بعد طلوع الفجر دخل الحجرة، وبعد أن حياني كعادته قلت له: إني أخاف عليك وأخاف التشرد والأولاد.. فرد وقال: يا للأنانية كل ما يهمك في البلد هو زوجك وأولادك.. عائلتك فقط؟ يعني أنك لا تفكرين إلا في نفسك.. وانتهى الحديث ولم أقل كلمة، ومشى ليخرج إلى الصالة فالتفت لي وقال: تعالي نجلس سويًّا مع إخوتي في حجرة المكتب.. إنهم استيقظوا من النوم، وكان شقيقه يضع سريرا سفري في الحجرة أثناء الليل. جلست معهم.. وبعد قليل استأذنت وقمت لأخرج من الحجرة فقال لي: أين أنت ذاهبة؟ قلت سأذهب لأصلي.. فنظر في ساعته وقال: أسرعي حتى لا يفوتك وقت صلاة الفجر فالشمس قربت من الشروق.. وبدا على وجهه الارتياح والحب والعطف.

وحتى الآن لم أفهم ما الهدف وما الغاية.. لم أفهم إلا خطورة ما يجري أمامي.

قبل الثورة بأيام قليلة قال لي إنه مشغول جدًّا في امتحان كلية أركان حرب، وإنه يشتغل في تصحيح أوراق الامتحان، وقال لي: اخرجي واتسلي واذهبي إلى السينما مع أخواتك، واصحبي معك هدى ومنى وخالد - وكان عمره سنتين ونصف - ليروا ميكي ماوس وتذهبي إلى سينما الفالوجة.. وهي قريبة من منزلنا وممكن نذهب لها مشيا، أو أي سينما تعجبك في مصر الجديدة وأغلبها صيفي الآن والجو حار.. فقلت: نعم سأذهب.. وبقيت كما أنا سعيدة هانئة كل وقتي مشغول، وذهبت للسينما واصطحبت الأولاد كما قال لي.

قبل خروجه في الصباح قال لي: جهزي أكل زيادة لعدد من الضباط.. ويخرج

بعضهم ويحضر غيرهم ثم ينصرفون، ويخرج إما بمفرده أو مع واحد منهم ثم يرجع البيت، ويظل يشتغل وينام ساعات قليلة. وظل جمال هكذا حتى قبل الثورة بيومين، وفي الليلتين قبل الثورة لم ينم وظل بملابسه العادية جالسا في حجرة السفرة على الترابيزة يشتغل. وفي الصباح في الساعة السابعة يدخل الحجرة ليستبدل بملابسه الملابس الرسمية ونتناول الإفطار سويًّا، وقبل خروجه يقول لي: جهزي غداء زيادة لأننا سنجلس كالأمس في تصحيح أوراق الامتحان.. ويحييني ويخرج.

وكان عبد الحميد - ابني البالغ من العمر ثمانية شهور - قد حصل له توعك، وكنت أريد تغيير غذاءه ويلزم أن يراه الدكتور الذي يعالج أولادنا، فعندما رجع جمال من الشغل في الظهر دخل كعادته يلاطفه ووجده متوعكا فقلت: أريد الذهاب للدكتور لينظم له غذاءه.. متى لا تكون مشغولا حتى نذهب؟ فقال لي: إني مشغول جدًّا، فاطلبي الدكتور ليحضر هنا أو يمكنك الذهاب في تاكسي.. وكانت تلك أول مرة لا يجد وقتا للذهاب معي للدكتور، وفي اليوم التالي ذهبت بمفردي. وكان قبل خروجه قد طلب أيضًا تجهيز غداء زيادة لعدد من الضباط.

ليلة الثورة

اليوم الثاني والعشرون من يولية سنة ١٩٥٢ الساعة السابعة صباحًا.. دخل جمال الحجرة وكان يلبس الملابس العادية.. القميص والبنطلون ولم ينم طوال الليل.. جلس في حجرة السفرة يشتغل كالليلة السابقة.. حياني واستعد للخروج واستبدل بملابسه العادية الملابس العسكرية وتناولنا الإفطار سويًّا.

خرج ورجع عند الظهر، وتناول الغداء مع الضباط وظل معهم في الصالون وحجرة السفرة وقتا ثم خرج الضيوف. تحدث معي جمال وقال: لم لا تخرجين وتأخذين معك هدى ومنى وخالد وتذهبون للسينما والجو حار وتتسلون ويذهب معك إخوتي.. فقلت: نعم سأفكر في الذهاب.

وحياني وخرج. بعد خروجه وقرب المغرب فضلت أن أخرج أمشي بالقرب من الحديقة التي أمام قصر القبة، وكانت غير مزدحمة مثل الآن وأغلب البيوت فيلات والمشي لطيف بالقرب من القصر حيث رائحة الأزهار.

خرجت ومعي هدى ومنى وخالد ومشينا حتى بعد الغروب ورجعنا وكانت الساعة قبل الثامنة.. قال لي شقيقه: إن أخي حضر من وقت قصير وسأل عنك وعن الأولاد وأخبرناه بأنك تتمشين عند قصر القبة. وبعد قليل حضر جمال وكان يلبس القميص والبنطلون ووجدني في الصالة مع الأولاد.. حياني وقال: أنا جيت وسألت عنك ولم تذهبي للسينما.. فقلت له: إني فضلت الخروج والمشي في الهواء الطلق والأحسن ألّا أترك ميدو وأغيب عنه وقتا أطول.. فأخذ يتكلم مع أولاده ويلاطفهم ويقبلهم

بحرارة ويقول لهم أسماء الدلع التي اعتاد أن يقولها لهم، ويقبل هدى ومنى وخالد وعبد الحميد وكنت أحمله على كتفي، وخرج بمفرده بنفس الملابس.. القميص والبنطلون.

تناول الأولاد العشاء وناموا مبكرين كعادتهم، وظل ميدو البيبي حتى تناول وجبة الساعة التاسعة ونام.. وجلست مع الليثي وشوقي.

وقبل الساعة الحادية عشرة مساء قمت ودخلت حجرة النوم. رجع جمال ودخل الحجرة وكنت مستلقية على السرير وكانت مضاءة.

كان من عادته أن يغسل وجهه قبل النوم فقلت في نفسي: إنه لم ينم ولا ساعة منذ يومين وها هو ذا الليلة سينام مبكرا.. وجدته بعد أن غسل وجهه فتح الدولاب وأخرج البدلة العسكرية ووجدته يرتديها.. فقمت وجلست وقلت له بالحرف: أنت رايح فين بالبدلة الرسمية دلوقت؟ وكانت أول مرة أسأله أنت رايح فين منذ زواجنا.. فرد عليّ بكل هدوء وصدر رحب قائلا: أنا لم أكمل تصحيح أوراق كلية أركان حرب ويجب أن أنتهي من تصحيحها، وغدا تكون كلها كاملة التصحيح، ومنذ يومين وأنا أشتغل هنا، والضابط الذي يجلس معي ونشتغل سويًا قال لي نسهر الليلة في بيته نكمل تصحيح الأوراق، وسأذهب إلى الكلية وسوف لا أرجع البيت الليلة، وانتظريني غدًا وقت الغداء.. وحياني، وقبل خروجه من الحجرة قال لي: لا تخرجي.. الصالة الآن يوجد فيها ضابط ينتظرني.. وأغلق الحجرة بعد خروجه منها.

بعد أن سمعت باب المسكن يقفل قمت وخرجت من الحجرة.. وجدت أخويه الاثنين جالسين في حجرة المكتب فقلت لهما: إن جمال اعتقل.. فرد شقيقه ليثي قائلا: لا إنه لم يعتقل اطمئني.. فقلت: إنه خرج وارتدى ملابسه العسكرية وينتظره ضابط كما حدث يوم أن اعتقله إبراهيم عبد الهادي.

أنا شايفة.. البيت مقلوب من ساعة حضورنا من إسكندرية بشكل غير معقول، والضباط والسهر حتى الصباح.. أنا متأكدة أن رئيس الوزارة الجديد نجيب الهلالي الذي عين منذ يومين اعتقله.. فقال شقيقه: لا أبدًا اطمئني إنه لم يعتقل.. وكان على

المكتب مصحف أخذه في يده وحلف وأقسم إن جمال لم يعتقل.. فسكت وجلست في الحجرة مع أخويه. سألني أحدهما: هل تناولت العشاء؟ قلت: لا.. فقال إننا لم نتناول العشاء بعد.. فقمت وأحضرت عشاء خفيفًا من الجبنة تناولناه في حجرة المكتب. جلست معهما حتى قبل الثانية عشرة، ثم تركتهما ودخلت حجرة النوم.. واستلقيت على السرير. بعد دقائق - وكانت الساعة الثانية عشرة - سمعت صوت طلقات رصاص كثيرة شعرت بأنها صادرة من ناحية قصر القبة.. فقمت مسرعة وخرجت إلى الصالة ووجدت أخويه فقلت: هذا الضرب.. الطلقات في قصر الملك ولا بد أن يكون جمال من الذين يطلقون الرصاص ويهاجمون القصر.. وبكيت.

استمرت الطلقات الكثيرة حوالي عشر دقائق ثم سكتت دقائق وعادت مرة أخرى لدقائق.. واستمررت في البكاء فقال لي أخوه: إن صوت الطلقات كما هو معروف يصدر من الناحية المقابلة لها وليس من المكان الذي أطلقت منه، إنها ليست في القصر ولا تنشغلي، ونظر إلى المصحف وهم بأخذه في يده فقلت له: لا تلمس المصحف، سوف لا أصدقك وأنت تحلف يمينا دون أن تعلم شيئًا.. فرجع ولم يلمس المصحف.

بقينا جالسين في حجرة المكتب وشعرت بأن شقيقه يريد النوم فقمت ودخلت حجرتي.. ولم أنم.

وبعد وقت وكل البيت هدوء وسكون، قمت في الظلام لأرى الشارع بعد سماعي طلقات الرصاص الكثيرة، ومشيت لحجرة السفرة وفتحت الشباك أنظر إلى الشارع. وأنا واقفة في الحجرة في الظلام رأيت شقيقيه يدخلان وكانا في الفراندة، وعند رؤيتهما لي قالا: إننا انتظرنا نومك حتى نرى من الفراندة ماذا حصل.. فقلت: وأنا أيضًا انتظرت نومكما وقمت في الظلام لأنظر من الشباك وأرى ماذا حصل. ورجوتهما ألّا يقفا في الفراندة ويظهرا، وقلت: أنا متأكدة أن البوليس والمباحث يراقبون بيتنا.

وبقيت ساهرة أنظر من الشباك إلى الشارع وأنظر من الفراندة، وأحاول ألّا أظهر لخوفي من مراقبة بيتنا، وكنت أرى الشارع من الفراندة بسهولة ووضوح كما وصفت البيت.

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عندما رأيت شابا يقف في ناصية الشارع.. وهو ميدان المستشفى العسكري في ذلك الوقت.

رأيت الشاب طويل القامة يزعق بصوت عال ويقول: عندك.. ثم يتحرك ويمشي بخطوات ثابتة أسمع صوتها ويروح ويجيء ويقول: عندك يا جدع بصوت مرتفع. وأرى العربات تتحول وترجع من الشوارع الداخلية في كوبري القبة، ومنهم من كان يمر من الشارع الذي يقع يمين البيت المقابل لبيتنا.

ولم أتبين أنه كان صوت جمال، وأن الشاب طويل القامة الذي يتحرك بخطوات ثابتة ويقول عندك يا جدع بصوت عال في سكون الليل ويرجع العربات ويقفل الشارع هو البكباشي جمال عبد الناصر.. زوجي الحبيب.

بقيت واقفة في الفراندة والشباك ألاحظ هذا الشاب وهو يقفل الشارع وأنا قلقة وأقول: ماذا حصل وقت سماعي الطلقات؟ وكان همي ألّا يكون جمال قد أصيب في هذه الطلقات.

قبل الساعة الثانية صباحًا رأيت العربات المصفحة والدبابات والجيش، وكان قد زود بأسلحة بعد حرب فلسطين، فرأيت وسمعت صوت الدبابات وهي تكركر وتمر في الشارع وتمشي في ميدان المستشفى العسكري، وكنت أعرف شوارع ثكنات الجيش وأمر عليها في خروجي، إذ كانت كلها قريبة من بيتنا.

رأيت أخويه يقفزان من الفرح ويقبلان بعضهما وقالا: افرحي افرحي.. فقلت: وأين جمال؟.. والطلقات التي سمعناها؟ وأخذت أبكي وقلت: الآن أنا فهمت.. إنه انقلاب عسكري.

وأخذ أخواه يهنئانني فكنت أسكت عن البكاء ثم أعود أبكي وأقول بالحرف: بس لو كنت أعرف فين جمال.. وطلقات الرصاص اللي سمعناها؟ قال شقيقاه: لقد أخبرنا قبل خروجه أنه ذاهب في مهمة خطيرة: فإذا رأيتم الجيش نازلا والدبابات والعربات فاعرفوا أني نجحت، وإذا لم تروا شيئًا اسألوا عني غدًا واعرفوا أنا فين. قلت مرة أخرى: أنا الآن عرفت أنه انقلاب عسكري ونجح، بس أين جمال؟ أريد أن أطمئن عليه.. وكنت أبكي وبقيت جالسة حتى الصباح لم أدخل حجرة النوم.

وفي الساعة السادسة والنصف صباحًا يوم ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ سمعنا خبطا على الباب وفتح شقيقه، وكان الذي حضر ثروت عكاشة وطلب مقابلتي.. ذهبت له عند الباب فمد يده وهنأني قائلا أهنئكِ من كل قلبي.. نجح الانقلاب فقلت على الفور: وفين جمال؟ قال بالحرف: هو قريب منك بينك وبينه خمس دقائق.. موجود في القيادة العامة وطبعًا تعرفينها؟ فقلت: أمر عليها كثيرًا وأعرفها جيدا.. وقال: اسمعي البيان في الراديو الساعة السابعة.. فشكرته وانصرف.

فتحنا الراديو لنسمع البيان.. وكان هناك عطل في الإذاعة حتى الساعة السابعة والثلث.. وسمعنا البيان الذي قرأه أنور السادات.

في الساعة التاسعة حضر صف ضابط وقال إنه من القيادة العامة في كوبري القبة، وأن الذي أرسله البكباشي جمال عبد الناصر ليخبرني بأنه بخير والحمد لله، وأنه سوف لا يحضر وقت الغداء وموجود في القيادة.

حضر أخي مصطفى ودخل.. وكنا في الصالة شقيقا جمال وأنا.. بعد أن صافحته قلت له يجلس فقال: أنا مستعجل وتركت مكتبي وحضرت، ويوجد عندي ناس ينتظروننى وتركتهم وقلت لهم سوف لا أغيب، وليس لدي وقت للجلوس.. وقال: أنا رأيت الشوارع فيها جيش ودبابات، والإذاعة محاطة بالجيش، وكل الميادين والأماكن المهمة فيها جيش، وسمعت أن الجيش قام بانقلاب عسكري فانشغلت على البكباشي جمال، وحضرت لأطمئن، لعله لا يكون من هؤلاء الضباط لأن الملك سوف لا يتركهم، وسيعدمهم فورا، وأنا متأكد من ذلك.. فقلت له: اطمئن جمال لا يتدخل في السياسة، وسألني: متى خرج من البيت؟ قلت: كالعادة خرج قبل الثامنة صباحًا، وصافحني وخرج قبل أن نقدم له عصيرا أو قهوة.

فنظر لي شقيقاه وهما يبتسمان.. وابتسمت، وما إن سمعت باب عربته يقفل وتتحرك حتى ضحكت وشاركني شقيقاه في الضحك وقهقها، ووقفنا نضحك.. ولم أعر كلامه أي اهتمام، وكل ما قاله لي كان في نظري هراء بل أضحكني.

كنا نستمع للراديو وقراءة البيان طول النهار، ونسمع صوت الطائرات وهي تحلق

في سماء القاهرة وتمر فوق كوبري القبة باستمرار منذ الصباح. في الساعة العاشرة مساء حضر جمال، وبعد أن هنأته من كل قلبي قال: سأبقى ساعتين فقط وأرجع إلى القيادة.

وحلق ذقنه وأخذ حماما واستبدل ملابسه وجلس معنا في حجرة المكتب. أخبرته عن أخي وحضوره في الصباح وسؤاله عنه وقلقه عليه، وما قلته له.. ولم أذكر ما قاله لي عن الملك وعن رأيه فيما سيفعله، فقال لي: إنه سيدهش غدًا إذ سيراني في الجرائد ويرى صورا لي في عربة جيب، وقال إنه لف الشوارع الرئيسية في البلد مع اللواء محمد نجيب - وكانت أول مرة أسمع اسمه - وإن البلد كلها خرجت لتحيتهم وكلها حماس.

قلت له: إني طول النهار أسمع الطائرات تمر من فوق البيت، وحكيت له عن سهري طوال الليل حتى الصباح، وقلقي عليه عند سماعي طلقات الرصاص.

قال جمال: لقد اقتحمنا القيادة العامة بفرقة من الجيش ومعي عبد الحكيم عامر، ولم يصب إلا اثنان فقط من الجنود.. واحد من حرس القيادة وواحد من الفرقة التي معنا. واستسلم كل الموجودين في القيادة وكانوا مجتمعين، وأخذتهم واحدا واحدا وأدخلتهم في مبنى المدرسة الثانوية العسكرية - وكان في منشية البكري في ذلك الوقت - ثم قال: وسلمتهم للسجان حمدي عاشور.. وضحك. وبعد أن تم كل شيء خرجت لأقفل الشارع وأرجع العربات المارة قبل مرور الجيش، وكنت واقفا على ناصية الشارع وركنت العربة الأوستن بالقرب مني.. وأضاف وهو يضحك: لم تقلقين وأنا قريب منك على ناصية الشارع، والعربة الأوستن بالقرب مني في ميدان المستشفى العسكري؟ فقلت: إنك كنت قريبا ولكن بعيدًا جدًّا.. وكان يضحك.

وتحدث عن الملك وقال: لقد أرسل الملك مبعوثا من قبله وأملينا عليه تغييرات وشروطا، وكل ما طلبناه منه وافق عليه فورا.

وحدثته عن حضور ثروت عكاشة في الصباح وتهنئته لي وقوله: اسمعي البيان في الساعة السابعة.. وسمعته. فقال جمال: إنه أنور السادات، وقال: لقد كان هو وزوجته في السينما، وعندما رجع لبيته وقرأ الورقة المكتوب فيها أن يحضر ارتدى ملابسه

العسكرية وخرج مسرعا، وفي طريقه للقيادة عند مدخل مصر الجديدة منعه الضابط المكلف بالوقوف هناك لعدم معرفته كلمة السر، وبعد إلحاح سمح له الضابط بالمرور، وعند مدخل القيادة منع أيضًا من الدخول فلف ودار حول القيادة دون جدوى، وأخيرا نادى، وصاح فسمعه عبد الحكيم وعلمت بحضوره ودخل القيادة عند الفجر، وفي الصباح أعطيته البيان ليقرأه في الإذاعة.

وكان جمال عبد الناصر يضحك وهو يحكي عن أنور السادات.

وفي الساعة الثانية عشرة مساء قام جمال وقال لي: لا تنتظريني فسأبقى في القيادة.. وحياني وخرج.

الأيام الأولى بعد نجاح حركة الجيش

في يوم ٢٤ يولية سنة ١٩٥٢ طلعت جرائد الصباح كلها عن الجيش والانقلاب.

رأيت صور جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر صديقه وصلاح سالم.. وكان يحضر إلى بيتنا وجمال يذكر اسمه، وكمال الدين حسين وكان يحضر لبيتنا أيضًا، ويقول كمال فقط دون ذكر اسمه الثاني، وجمال سالم وكان يحضر وسمعت اسمه ولم أكن أعرفه شخصيا، وعبد اللطيف بغدادي وكنت لم أره ولا أذكر أني سمعت اسمه أو قرأته في الأوراق التي كنت أستلمها، وزكريا محيي الدين والمذاكرة أيام كلية أركان حرب، وخالد محيي الدين وكان قد سلمني المنشورات، وحسن إبراهيم وأنور السادات الزائر الأسمر.. وصورة لجمال مع اللواء محمد نجيب في عربة جيب وكنت لم أسمع عنه ولم أسمع اسمه أبدًا في بيتنا، ثم بعد ذلك علمت باسم حسين الشافعي بين أعضاء مجلس الثورة وكنت لم أره.

ظل جمال في القيادة ولم يحضر إلى البيت حتى يوم ٢٦ يولية سنة ١٩٥٢ الساعة الخامسة صباحًا.. حضر وقال: اليوم الساعة السادسة مساء سيغادر الملك البلد وسيبحر على الباخرة «المحروسة». وقال: لقد ذهب جمال سالم للإسكندرية ليحضر رحيل الملك، وحاصرنا القصور الملكية في القاهرة والإسكندرية واسمعي الإذاعة الساعة السادسة مساء.

وجلس يتحدث معنا حتى الساعة السادسة صباحًا.. أي مكث ساعة واحدة.. وحياني وخرج للقيادة.

بعد ليلة الثورة وقف اثنان من عساكر الأمن على باب البيت الذي نسكنه، واثنان عند مدخل الشارع، وعند دخول أي واحد في البيت يصعد العسكري وراءه حتى إذا رآه صعد عند أحد الساكنين يرجع، وإذا كان الداخل وقف عند مسكننا وطرق على الباب يظل واقفا خلفه حتى يفتح له الباب ويدخل.

قال جمال للمراسلة أن يلاحظ راحة العساكر، ويقدم لهم الشاي والقهوة والماء، وفي أوقات الطعام يقدم لهم الغداء والعشاء. وأوصاني بتجهيز الأكل للعساكر الواقفين عند الباب وقت وجبات الطعام، فكنا نجهز كل شيء كما قال لنا. وكان جمال يحضر قليلا، ويبيت في البيت قليلا ويخرج في الصباح مبكرا، وقلما كان يرى الأولاد.. وإذا رآهم يكون قبل خروجه.

في أول أسبوع بعد الثورة ألغي نظام المراسلة.. ولكن المراسلة الذي يرافق جمال رفض تركنا وقال: أين سأذهب؟ وماذا سأعمل في القرية؟ إن أبي فقير، وقال: سأظل عندكم مع جناب البكباشي.. فقال جمال: فليبق حتى أجد له مكان عمل يناسبه، وأعطاه مرتبا مناسبا في ذلك الوقت، وبعد ذلك عينه عسكري أمن بالرئاسة. أما المراسلة الأول - وهو الذي رافقه في حرب فلسطين - فقد رآه جمال مرة وهو في رحلة للصعيد واقفا مع الجموع يلوح بيديه ويريد الاقتراب منه، فطلبه وسأله عن حالته.. فشكى له سوء أحواله وطلب أن يلحقه بعمل.. فعينه الرئيس عسكري أمن في منشية البكري.

قال لي جمال: أنت الآن لا تخرجين والعربة في الجراج، سأرسل لك سائق عسكري لتخرجي ومعك الأولاد. ذهبت لشقيقاتي وذهبت لزيارة حرم عبد الحكيم عامر ورأيت المدافع عند مدخل مصر الجديدة.

كنا لا نرى جمال في البيت وقت النهار أبدًا، ولا يتناول معنا إلا وجبة الإفطار إذا بات في البيت. وقبل خروجه للقيادة يحضر له زوار وأكثرهم ضباط، ويمكث معهم وقتا قصيرا.. وكلها زيارات لطلبات أو شكاوى أو تظلمات، ثم يذهب للقيادة. وكان يمكث في القيادة أياما دون أنّ نراه، ورتب كل ما يلزمه من ملابس وأدوات حلاقة في القيادة، وكان يرسل أحد العساكر في عربة جيب ليأخذ ما يلزمه ويوصله له. وبعد

أسبوع أدخل التلفون في بيتنا فلم أهتم به أو أشعر بأن شيئًا كان ناقصا.. فقط وجدته في البيت.. وأول مكالمة لي في التلفون.. كانت لإحدى قريبات الدكتور الذي أضع في مستشفاه، لديها طلب، ولا أدرى كيف تذكر اسمي؟ وتذكرت أني كنت كلما ذهبت إليه أثناء متابعته لي وقت الحمل كان يسألني عن اسمي، وكلمتني السيدة عن طلبها وقالت: لقد قال لي الدكتور إنك وضعت في مستشفاه ولدين. كانت تحضر سيدات من زوجات الضباط الكبار.. منهم اللواءات ويطلبن مقابلتي لتوصيتي بإخبار البكباشي جمال عبد الناصر عن حالة أزواجهن الذين طلعوا في التطهير، وأيضا زوجات لغير الضباط، وتحضر سيدات لإعطائي شكاوى وتوصيات وتظلمات من أحوال في عهد الملك كان أزواجهن مظلومين فيها، وطلبات بتحسين وتغيير في وضعهم. وعند حضور جمال كل الجوابات والأوراق والشكاوى أعطيها له.

ومنهن سيدات يتظلمن من نظام الوقف لأنه لا يعطي المرأة نصيبا من تركة الرجل.. أبيها أو أخيها، وبعضهن يقلن إنهن فقيرات وإخوانهن الذكور في غاية الثراء ويسكنون القصور.. فكنت أرى وأقابل هذه المرحلة بشيء من الاهتمام.

أزيل الحائط الذي كان في آخر الشارع ويسد الطريق إلى شارع كوبري القبة، وهو الذي كان بجوار جراج العربة الأوستن السوداء، وأصبح الطريق مفتوحا من كل الجهات إذ كان ضمن مباني الوقف.

الانتقال إلى بيت منشية البكري في أكتوبر سنة ١٩٥٢

قال لي جمال: سننتقل من منزلنا إذ أصبح لا يناسبنا الآن السكن مع ناس آخرين في منزل واحد.. وقال: يوجد بيتان.. واحد كبير مكون من دورين وبه عشر حجرات وفي قشلاق العباسية، وآخر في منشية البكري.. بيت صغير به خمس حجرات.. فسألته: وهل قريب من شارع مصر الجديدة؟ قال: نعم.. فقلت: أفضل البيت القريب من الشارع العمومي ولا أسكن البيت الكبير الذي في قشلاق العباسية.. فوافق وقال: اختاري الذي يعجبك وأضاف: فلتجهزي نفسك للانتقال وأنا مشغول، ويمكنك الانتقال والمراسلة يحضر العربات لنقل الموبيليا، وتخبرينني بالوقت الذي سينقل

فيه مفروشات البيت وأحضر في البيت الجديد.. فنفذت ما قاله لي وانتقلنا إلى بيتنا في منشية البكري في يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢.. وكانت أول مرة أرى فيها البيت كالبيتين السابقين.

ركبت العربة الأوستن ومعي أولادنا هدى ومنى وخالد وعبد الحميد في الساعة الواحدة بعد الظهر وذهبت للبيت بمنشية البكري (منزل الرئيس جمال عبد الناصر).

عند دخولي البيت وجدت عددا من عساكر الجيش على الباب، ووجدت داخل الحديقة عساكر أيضًا، وأمام البيت مدفعان وعدد من البوليس الحربي، وفوق سطح البيت مدفعان. والبيت له سور عال وتوجد حجرة داخل البيت ملاصقة للسور على يمين الباب الخارجي. والمبنى صغير على طراز قديم بالحجر الأبيض، وليس له نظام بيت وكأنه مبني ليكون مكاتب أو مكانا عسكريا وليس للسكن، ويحاط بحديقة كبيرة بالنسبة للبيت، ولا يوجد بها خضرة أو أزهار إلا أشجار كبيرة مزروعة من عشرات السنين حسب تقديري وهي من أشجار الكافور. ومدخله به الأبواب الثلاثة نفسها مع اختلاف إذ الباب الذي في الوسط على ممر وليس صالة وينتهي بباب على الحديقة من الخلف.

والباب الذي على اليمين يوصل لحجرة النوم، والباب الثالث على الشمال يوصل لحجرة الصالون، والثلاثة الأبواب على شبه فراندة إذ توجد درجة سلالم واحدة وسور من الخشب مدهون بالأخضر. وحجرات البيت كالآتي.. شمال الممر حجرة داخلها حجرة: الأولى السفرة والثانية الصالون، ويمين الممر حجرة داخلها حجرة أيضًا الأولى المكتب والثانية حجرة النوم، وبجوارها ممر صغير به شباك على الحديقة وضعت فيه سرير عبد الحميد، وفي آخر الممر على الشمال حجرة كبيرة للأولاد وممر آخر على اليمين.

نظرت حولي إلى السور العالي والمدافع والعساكر، والبيت الذي ليس له شكل فيلا أو بيت وكله ممرات، والحديقة الجدباء وافتقدت الصالة التي كنت أجلس فيها والفراندة والشارع وميدان المستشفى العسكري وكوبري القبة.. وحتى المارين في الشارع.

سألت: لم كل هذا؟ المدافع والعساكر وكل الذي أراه؟ فقيل لي إن قائد البوليس

الحربي حضر في الصباح - وهو البكباشي أحمد أنور - ورتب كل شيء.. فتذكرته إذ كنت قد قرأت اسمه في الأوراق الصغيرة التي كنا نستعملها لكن لا أعرفه.. وسكت.

في المساء الإضاءة في الحديقة زائدة.. وفي الليل رغم تعبي لم أستطع النوم لكثرة الضوء. وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.. وكنت مستلقية على السرير ولم أنم سمعت صوت عربة جمال تدخل الحديقة، وسمعته يقول: ما هذا يا جدع؟ شيل المدافع.. نزل المدافع واصرف العساكر، ويكفي اثنان فقط من الجيش واثنان من البوليس الحربي، وأطفئ النور يا جدع ويكفي إضاءه خفيفة. وكان موجودا ضابط نوبتشي قيل لي إنه سيبيت في الحجرة التي بجوار الباب الخارجي، وجهزنا له عشاء حسب تعليمات جمال.

وعندما دخل الحجرة حياني وقال: أما زلت صاحية؟ وهل عجبك البيت؟ قلت: لم يعجبني.. فرد قائلا: إنك ستعتادين عليه، والحديقة عندما تنسق وتزرع سيكون البيت أحسن.. قلت: كنت أحسب أني يجب أن أنام في هذه الإضاءة الكثيرة.. الآن أقدر أنام بعد تخفيفها. قال: لقد صرفت كل الحراسة.. ما هذا الذي فعله أحمد أنور؟ لم أبق غير اثنين فقط على الباب واثنين آخرين. قلت: لقد سمعتك وأنت تعطي الأمر بصرف الحراسة.

نُظم البيت ورُتب ونُسقت الحديقة وزُرعت بالأزهار.. وبدأت أعتاد على الحياة في المنطقة العسكرية وكل ما يحيط بي ثكنات الجيش.. ولا أسمع إلا صوت البروجي وخطوات العساكر.

يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٢ كان عيد ميلاد عبد الحميد وبلغ سنة واحدة من العمر، وكانت قد مضت تسعة أيام على انتقالنا للبيت في منشية البكري. حضر جمال للبيت وتناول الغداء معنا ولاطف أطفاله وقبل عبد الحميد وقال: سأخرج واحتفلي بعيد ميلاده وسوف لا أحضره معك.. وحياني وخرج وكنت دعوت أخواتي.

مرض عبد الحميد ثاني يوم عيد ميلاده الأول وكانت حالته شديدة.. طلبت الدكتور الكبير المشهور الذي يعالج أطفالنا، وبعد أن فحصه رفض رفضا باتا أخذ

الأتعاب رغم إلحاحي وقال لي: فلوس إيه؟ أنت عارفة أنا جاني اليوم أد إيه فلوس؟ وكان الوقت مساء.. هذا أقل ما أقدر أن أقدمه. وعند ذكر الفلوس ذكرها وكأنها أتفه شيء أصبح في نظره، وقال: إني في خدمة أولاد البكباشي جمال عبد الناصر واطلبيني في أي وقت، والأحسن ألّا يعرف بمرض أطفاله حتى لا ينزعج وأنا أتولى علاجهم. وطلب مني رقم التلفون وقال: سأسأل عن الطفل غدًا صباحًا. وفي اليوم التالي طلبني في التلفون وسألني عن حالته وقال: سأمر عليه، وظل يحضر حتى شفي عبد الحميد.. وهذا الدكتور هو الدكتور مصطفى الديواني أستاذ طب الأطفال. شعرت براحة وامتنان وتذكرت الأيام التي كنت أذهب فيها إلى عيادته وأنتظر ساعة وساعتين. وكانت أول لفتة نبيلة تلقيتها لأعز شيء عندنا وهم أطفالنا.

كان مجلس الثورة يجتمع في القيادة العامة بكوبري القبة أو في مبنى على كوبري قصر النيل قديما أو في مجلس الثورة بالجزيرة.. وكان مبنى جديدا بناه الملك فاروق.

كان جمال يحضر للبيت أحيانًا الساعة السابعة صباحًا ويطرق باب حجرة النوم فأقوم وأفتح الباب وأقول صباح الخير.. ويقول صباح الخير، ونضحك.. ويقول: سأنام وأصحو قبل الحادية عشرة صباحًا لأن عندنا اجتماعا.. وأتركه وأذهب لأصحي هدى ومنى للذهاب للمدرسة.

وكان مجلس الثورة يجتمع أيضًا في بيتنا، ويظل مجتمعا حتى الصباح وأحيانًا حتى الظهر وبعد الظهر، ويروحون ويرجعون مرة ثانية بالليل، ويجتمعون ويظلون في بيتنا أياما مجتمعين.

ولم أر أن اللواء محمد نجيب اشترك في أي اجتماع في بيتنا أبدًا. وكانت القوانين التي تصدر وأقرؤها في الجرائد وأسمعها في الإذاعة تصدر أغلبها بعد الاجتماعات المستمرة في بيتنا، وكنت أرى جمال قبل خروجه يطلب ضابطا ويجيء عند الباب ويعطي له ظرفا وأسمعه وهو يقول للضابط: أسرع واذهب للواء محمد نجيب ليوقع على القرار وأحضره لي في القيادة أو مجلس الثورة.. ثم يركب العربة ويخرج.

وضع تلفون في حجرة المكتب وتليفونان في حجرة النوم على جانبي السرير فوق الكومودينو.

قبل حضور جمال في المساء كان السؤال عنه يكثر بالتلفون وعن الوقت الذي سيحضر فيه أو يكون موجودا فيه في البيت، وكان هذا السؤال بالنسبة لطالبي مكالمته عاديا لكنه كان بالنسبة لي غير عادي. وكنت أنام وأصحو على جرس التلفون وأرد على المتحدث، وكنت أسمع كلمة وزير ولم أعتد سماعها إذ كيف يتحدث وزير ويطلب بيتنا في التلفون؟ وكنت أسمع أن وزيرا من قبل يعني صاحب المعالي، والآن أصبح شيئًا عاديا في بيتنا كلمة وزير، وأيضا تطلبني سيدات من زوجات الباشوات سابقا طبعًا.. حتى والدة ناريمان الملكة السابقة طلبت أن تكلم جمال عبد الناصر وكان الوقت صباحًا، وكنت أنا من ردت عليها.

وأذكر مرة أن طلبه وزير الأوقاف وكان ينطقها باللغة العربية، وعند حضور جمال وكنت نائمة وصحوت فقلت: وزير القوقاف - بدل وزير «الأوآف» كما ننطقها - سأل عنك.. فضحك وطبعًا صححت نطقها وضحكنا.. فكنت كلما شكلت وزارة لا أنسى القوقاف للوزير الجديد. يعني كل الطلبات وزير وزير. والصحافيون كانوا يسألون عنه، وكثيرا في الوقت الذي يكون قد خرج فيه من القيادة أو مجلس الثورة في الجزيرة وفي طريقه للبيت، والكل يريد مكالمته عند حضوره فورا. و كنت ألاحظ قرب حضوره للبيت عندما يكثر طلب الصحفيين ووزير الإرشاد مكالمته. وكان يسأل عنه ضباط ويذكرون أسماءهم.. وأتذكر أن بعضها كنت قد قرأته في الأوراق الصغيرة قبل الثورة. وعند حضوره البيت يتحدث بالتلفون.

ويظل في مكالمات ويعطي توجيهات وإرشادات وأوامر، ويحدثه رؤساء التحرير، وأنا بجانبه لا أفتح فمي و كأني لا أسمع شيئًا.. وربما أنام. هذا إذا رجع مبكرا يعني الساعة الواحدة أو الثانية أو حتى الثالثة صباحًا، أما عند رجوعه الساعة السابعة صباحًا فكان ينام ساعات قليلة ويخرج قبل الظهر.

هذا منذ بداية انتقالنا للبيت في منشية البكري.

طلبتني أم كلثوم في التلفون وقالت إنها قابلت البكباشي جمال عبد الناصر أمس في القيادة وسألته عني وتريد أن تزورني.. فأخذت ميعادا. وكانت المكالمة التلفونية التي سررت بها وأسعدتني هي مكالمة أم كلثوم.. وأكثر سيدة فرحت بها وبلقائها في بيتنا.

ألم بسيط

شهر مايو.. سنة ١٩٥٣

كان جمال يشعر بألم في بطنه لم أعلم به إلا بعد مدة لعدم وجوده في البيت أغلب الوقت.

في يوم قبل خروجه في الصباح قال لي: سأحضر على الغداء وأريد أكلا خفيفا من الخضار المسلوق لأني أشعر بألم في بطني بسيط. جهزت الأكل كطلبه وحان وقت الغداء ولم يحضر. وبعد أن انتظرته تناولت الغداء وقلت إنه مشغول ولم يجد وقتا للحضور. حضر عبد الحكيم عامر وطلب مقابلتي. وقال لي: جمال الحمد لله بخير وفاق من البنج بعد إجراء عملية المصران الأعور له، ويسأل عنك ويريدك أن تذهبي له في المستشفى الآن.

فاندهشت وقلت: كيف أجريت له عملية ولم يقل لي وصلب مني إعداد غداء خفيف؟! قال عبد الحكيم: لقد كنت معه أثناء إجراء العملية والحمد لله.

ذهبت له في مستشفى الدكتور مظهر عاشور الضابط بالجيش. قلت: كيف تجري عملية ولم أعرف؟! قال: لم أرد إزعاجك. وقال: بعد أن خرجت من البيت في الصباح حضرت للمستشفى ومعي عبد الحكيم، وكنت مرتبا من أمس الحضور للمستشفى وإجراء العملية، وحتى لا تعلمي بشيء قلت لك جهزي الغداء.. وابتسم وقال: الحمد لله يا تحية.

كنت أذهب كل يوم لزيارته ومعي الأولاد إذ كان يطلبهم، ولا أمكث إلا وقتًا

قصيرا لكثرة الزوار. قابلت عبد اللطيف بغدادي وزوجته في المستشفى يزورانه، وكنت أول مرة أراه وأتعرف بزوجته.. وقالت إنها ستزورني في البيت.

مضى أسبوع ورجع جمال إلى البيت.. وبعد أيام قليلة ذهب إلى مرسى مطروح وذهبت معه والأولاد ورافقنا الدكتور مظهر عاشور، ليكون بجواره وقت النقاهة، ودعا جمال زوجة الدكتور وابنته لتكونا معنا.

مكثنا في مرسى مطروح في استراحة قديمة البناء وفي غاية التواضع، ليس بها مفروشات إلا الضرورية وقديمة.. حتى لم يكن بها حجرة سفرة، وتوجد ترابيزة فقط وعدد من الكراسي في الصالة، وحضر جمال سالم وبقي مدة إقامتنا.. مكثنا أسبوعا ورجعنا إلى القاهرة.

الشكاوى والطلبات تصلنا بكثرة بالبريد أو يحضر أصحابها ويسلمونها لعسكري الأمن لتوصيلها لي وأعطيها لجمال عند حضوره. قال لي: لا تقابلي أحدا من السيدات إلا بعد سؤالي.. اللاتي لا أعرفهن طبعًا.

وقعت على رجلي ووضعت ساقي في الجبس أسبوعين، وبعد فك الجبس كنت أذهب إلى مستشفى الدكتور مظهر عاشور وكان هناك دكتور عظام لعمل علاج بالكهرباء على ساقي. وفي أثناء ذهابي للمستشفى وجدت حرم أنور السادات هناك وأخبروني بوجودها، وكانت قد أجريت لها جراحة في أصبع يدها وتمكث في المستشفى.. زرتها في الحجرة وكانت أول مرة أراها وأتعرف بها.

محمد نجيب في بيتنا

كنت نائمة واستيقظت على صوت دخول عربات جمال وأعضاء مجلس الثورة كلهم.. قمت ونظرت من الشباك في الظلام وجدتهم يدخلون البيت ومعهم اللواء محمد نجيب وعرفت بإعلان الجمهورية.. قلت في نفسي: كنت نائمة وصحوت على رئيس جمهورية في نصف الليل في بيتنا! مكث اللواء محمد نجيب وأعضاء مجلس الثورة وقتا قصيرًا وانصرفوا، ودخل جمال الحجرة ورآني واقفة. حكى لي عن إصرار محمد نجيب على الحضور لزيارته في بيتنا بعد إعلان الجمهورية مباشرة وتنصيبه رئيسا لها.

مؤامرة سلاح الفرسان.. أول الصيف مايو سنة ١٩٥٤..

حضر جمال للبيت وكان الوقت المغرب.. قال لي: جهزي نفسك والأولاد واذهبي لشقيقتك في الجيزة وخذي معك ملابس للنوم وأمضي الليلة عندها، ويجب أن تغادري البيت قبل الثامنة مساء لأن البيت ربما يهاجم ويحتمل دخول بعض الضباط بالدبابات لنسفه، ولا ترجعي إلا بعد أن أكلمك بنفسي بالتلفون.

جهزت شنطة وضعت فيها الملابس وطلبت العربة وهي الأوستن السوداء وكنت أخرج بها، وأدخلت في الحديقة، وكان جمال في الصالون ومعه ضباط ولم يغادر البيت. جلست في حجرة المكتب أنتظر خروجه، وفي الساعة الثامنة مساء دخل جمال الحجرة ورآني والأولاد لم نزل في البيت.. قال: كيف لم تغادري البيت للآن؟

قلت كنت أنتظر خروجك وأخرج. فقال وهو منفعل: يجب أن أذهب إلى القيادة الآن، وكيف أخرج وأنتم ما زلتم في البيت؟! وكان الذي فكرت فيه كيف أخرج وهو لا يزال في البيت؟! فقلت: العربة في الحديقة وسأغادر البيت حالا، وكانت عربته قد دخلت الحديقة أيضًا وركبنا.. هو عربته وأنا والأولاد العربة الأوستن وخرجنا سويًّا في وقت واحد.

ذهبت لشقيقتي في الجيزة وكانت الساعة التاسعة فقابلتني وقالت: الوقت متأخر والأولاد معك أين كنتم؟! فأخبرتها عن سبب مجيئنا في هذا الوقت فسكتت وبان على وجهها هي وزوجها الوجوم.

قضيت الليلة وكنت أنام وأصحو.. كان نوما متقطعا، وكلما صحوت أفكر: ماذا جرى؟ يا ترى هل نسف البيت؟ وفي الصباح كنت أتناول الإفطار مع الأولاد وشقيقتي، وسمعت جرس التلفون وكان المتحدث جمال عبد الناصر..

قال لي: الآن يمكنك الحضور.. أكلمك من البيت وقد حضرت الآن وسأنام. وقد أرسلت لك العربة وهي في الطريق.. فقلت: الحمد لله. وتركت شقيقتي بسرعة وكانت تصر على أن أبقى معها أتناول الغداء. رجعت البيت.. وجدت جمال لم ينم وقال: إنها كانت مؤامرة في سلاح الفرسان والحمد لله قبضنا على الضباط المتآمرين. وقال: كنا جاهزين وعارفين الوقت الذي سيتحركون فيه، لكن قلت: ربما تخرج دبابة وتصل للبيت وتضربه، والأحسن أن يكون خاليا حتى أطمئن عليكم.. فقلت: الحمد لله.

العدد الأول لجريدة الجمهورية..

بعد قيام الثورة بشهور قليلة بدأ جمال يحضِّر لإصدار جريدة يومية، واشتغل وبذل جهدًا كبيرًا قبل إصدارها. وكنت أسمعه وهو يتحدث بجانبي بعد رجوعه إلى البيت في الليل ويوجه تعليمات وترتيبات ومشاورات وكانت تكتب نسخ وأراها في البيت كنموذج، ويغير ويبدل في ترتيبها وشكلها عدة مرات وذلك قبل إصدارها.. وأخيرًا صدرت جريدة الجمهورية..

وكانت الفرحة على وجهه وهو يسلمني العدد الأول، وكنت أعتز بجريدة الجمهورية لما شاهدته من اهتمام جمال عبد الناصر بها.

كانت مقالات مهمة تصدر في جريدة الجمهورية باسم أنور السادات والذي كان يكتبها هو جمال عبد الناصر. وفي مرة قلت له: إن هذه المقالة من كلامك وقد عرفته وفهمت أنك كاتبها.. فرد وقال: نعم.

قصة مصحفي جمال عبد الناصر
ومحاولة الاغتيال بالمنشية

صيف سنة ١٩٥٤..

ذهبنا إلى إسكندرية واستأجرنا دورًا في فيلا على الكورنيش..

سكنا في الدور الأول، والثاني كانت تسكنه عائلة.. أي كنا نشترك مع جيران. كان جمال يحضر كل أسبوع أو أسبوعين ويمضي معنا يوما واحدا ويرجع إلى القاهرة في منشية البكري. وكان وقت الحج.. وسافر جمال عبد الناصر لأداء فريضة الحج في صيف سنة ١٩٥٤ شهر أغسطس.

رجعت من إسكندرية لأكون في استقباله في القاهرة ومكثت بضعة أيام ثم عدت للإسكندرية، وبقينا حتى شهر سبتمبر.

في شهر أكتوبر.. في آخره كان جمال عبد الناصر سيلقي خطابا في الإسكندرية في ميدان المنشية.

غادر البيت وقت الغروب. وقبل خروجه كان يضع دائمًا في جيبه مصحفا صغيرا في غلاف من المعدن الأبيض.

لم يجده وقت خروجه وكان مستعجلا إذ سيسافر بالقطار.. فأخذت أبحث عن المصحف وأنا مسرعة ولم أجده.. فأحضرت مصحفا آخر بغلاف من الكرتون فأخذه جمال ووضعه في جيبه. وعند خروجه وجدت المصحف ذا الغلاف المعدن الذي

اعتاد أن يخرج به فجريت مسرعة وأعطيته له، وكان بالقرب من الباب فأخذه ووضعه في جيبه وخرج بالمصحفين.. وكان حادث ميدان المنشية بالإسكندرية أثناء إلقائه الخطاب وإطلاق الرصاصات الثماني عليه ونجاته.. فظل جمال عبد الناصر يخرج بهذين المصحفين حتى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠. وكان عند رجوعه إلى البيت يضعهما بنفسه في مكان لا يتغير في الحجرة.. وقد فعل نفس الشيء يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠.. والآن أنا محتفظة بهما وأعتز بهما.

حدثني جمال عبد الناصر بالتلفون بعد الحادث مباشرة وقال لي: ستسمعين الإذاعة.. أنا بخير لم يصبني شيء ولا تنزعجي.

بعد يومين من الحادث مرض خالد ابنى بالزائدة الدودية وكان عمره ٤ سنوات وثمانية أشهر. حضر الدكتور مظهر عاشور وفحصه وقال: يجب إجراء جراحة له فورا. وكان جمال عبد الناصر عنده اجتماع والدكتور ظل مع خالد يلاحظه. وقبل خروجه للاجتماع قال للدكتور: تصرف كما تستدعي الحالة. رجع الدكتور لمستشفاه ليجهز لإجراء العملية، ثم حضر بنفسه وأخذ خالد في عربة وذهبت معه وكانت الساعة العاشرة مساء. وفي الساعة الواحدة صباحًا حضر جمال للمستشفى قبل ذهابه للبيت، ومعه بعض أعضاء مجلس الثورة ليطمئن على خالد بعد إجراء العملية.

مكثت في المستشفى مع خالد ثمانية أيام كان جمال يزوره كل يوم لدقائق. زار محمد نجيب خالد في المستشفى وأحضر علبة شوكولاته.. رميتها ولم أسمح لأحد أن يأكل منها.

لقد كان محمد نجيب هو الذي دبر المؤامرة لاغتيال جمال عبد الناصر ثم بعد ذلك حكم عليه بالسجن، ولم يذهب محمد نجيب للسجن بل ذهب إلى قصر زينب الوكيل بالمرج بأمر من جمال عبد الناصر، حتى أفرج عنه بعد سنوات قليلة.

تهنئة برئاسة الوزارة من محمد حسنين هيكل

كنت نائمة ومستغرقة في النوم وسمعت جرس التلفون فأخذت السماعة، وكان المتحدث محمد حسنين هيكل.. قال: أهنئك جمال عبد الناصر رئيس مجلس

الوزراء. فقلت: تاني.. فضحك هيكل وهأهأ وقال: أهنئك برئاسة جمال عبد الناصر الوزارة وتقولين تاني؟! وكان في منصب رئيس الوزراء لفترة قصيرة، وبعد خلافات ومشاكل تركها لمحمد نجيب. وقال هيكل: لقد أردت أن أخبرك وأهنئك قبل وصوله للبيت.. إنه في الطريق إليه.

مولد أصغر أبنائي عبد الحكيم في ٨ يناير ١٩٥٥..

الوقت سنة ١٩٥٥ مولد عبد الحكيم أصغر أبنائي..

قبل ذهابي للمستشفى طلبت جمال عبد الناصر، وكان عنده اجتماع في البيت مع وفد سوداني والوقت مساء. أخبرته بأني سأذهب للمستشفى فقال: يوجد عندي وفد سوداني ولكن ممكن أن ينصرفوا وأذهب معك.. فقلت: سأذهب بمفردي ولا داعي للقلق.. وقد طلبتك لأخبرك فقط. في الساعة الحادية عشرة مساء ولد عبد الحكيم. تحدث الدكتور بالتلفون مع جمال وهنأه وأخبره بأني والمولود بخير، فرد جمال وقال: سأحضر الآن، فقال الدكتور: لا تتعب ولتبق حتى الصباح. فقال له جمال عبد الناصر: لقد اعتدت أن أحضر معها للمستشفى وأهنئها بسلامتها مباشرة.. سأحضر. وفي الساعة الثانية عشرة مساء حضر جمال عبد الناصر للمستشفى ورأى المولود وقال: عبد الحكيم.. وكان قد قال من قبل إن المولود إذا كان ولدا سأسميه عبد الحكيم.

وفي ٨ يناير سنة ١٩٥٥ ولد عبد الحكيم جمال عبد الناصر.

فترة المباحثات مع الإنجليز

قبل جلاء الإنجليز عن مصر وقت المباحثات كان جمال يحضر العشاء مع بعض الأجانب وكنت أدعى معه ويعتذر عن عدم حضوري.. ويقول لي بعد رجوعه البيت: إنك كنت مدعوة معي واعتذرت. وسيدات أجانب من الضيوف وزوجات السفراء يطلبن مقابلتي، ويحدد لهن ميعادا لزيارتي وأتعرف عليهن.

كنت أجد صعوبة في التحدث باللغة الإنجليزية، ففكرت في إتقانها وأحضرت كتبا وبدأت أقرأ كثيرًا بمساعدة أستاذة في اللغة الإنجليزية، كانت تعلمني الطريقة التي أتقدم بها في اللغة.. وكنت مهتمة وأظل أقرأ وأكتب وقت سهر جمال. وكان أحيانًا عند رجوعه في ساعة متأخرة يجدني لم أزل لم أنم.. وطبعًا كنا نضحك. أما اللغة الفرنسية فكنت قد قضيت بضع سنوات وقت الدراسة أتعلمها، ولم أجد صعوبة في التحدث بها وتقدمت فيها بالقراءة أيضًا.

في صيف سنة ١٩٥٥، بعد رجوع الرئيس من مؤتمر باندونج زارته في منزلنا بمنشية البكري سيدة أمريكية تدعى «Mrs Flur Cawls» (فلور كاولز)، وهي زوجة صاحب مجلة «Look» الأمريكية، وكان يرافقها عبد القادر حاتم وكان وقتها مديرا للاستعلامات. وبعد انتهاء الزيارة طلبت مقابلتي ورؤية أولادنا وأخذ صورة لنا مع الرئيس، وقد نشرت الصور في مجلات أمريكية منها «Time» ومجلات فرنسية.. وما زلت أحتفظ بها. وكانت أول صورة تنشر للرئيس مع زوجته وأولاده، وكان عبد الحكيم أصغر أبنائه يبلغ من العمر أربعة أشهر.

في صيف سنة ١٩٥٥ ذهبنا إلى إسكندرية في بيت على الكورنيش مبني على صخور عالية مكون من دورين، استأجرناه ولم يشاركنا جيران فيه، وكنت أذهب للشاطئ مع الأولاد وأجلس في كابينة بسيدي بشر وبجواري عبد الحكيم. وكان الرئيس يحضر مرات قليلة للإسكندرية ولا يمكث أكثر من يومين أو يوم، ولم يكن حضوره ليستمتع بالبحر، ولم أره ذهب للشاطئ أبدًا.. وكان يحضر ليمضي معنا وقتًا.

وبعد انتهاء الصيف أي في شهر سبتمبر رجعنا للقاهرة. للآن لم أخرج مع جمال أبدًا بعد قيام الثورة إذ لم يكن يوجد وقت أبدًا لنخرج سويًّا. وكان خروجي قليلا، وكنت أذهب إلى السينما والمسرح الذي أحبه، والأوبرا عند حضور فرق أجنبية، وأحضر حفل أم كلثوم.. وكنت أدعى للذهاب وترافقني إحدى السيدات من أقاربي أو زوجات الضباط.. وكان يقول لي: فلتخرجي وتتسلي، ويظهر عليه الارتياح والسرور عندما يعرف أني خرجت أو سأخرج ويقول: المهم أن تكوني مسرورة وتقضي وقتا مسليا.

اللقاء الأول مع يوانكا بروز تيتو

في ديسمبر سنة ١٩٥٥ حضر الرئيس اليوجوسلافي جوزيف بروز تيتو وزوجته السيدة يوانكا إلى مصر في زيارة لأول مرة. وكانت السيدات بعد الثورة لا يزلن لا يشتركن في المآدب التي تقام للضيوف.. فحضرت السيدة يوانكا بروز تيتو لزيارتي مع السيدات المرافقات لها في منزلنا في منشية البكري، وأقمت مأدبة عشاء لهن حضرتها زوجات الوزراء.

طلبت السيدة قرينة الرئيس تيتو رؤية أولادنا.. وهي طيبة جدًّا ورقيقة تحب الأطفال، وطلبت رؤية عبد الحكيم وكان عمره أحد عشر شهرًا، وحملته بين ذراعيها وقبلته.. وهي للآن لا تنسى عبد الحكيم ورؤيتها له أول مرة وتحبه، وكلما زارونا تصافحه بحرارة وتجلسه بجوارها وتدعونا لزيارتهم في يوجوسلافيا.

زرتها في قصر القبة بمفردي، وكانت أول ضيفة أزورها في قصر القبة. وأثناء الزيارة دخل الرئيس تيتو الصالون وصافحني وجلس معنا لدقائق.

تأميم الشركة العالمية لقناة السويس

في صيف سنة ١٩٥٦ ذهبنا للإسكندرية في نفس البيت الذي كنا فيه في الصيف السابق. وقت الاحتفال بأعياد الثورة وقبل ٢٣ يولية رجعت أنا والأولاد للقاهرة كما هي عادتنا، وفي ٢٥ يولية ذهبت إلى إسكندرية مرة أخرى.

وفي يوم ٢٦ يولية في المساء حضر الرئيس للإسكندرية لإلقاء الخطاب في ميدان المنشية، وبعد أن صافحني قال إنه عنده اجتماع مع الوزراء في الصالون في البيت، وسيحضرون بعد قليل. وكنت سأذهب لسماع الخطاب في عمارة بجوار المبنى الذي سيكون فيه الرئيس في ميدان المنشية. خرجت.. وهو لا يزال مجتمعا مع الوزراء في الدور الأول في الصالون، وذهبت قبل وصوله وجلست في شرفة لأراه وأسمعه وهو يلقي الخطاب. حضر جمال عبد الناصر وألقى خطابه التاريخي.

بعد رجوعي للبيت حضر الرئيس وجاء كثير من الزوار، وامتلأ الدور الأول وظل معهم ثم صعد للدور الثاني.. ولم ينم وظل طول الليل يتحدث بالتلفون وقال لي: لم يكن أحد من الوزراء يعلم بتأميم القناه غير اثنين.. والباقي ذهل عند سماعه الخبر ونحن مجتمعون في الصالون. وحدثني عن كلمة السر دلسبس.. فقلت له: عندما كنت تذكر دلسبس - وقد قلتها عدة مرات - كنت أقول في نفسي: لماذا يتحدث عن دلسبس؟ وكانت المفاجأة عند سماعي بتأميم قناة السويس.. وسمعته بصوته ونبراته الرنانة وهو يقول قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس.

أمضى الرئيس ليلتين في إسكندرية في اتصالات وشغل متواصل ثم رجع للقاهرة.

تغييرات في بيت منشية البكري

البيت الذي نسكنه في القاهرة في منشية البكري ظل كما هو لم يحصل فيه أي تغيير في المباني أو الفرش حتى سنة ١٩٥٦. في شهر أغسطس بدأ بناء دور ثان، ورتب على أن يكون الدور الأول للمكتب وعدد ٢ صالون وحجرة للسفرة. والدور الثاني لحجرات النوم والمكتب للأولاد وصالة وحجرة للسفرة ملحقة بالمدخل.

وبقيت والأولاد في إسكندرية، والرئيس في القاهرة في مبنى مجلس الثورة بالجزيرة أو في استراحة القناطر. وعند ابتداء الدراسة رجعت من إسكندرية وكان البناء في البيت لم ينته بعد، فذهبنا إلى استراحة القناطر.. وفي آخر سبتمبر رجعنا للقاهرة ليكون الأولاد قريبين من المدارس، ومكثنا في قصر الطاهرة حتى ينتهي البناء في منشية البكري.

لم يكن الرئيس مرحبًا بالبقاء في قصر الطاهرة ويشعر بأنه غير مستريح، وكان يقول لي: لا أحب القصور ولا الحياة في القصور، ويستعجل الانتهاء من البناء ويسأل السكرتير عن اليوم الذي نذهب فيه إلى منشية البكري، فكان الشغل مستمرا في بناء الدور الثاني في البيت حتى ينتهي بأسرع وقت.

مكثنا في قصر الطاهرة حتى يوم ٢٧ أكتوبر، ورجعنا لبيتنا في منشية البكري.

قال لي الرئيس: لقد تغيرت موبيليا حجرة السفرة.. إن لها ذكرى عزيزة عندي فقد أمضيت سنين أشتغل فيها، وقضيت ساعات أجلس على الترابيزة وأشتغل حتى يوم ٢٣ يولية وقال: أين ذهبوا بها؟..

العدوان الثلاثي

في يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ كان عيد ميلاد ابني عبد الحميد. كان الرئيس موجودًا في البيت في مكتبه، وقد طلب مني أن أخبره عند حضور الأطفال إذ كان يسعده أن يحضر حفل أعياد ميلاد أولاده. دخل حجرة السفرة وصافح الأطفال، ووقف لدقائق وقت إطفاء الشموع، وكان عمر عبد الحميد خمس سنوات، ورجع لمكتبه. ثم بعد ذلك - وكنت لم أزل في الدور الأول والبيت مليء بالأطفال - رآني في الصالة قبل خروجه وقال لي إن عنده اجتماعا وخرج.

في يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حصل الاعتداء الإنجليزي الفرنساوي، وكان الرئيس في البيت. طلب مني أن أنزل إلى الدور الأول مع الأولاد، وصعد هو إلى سطح البيت ليرى الطائرات، ثم دخل مكتبه وظل فيه. بقيت يومين في الدور الأول، وهو يخرج ويرجع في ساعة متأخرة من الليل، ويصعد لحجرة النوم في الدور الثاني ويطلب مني أن أبقى والأولاد في الدور الأول، وجهز ترتيبا لنومنا والغارات مستمرة، حتى سقطت قنبلة قريبة من بيتنا وتناثرت شظاياها في الحديقة، وكان اليوم الثالث للاعتداء وكل الساكنين في المنطقة قد غادروها.

قبل خروج الرئيس في الصباح، وكنت واقفة معه في الحجرة، قال لي بالحرف: أنا ورايا البلد وأولادنا وأنت معاك أولادك، وسيحضر صلاح الشاهد ويوصلكم لبيت في مكان بعيد عن الضرب وقت الظهر. وكان لا يعرف المكان الذي سنذهب إليه في أي جهه أو شارع.. وحياني وخرج.

ذهبنا لبيت في الزمالك صغير مكون من دور وبدروم وفي شارع ضيق، وكنت لم أر بيتا في حي الزمالك بهذا المنظر.. فهو قديم والفرش قديم وغريب، وله حديقة صغيرة جرداء ليس بها زرع. سألت صلاح الشاهد لمن كان هذا البيت؟ قال إن صاحبته أميرة ولم تكن تسكن فيه إذ تعيش في الخارج.

طلبت أن أكلم الرئيس في التلفون وكلمني وسألني عن الأولاد، وفي اليوم التالي طلبته أيضًا في التلفون وتحدثت معه. وبعد ذلك طلبت أن أكلمه فرد عليّ زكريا محيي الدين وقال: إن الرئيس غير موجود في مجلس الثورة وذهب في مهمة وسيكلمك عندما يرجع إن شاء الله. وطبعًا انشغلت جدًّا حتى طلبته ورد عليّ بنفسه.. وعلمت بعد ذلك أنه كان في طريقه لبورسعيد.

طلب الرئيس مكالمتي بالتلفون، وكان الوقت الساعة الثامنة صباحًا والقتال أوقف قبلها بساعات، وقال: يمكنك الآن أن ترجعي منشية البكري بعد أن مكثت خمسة أيام في منزل الزمالك.

وجدت حي منشية البكري خاليًا ولم يرجع أحد لمسكنه، والرئيس ظل في مجلس الثورة، وكنت أكلمه بالتلفون كل يوم.. وعند انتهاء المكالمة كما هي عادته يقول لي: عاوزة حاجة؟ فأشكره. وبعد أكثر من أسبوع سألته متى ستحضر إلى البيت؟ فقال: بعد خروج الإنجليز. وفي مرة كنت أتحدث معه بالتلفون وكعادته قال: عاوزة حاجة؟ فقلت: عاوزة الإنجليز يخرجوا.. وضحكنا.

وبعد ثلاثة أسابيع وكانت الساعة العاشرة مساء اتصل أحد الضباط بالتلفون وقال: سيادة الرئيس في الطريق للبيت، وكنت والأولاد لم نره منذ مغادرتنا منشية البكري رجع جمال إلى البيت وكان عنده إنفلونزا وارتفاع في درجة الحرارة وقال: لقد صمم الدكتور أن أرجع إلى البيت وأرتاح حتى تزول الإنفلونزا، وأن البقاء في مجلس الثورة لا يساعد على الشفاء وانخفاض الحرارة سريعا.

الحياة في بيت منشية البكري بعد الجلاء

سنة ١٩٥٧..

البيت طابقان.. الدور الأول الصالة التي هي مدخل البيت، ثم مدخل على الشمال يليه المكتب، ومدخل صغير على اليمين يليه الصالون الخاص بالرئيس. البيت الذي أمام بيتنا استؤجر ليكون مكاتب لضباط الحرس الخاص والسكرتارية الخاصة.

زاد شغل الرئيس في البيت في مكتبه وفي الصالون في المقابلات، والحركة في البيت ازدادت.. لا فرق بين ليل أو نهار في نظري، وكنت عندما أخرج وأرجع حتى ولو تأخرت - وكنت ذهبت للأوبرا أو المسرح - أجد البيت كما هو.. الرئيس في مكتبه والشغل والحركة والإضاءة في الدور الأول كما هي.

كان الرئيس يهتم بتعليم أولاده، ورغم شغله المتواصل كان يرى الشهادات كل شهر ويقارنها بالشهر الذي سبقه، ويطلب أولاده ويتحدث معهم عن الدرجات.

وكنت لا أجد وقتا أقدم له فيه الشهادات.. فكنت أضعها على الترابيزة في حجرة النوم وأفتحها وأضع القلم فوقها حتى يراها ويوقع عليها بإمضائه، وكانت الشهادات الحمد لله كلها تبعث على الارتياح. هدى دائمًا الأولى بتفوق إذ تسبق الثانية بعدد كبير من الدرجات، وخالد إما الأول وإما الثاني منافسة بينه وبين زميله. وقد لاحظ الرئيس وكان يضحك لهذه المنافسة، وكان يقول لي: أولادنا يا تحية نورثهم العلم.

لم يكن يوجد وقت أبدًا لاختيار ملابسه، فكان يطلب من سكرتيره الخاص إحضار عينات، وتظل في البيت حتى أجد فرصة ليراها ويختار ما يعجبه، ويظل

السكرتير يسأل إذا كان الرئيس اختار القماش، وبعد اختيار القماش كان عمل البروفة. الترزي يطلب من السكرتير الحضور لعمل القياس ويؤجل، وأذكر مرة ظل الترزي يطلب الحضور ويؤجل الميعاد، وأخيرا خيط البدل دون عمل بروفة، وطبعًا لم يستطع الرئيس ارتداءها.. وبعد ذلك كان الترزي لا يخيط بدون عمل قياس مهما طال انتظاره.

أما البيجامات فألوانها متقاربة، وكنت أعرف أنه يفضل القماش المقلم بألوان هادئة كالأزرق الفاتح فكنت أختارها دون سؤاله، أما المقاس فكان المشكلة.. الترزي عنده مقاسه فكانت البيجامات أحيانًا تخيط وعندما يلبسها يجدها غير مضبوطة فتعمل إصلاحات. ومرة كنت في الدور الأول وكان الترزي مع الأولاد ورأيته مصادفة فسألني عن بيجامات الرئيس إذا كانت مضبوطة فقلت، نوعا.. فقال: أتمنى آخذ مقاس جديد للرئيس. وصعدت. وكان الرئيس في حجرته يستعد للخروج فقلت له عن ترزي البيجامات وأمنيته فقال: سأمر عليه عند خروجي. أما الأحذية فكنت أضعها خارج العلب بجوار الكرسي الذي يجلس عليه وهو يستعد للخروج حتى يراها ويختار، فيقول: ليس لدي وقت الآن ويخرج، فأضعها في العلب وتظل أيامًا ويسأل السكرتير وأكرر ما فعلته.

نظام الأكل في بيتنا..

لم تكن هناك مواعيد للأكل مطلقا.. يوم نتناول الغداء الساعة الثالثة أو بعد الثالثة أو الرابعة وقليل جدًّا بعد الثانية. وكنت أنتظره حتى يحضر أو يصعد من الدور الأول حيث يكون في مكتبه أو في الصالون.. وأحيانًا كان يتأخر لما بعد الساعة الرابعة بعد الظهر ويجدني لم أتناول الغداء فيقول لي: لم انتظرتني ولم تتناولي غداءك؟ والأولاد يراهم وقت الغداء في أي وقت يتناوله فيه لأنه يكون بعد رجوعهم من المدرسة، ويطلب منهم الجلوس على المائدة سواء أكلوا أو لم يأكلوا.

أما الإفطار فكان يطلبه في حجرة النوم قبل خروجه مباشرة أو نزوله للمكتب، وأحيانًا يتناول كوب لبن أو عصير فاكهة فقط ويخرج مسرعا، وكان يطلبني قبل خروجه وأجلس معه وهو يتناول إفطاره حتى لو كنت قد تناولت إفطاري.

أما العشاء فكان يتناوله بمفرده أو أتناوله معه إذا كان الوقت غير متأخر، وغالبًا، يكون عشاء خفيفا من الجبنة والزبادي والفاكهة.. ويفضل الجبنة البيضاء.

والأكل لا يكون متعدد الأصناف.. يعني لحم وخضار وأرز.. صنف واحد من اللحوم إما طيور أو لحم أو سمك.

وابنتي منى كانت لا تأكل السمك فيجهز لها لحم، ويوم في الأسبوع يكون الأكل بدون أي نوع من اللحم فيكون الأكل من الخضار والبقول. وكان يقول لي: إن أولادنا عندما يكبرون سيعيشون حياتهم، فلا يجدون فرقا بين معيشتهم الآن وفي المستقبل ويكونون سعداء.. فكنت أنفذ كل ما يقوله وأنا مرحبة ومقتنعة.

كيف كان الرئيس يعامل أطفاله؟

لم يكن يعامل أطفاله بشدة ويقول لي: إن الطفل الذي يضرب يخاف، ولكي يحمي نفسه يكذب، وعندما يكبر يتعود على الكذب، وأهم شيء في تربية الطفل ألّا يكذب أبدًا وإنه عندما يغلط ينبه للصواب. ويظل كلما عمل غلط يشرح له الصواب.. هكذا يظل يوجه للصواب مهما تكرر غلطه.

يوغوسلافيا.. أول سفر للخارج

سنة ١٩٥٨..

كانت الوحدة مع سوريا في شهر فبراير.. زاد شغل الرئيس فوق أعبائه وسافر لسوريا ومكث شهرا وبقيت في القاهرة.

في صيف سنة ١٩٥٨ ذهب ليوجوسلافيا واصطحبني معه بدعوة من الرئيس تيتو، وبإلحاح في دعوتي والأولاد. سافرنا على المركب الحرية، وكانت أول مرة يصطحبني معه وأسافر للخارج. ذهبت مع الأولاد للإسكندرية ووصلنا للمركب ثم حضر بعدنا، وكان يرافقنا في الرحلة الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية ومحمد حسنين هيكل وزوجتاهما.

عندما وصلنا ميناء دبروفننج كان في استقبالنا الرئيس تيتو والسيدة حرمه.. وكنت أول مرة أشاهد استقبالا رسميا أو أكون في مكان رسمي، وكانت الموسيقى تعزف ونقف ثم نسير وأنا بجانب الرئيس، وكان يلتفت بسرعة ويقول لي هامسا أقف أو أمشي أو أتقدم بضع خطوات حتى لا أغلط.. ومشيت بتوجيهه همسًا ولم أرتبك.

تناولنا الغداء مع الرئيس تيتو وكل المرافقين له والمرافقين للرئيس، وفي المساء ذهب هو والمرافقون مع الرئيس تيتو لحضور احتفال بمناسبة تاريخية لا أذكرها في بلد هناك، ومكثت مع السيدة يوانكا حرم الرئيس تيتو والسيدات المرافقات في دبروفننج لمدة يومين.

رجع الرئيسان وغادرنا دبروفننج لبريونى سويًّا، وعند صعودنا إلى المركب ووصولنا لجزيرة بريوني كان الاحتفال الرسمي نفسه، وكان الرئيس وأنا أسير بجانبه يلتفت إليّ ليهمس فيجدني أتقدم بالخطوات وأقف ثم أسير معه قبل همسه. وفي المساء قال لي: إنك تعلمت. فقلت له: السبب أني حفظت نغمة الموسيقى.

مكثنا في جزيرة بريوني يومين ثم غادرناها بالعربات نتنقل في بلاد يوجوسلافيا الجميلة. وكانت تحصل لي مواقف أرتبك فيها، وفي البلد الذي نصل إليه أو نبيت فيه يستقبلنا رئيس جمهورية من جمهوريات يوجوسلافيا كما هو النظام هناك. وأذكر قبل مغادرتنا بلدًا في الصباح قال لي الرئيس: سيكون موجودا رئيس الجمهورية الذي لم يكن قد حضر للبلد بعد عند وصولنا.. فسلمي عليه، قلت: نعم. وعندما نزلنا وكنت بجانبه وجدت واحدًا واقفا في وسط الصالة في اللوكاندة لم أره من قبل فسلمت عليه، فنظر لي الرئيس وكان الرئيس تيتو مقبلا وبجانبه رجل آخر لم أره أيضًا من قبل، وقال هامسًا: سلمي على الرئيس تيتو والذي بجانبه.

وفي المساء ونحن بمفردنا قال لي: لقد قلت لك سلمي على رئيس الجمهورية فوجدتك صافحت المتردوتيل أولًا، وكان الرئيس يضحك وهو يتحدث فقلت له: لقد قلت لي إنه يوجد رئيس جمهورية البلد وقد حضر في الصباح فوجدت رجلا لم أره من قبل فقلت في نفسي هذا هو رئيس الجمهورية.. وضحك جدًّا وضحكت وقلت: سوف لا أغلط مرة ثانية.

وفي اليوم التالي.. وكنا وصلنا لبلد آخر، وكان الرئيس ركب عربة مع الرئيس تيتو وركبت عربة بجوار المدام، ووقفت عربة الرئيسين ونزلا أولًا، وكان يقف ثلاثة رجال في استقبالنا أمام اللوكاندة فلم ألاحظ الذي صافحه الرئيس أولًا. وفي المساء قال لي: لقد صافحت السكرتير أولًا ولاحظت عليك الارتباك.. وضحكنا.

وبعد ذلك لم يقل لي ملاحظة في المساء فقلت له: إنني لم أغلط اليوم وها نحن لم نضحك.

قضينا أسبوعا في يوجوسلافيا، وقامت ثورة العراق أثناء وجودنا هناك وتأزم الموقف الدولي، وغادرنا بريوني بالمركب في طريقنا للإسكندرية، ولم يكن

الرئيس تيتو مطمئنا للسير في البحر لوجود الأسطول الأمريكي في البحر الأبيض. وفي طريقنا، ونحن لم نزل في بحر الأدرياتيك، أرسل برقية يحذر فيها الرئيس من الاستمرار في الرحلة لخطورة الموقف.

كان الوقت مساء.. وكنت مع الأولاد وحرم الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية نشاهد فيلما في السينما وتوقفت المركب عن السير. وبعد انتهاء الفيلم قمت لأذهب إلى حجرتي فقابلني في تراس المركب محمد حسنين هيكل فتبادلنا التحية وقال لي: سأسألك سؤالا.. الموقف في منتهى الحرج والرئيس تيتو يخشى استمرار الرحلة، والمركب توقف عن السير، والرئيس يشتغل في حجرة العمليات يتلقى الأخبار والبرقيات، وأنا أفكر ومن وقت وأنا أتمشى وألاحظك تشاهدين فيلما في السينما فواحد من اثنين.. إما أنا جبان أو أنت شجاعة جدًّا.. فقلت: لا ده ولا ده إنها مسألة اعتياد.. فقد اعتدت على المواقف الصعبة. فرد: إني لا أخشى على نفسي قط بل أخشى على الرئيس جمال عبد الناصر فقط، فالأمريكان لا يهمهم إلا هو. قلت: إن شاء الله تنتهى على خير.

وظلت المركب واقفة حتى الصباح والرئيس يشتغل، وفي الصباح غادر المركب إلى مدمرة - إذ كان يرافقنا مدمرتان - ومعه وزير الخارجية ومحمد حسنين هيكل، ورجعت بنا المركب لجزيرة بريوني.

وصلنا في اليوم التالي.. السيدات والأولاد والمرافقون. ذهبنا لفيلا الضيافة، وبعد وصولنا طلبني الرئيس تيتو لأقابله، وكان يقيم في فيلا بجوار فيلا الضيافة. قال لي: إن الرئيس جمال عبد الناصر موجود في الاتحاد السوفيتي في مكان خارج موسكو، والزيارة سرية وسوف لا يذاع مكان وجوده الآن، ورجوعكم لبريوني سيظل في الكتمان، وسوف تمكثون في الفيلا ولا تخرجون حتى لا يعرف مكانكم، ولا تقولي لأحد، وعندما تصلني أخبار سأخطرك بها.

مكثنا يومين لا نظهر خارج الفيلا، والمرافقون، ومنهم كبير الأمناء والطبيب مكثوا في الدور الذي تحت الدور الأول ببضع سلالم، وكلما حاول أحد منهم الخروج للحديقة منعه الحرس. طلب كبير الأمناء مقابلتي، وكان منزعجا وقال: إننا نكاد

نكون كالمعتقلين، وسألني إذا كنت أعرف أين ذهب الرئيس، وقال إنه والمرافقين قلقون جدًّا عليه. قلت: إن الرئيس تيتو قال إنهم في مكان ما وبخير.. وسوف يخبرني عندما تصله أخبار.

كانت مدام تيتو تحضر وتبقى معنا حتى المساء، وكانت السيدات قلقات وأكثرهن قلقا حرم محمد حسنين هيكل إذ كانت تبكي، وكنا نستمع للإذاعة وعرفنا أنهم وصلوا لسوريا.. الرئيس جمال عبد الناصر والمرافقون له.

وأخيرا سمح لنا بالخروج، ودعانا الرئيس تيتو في رحلة في يخت جميل أمضينا فيه اليوم.

بعد أن وصل الرئيس للقاهرة، وكان قد رجع على طائرة سوفيتية، هبطت الطائرة نفسها في اليوم التالي في بريوني لنستقلها للقاهرة، وكانت أول مرة أركب طائرة.

كان موعد وصولنا يوم ٢٢ يولية والرئيس سيلقي خطابا في المساء. أخبره السكرتير عن الساعة التي ركبنا فيها الطائرة، بينما كان الرئيس في مكتبه يكتب وحان موعد وصول الطائرة، وكان قد طلب من السكرتير أن يخبره عند وصولنا. ظل الرئيس ينتظر ويسأل السكرتير مدة ساعتين، ويحسب الوقت الذي يمكن أن تطير الطائرة فيه والوقود الذي تحمله ويجد الوقت فات بساعتين. قال لي الرئيس: لقد وضعت القلم وجلست أفكر وأنا في غاية القلق، وحان وقت خروجي لإلقاء الخطاب فخرجت من المكتب لأركب العربة.. رأيت الضابط يجري مسرعًا وقال لي: لقد وصلوا المطار في أنشاص، إذ لم يكن مطار القاهرة قد جهز بعد لاستقبال الطائرات الكوميت النفاثة.

قال لي جمال: لقد كان من أحرج الأوقات التي مرت بي يا تحية وأنا أنتظركم وأصعبها.. وقابلنا بحرارة. وكان السكرتير أخبره عن الميعاد الذي ركبنا فيه قبل ركوبنا الطائرة بساعتين.

ست سنوات مضت ولم نخرج سويًا في عربة!

كنا في استراحة القناطر وكنا راجعين للقاهرة في المساء، وكنت أركب العربة مع الأولاد ويركب الرئيس عربته.. وكان يفضل أن نسبقه. كنا جالسين في الحديقة وأنتظر دخول العربة، فقلت: لقد مضت سنوات لم أخرج معك في عربة.. فقال لي: فلتركبي معي ونرجع سويًا، وكان أحد الضباط يقف بجوار عربة الرئيس وعندما رآني قال: تفضلي.. ومشى لعربتي وظن أني لم أنتبه لها فوجدني ركبت عربة الرئيس، وظهر عليه الارتباك فقلت للرئيس: إنهم مندهشون اليوم فقد مضت ٦ سنوات لم نخرج سويًا في عربة.

لم يكن يوجد وقت يقضيه معي إلا أنه كان يحب أن أكون بجانبه وهو في البيت وفي حجرته، وإذا صعد من مكتبه أو حضر من الخارج ولم يرني عند حضوره يقول لي: لقد بحثت عنك ودخلت حجرتك. وأحيانًا يدخل حجرات الأولاد وتكون فرصة لملاطفتهم والبقاء معهم لدقائق. لم أره أبدًا يستريح، وكل وقته شغل يقرأ أو يكتب أو يتحدث بالتلفون، والوقت الذي لا يشتغل فيه هو الساعات التي ينامها فقط.

وكنت أستمع لحديثه بالتلفون ولا أعلق أو أفتح فمي بكلمة مهما كان الحديث من الأهمية والخطورة، والدوسيهات ترسل وأضعها في حجرته على الترابيزة بجانبه قبل حضوره. وأثناء وجوده في حجرته ترسل مذكرات يقرؤها ويعطي تعليمات بالتلفون أو يكتب مذكرات وترسل للسكرتارية، والجرائد العالمية ترسل كل يوم ويقرؤها.. فكنت أظل أياما لا أجد وقتا أتحدث فيه معه إلا تحيته لي التي لا ينساها أبدًا حتى إذا تكرر دخولي الحجرة عدة مرات.

خريف سنة ١٩٥٨

بعد رجوعنا من إسكندرية.. مرض الرئيس بالسكر وأخبرني بمرضه فحزنت جدًّا، وكنت أنزل للحديقة بمفردي وأبكي، وانقطعت عن أكل الحلوى لوقت طويل من شدة حزني، وكنت لا أقدم الأصناف التي لا توافق العلاج فكان يطلبها ولا يأكل منها، وكان يقول لي: الحمد لله إن مرضَ السكر أخف من أمراض أخرى كثيرة.. ولحرصي الشديد على صحته كنت أقوم بطهي ما يأكله بنفسي في أغلب الأيام.

أول عشاء رسمي مع الرئيس والإمبراطور هيلاسلاسي

في شهر فبراير سنة ١٩٥٩ سافر الرئيس لسوريا وقت عيد الوحدة ومكث حوالي شهر.. وبقيت في القاهرة.

في يونية سنة ١٩٥٩ حضرت أول عشاء رسمي مع الرئيس وكان لإمبراطور الحبشة هيلاسلاسي.. حضره الوزراء وزوجاتهم والسلك الدبلوماسي.

وقفت بجوار الرئيس والإمبراطور والمدعوون يمرون لمصافحتنا، وبعد انتهاء الاستقبال شعرت بسرعة في دقات قلبي وإغماء، وكنت جالسة بجوار الرئيس والإمبراطور.. أخبرته بما أشعر به، فقال لي أن أذهب وأستريح في حجرة مكتبه.. وكنا في قصر القبة. غادرت حفل العشاء وأحضر لي طبيبا وظل هو مع الإمبراطور والمدعوين حتى انتهى العشاء.. وكنت تحسنت ورجعت لحالتي الطبيعية ورجعنا إلى البيت. وفي اليوم التالي عمل لي فحص طبي، ولم يكن بي أي مرض إلا أنه مجرد انفعال لحضوري في حفل رسمي وأول عشاء لي وكان مع الإمبراطور.

في عشاء آخر.. وكان مع الرئيس نهرو رئيس وزراء الهند.. ذهبت مع الرئيس وجلست على ترابيزة الأكل بين نهرو والرئيس وبدأنا في العشاء، وأخذ الرئيس نهرو يتحدث معي وأنا بجواره.. شعرت بسرعة نبضات قلبي والإغماء ونفس ما حصل لي في حفل الإمبراطور. قررت أن أظل كما أنا في مكاني ولا أخبر الرئيس، وأتحمل ما يجري لي حتى ولو توقف قلبي لكن لا أغادر المكان. وفي آخر المأدبة وعند تقديم الحلوى شعرت بحالتي ترجع طبيعية، وبعد انتهاء العشاء قمت ومشيت بجوار الرئيس نهرو والرئيس وأنا في حالة عادية.

ونحن راجعون في الطريق قال لي جمال: لقد لاحظت عليك أثناء العشاء أنك غير عادية فقلت الأحسن ألّا أشعرك بأني لاحظت شيئًا حتى لا تزداد حالتك، وأخذت أتحدث مع السيدة التي بجواري ولم ألتفت ناحيتك. فقلت له ما حصل لي. وفي اليوم التالي عمل لي فحص طبي وقال لي الدكتور: لقد عالجت حالتك بنفسك والآن سوف لا تحصل لك مرة ثانية، وأعطاني حبوبا أتناولها قبل ذهابي لمآدب العشاء الرسمية، وكنت أتناولها قبل خروجي مع الرئيس.. وبقيت هكذا لفترة وكان الضيوف كثيرين.. وبعد ذلك اعتدت وأصبحت لا أتناول الدواء، وأصبح حضوري المآدب الرسمية شيئًا عاديًّا، وكنت في أغلبها أهدى بنيشان فيتضاعف الموقف الرسمي.

الزيارة الرسمية إلى اليونان

سنة ١٩٦٠..

تلقى الرئيس دعوة من الرئيس تيتو، ودعاني والأولاد لنقضي أياما في جزيرة بريوني أثناء إجازة الصيف. وكان الرئيس قد تلقى دعوة مماثلة من ملك اليونان ودعيت معه، وتكررت الدعوة فرتب أن نذهب لليونان في طريقنا لبريوني. وسافر كبير الأمناء لليونان قبل سفرنا فأخبره رئيس البروتوكول اليوناني أن العشاء يجب أن يكون بملابس السهرة للرجال والسيدات. رجع كبير الأمناء وأخبر الرئيس فرد وقال: سوف لا أرتدي ملابس السهرة أو ألغي السفر لليونان. اتصل كبير الأمناء برئيس البروتوكول في اليونان وأخبره بما قاله الرئيس، فكان الرد أن الملك يرحب بحضور الرئيس جمال عبد الناصر وينتظر زيارته باللبس الذي يريده.. المهم أن يزور اليونان.

ركبنا المركب « الحرية».. الرئيس وأنا والأولاد ووزير الخارجية الدكتور محمود فوزي ومحمد حسنين هيكل وزوجتاهما.

وصلنا ميناء بريه واستقبلنا الملك والملكة وأولادهما - ولي العهد وشقيقتاه - في قارب حتى المركب، ونزلنا في الميناء في استقبال رسمي وغادرنا في عربات.. الرئيس مع الملك وأنا مع الملكة حتى القصر الذي سنقيم فيه، وكان بجوار قصر الملك.

أقام الملك مأدبة عشاء حضرها أعضاء الأسرة المالكة والسلك الدبلوماسي

ورئيس الوزراء والوزراء، وكان النظام أن يقف المدعوون على جانبي البهو الكبير ونمر في الوسط لتحيتنا كما هي عادة الملوك.

وقفت الملكة بجوار الرئيس لتتأبط ذراعه وتمشي بجواره فقال لها: سأمشي بجوار الملك وأنت تمشين بجوار زوجتي، فسألته الملكة: وماذا لو تأبطت ذراعك؟ قال لها: إني أخجل.. فرجعت الملكة ووقفت بجواري وقالت لي بالإنجليزية: أعطيني يدك أو آخذ يد زوجك.. ومشينا وسط المدعوين يحيوننا.. الرئيس بجانب الملك وأنا بجانب الملكة.

الوحدة والانفصال

كان الرئيس يسافر في عيد الوحدة لسوريا ويمكث أكثر من شهر، ولم أذهب معه إذ كان يفضل أن أبقى مع الأولاد.

سنة ١٩٦١..

في يوم ٢٨ سبتمبر في الصباح.. وكنت بجوار الرئيس.. تلقى مكالمة تلفونية تخبره بأنه وقع انقلاب عسكري في سوريا، وكان المشير عبد الحكيم عامر هناك. قام بسرعة وارتدى ملابس الخروج والتأثر يبدو عليه وخرج، ولم أقل أي كلمة كعادتي مهما كان الحديث من الأهمية. سمعته في الراديو يخطب وهو في غاية التأثر.. كان شعوري وأنا أسمعه.. متأثرة لحزنه، وفي نفس الوقت للحقيقة لم أكن حزينة للانفصال. بعد إلقائه الخطاب رجع إلى المنزل والتأثر يبدو عليه للغاية، ثم خرج ثانية وبقيت في البيت أتتبع الأخبار من الإذاعة.

وكنت محتارة بين أن أكون زعلانة متأثرة لزعله أو أكون لست زعلانة. إذ لم تكن الوحدة بالنسبة لي شيئًا أستريح له.. لأنه أولا زاد عمله لأقصى حد، وفي آخر سنة ١٩٥٨ مرض بالسكر وكنت أقول في نفسي أنه أصيب بالمرض من كثرة الشغل.. وبالإضافة إلى ذلك سفره وقت عيد الوحدة.

رجع الرئيس في المساء وكنت في الحجرة وبجواره.. لم يقل أي كلمة ولم أقل أي كلمة، وكنت لا أدري ماذا أكون؟.. زعلانة متأثرة أم لا؟

كنا في الصيف في إسكندرية في المعمورة، وكان قد بني بيتان متجاوران في سنة

١٩٥٩ للرئيس والمشير عبد الحكيم عامر.. المبنى والشكل متطابقان، وقد أصبح بيت المشير عبد الحكيم عامر استراحة الرئيس أنور السادات بالمعمورة فيما بعد. كان المشير يحضر ويجلس مع الرئيس على الشاطئ.. وكان صيفا بعد الانفصال، وكنت جالسة بجوارهما وتكلما عن سوريا والانفصال، فقال الرئيس عني للمشير: إنها انفصالية، ولم تكن تعجبها الوحدة.. وضحكا. وكانت هي الحقيقة فضحكت وقلت: إنها كانت عبئا وأزيح.. وضحكنا جميعًا.

كما قلت دائمًا وهو في المنزل، في الوقت الذي يكون فيه في الدور الثاني، أكون بجواره بالليل أو بالنهار، وهذه رغبته وكان يشتغل باستمرار.. في الحجرة، في المكتب، وهو مستلق على السرير، فكنت أستمع لأحاديثه التلفونية وأحيانًا يكون المتحدث معه محمد حسنين هيكل. وبعد ذلك في يوم الجمعة الذي يكتب فيه هيكل مقاله بصراحة في جريدة الأهرام مرات أجد في المقالة مما قد سمعت في حديث الرئيس له.

هواية السينما والتصوير

كان الرئيس جمال عبد الناصر يحب مشاهدة أفلام السينما ويعتبرها وقت راحة. وأثناء مشاهدة الفيلم كانت ترسل له مذكرات، ويستعمل الولاعة في قراءتها ويكتب الرد في دقائق، ثم يستمر في مشاهدة الفيلم. وأحيانًا يقوم بعد قراءة المذكرة ويذهب لمكتبه، ويقول لي قبل مغادرته حجرة السينما: فليستمر عرض الفيلم، ولكني كنت أطلب أن يتوقف حتى يحضر الرئيس، ويغيب قليلا ثم يرجع. وأحيانًا تكون المذكرة بالأهمية فيقول لي: فلتكملي أنت الفيلم وسأذهب للمكتب، فكنت أستمر في المشاهدة، وأحيانًا أصعد للدور الثاني إذا لم يكن الفيلم يعجبني. وفي السنتين الأخيرتين التي كان لا يدخن فيهما كان يحضر السينما ومعه بطارية صغيرة يستعملها عند قراءة المذكرات.

كان الرئيس يحب التصوير بالكاميرا للصور العادية ولأفلام السينما، وكان ينزل للحديقة في أوقات قليلة ويطلب الأولاد ويصورهم، وكنت أكثرهم صورا وآخذ قسطا كبيرا من الأفلام، وكنت أقول له: إنك لا تكون معنا في الصور.. فيعطيني الكاميرا لأصوره مع الأولاد، ويطلب من أحد الأولاد أن يصورنا سويًّا. وقد أهدى كل أولاده آلات تصويرعادي وسينما، وكان لا ينسى أعياد ميلادهم ويطلب شراء هدايا لهم. وكان يحب الموسيقى ويحب سماع أم كلثوم، ويطلب تسجيلات أغانيها وأحيانًا يسجلها بنفسه، ويستمع للتسجيل بصوت خافت وهو يعمل في حجرته.

إنه يعمل باستمرار.. وأسرته التي هي أولاده وأنا لم يكن يوجد وقت لنا، لكنه كان يشعرنا بأنه معنا في كل وقت، ونشعر بأننا معه في كل أوقاته وأننا كل شيء في حياته.

أُهدي بهدية طقم مكتب جميل وضمن الطقم برواز لصورة قال لي: ضعيه في مكتبي وهو الذي يلي حجرة نومه، وقال رتبي الطقم على المكتب. وبعد أيام، وكان خارجا من حجرته رأيته أخذ صورة لي كانت موضوعة على ترابيزة في حجرة المكتب - وكان هو الذي وضعها بنفسه - وثبتها في البرواز الجميل فوق مكتبه، أمامه وهو جالس على المكتب.. فشكرته وأنا في غاية السعادة.. وهي الآن في مكانها كما وضعها بنفسه.

كان يسافر وكل سفره في مؤتمرات ولم أرافقه، وكان يقول لي: إننا لا نركب طائرة واحدة سويًّا ونترك أولادنا.. ويضيف: وسأكون مشغولا. وبالإضافة إلى ذلك فهمت أنه لا يريد الترف والبذخ وهو إنكار الذات، وإن مرافقتي له في المؤتمرات رفاهية لا يرضى بها، فلم أطلب منه أبدًا أن أرافقه، وعند سفره يودعني بإعزاز وحب وأتتبع أخباره حتى يوم عودته.. وتكون الفرحة.

كان الرئيس لا يقبل هدية إلا من رئيس دولة ويفضل أن تكون رمزية، وأهدي بعربات من الرؤساء والملوك وبالأخص العرب، وطائرة ومركب وفرس من رؤساء الدول الصديقة.. وكلها سلمها للدولة ولم يترك بعد رحيله إلا العربة الأوستن السوداء، وقد ظلت باسمه في قلم المرور، وقد قيل لي إنها ستوضع في متحف للقوات المسلحة. كذلك أُهدي بعدد من الساعات من الملوك العرب أهداها لضباط، وكان يقول لي: إنهم من الضباط الذين خرجوا معي يوم ٢٣ يولية.

أحضر أحد العرب من رجال الأعمال الأغنياء أصحاب الملايين هدية، وكلف صلاح الشاهد كبير الأمناء بتوصيلها للرئيس فأحضرها له.. وكانت من الحلي الثمينة فردها ورجع بها صلاح الشاهد، فرجاه رجل الأعمال العربي أن يحضرها مرة ثانية وقال للرئيس: إنه بكى ورجاني وألح أن أكرر إحضارها، فلم يقبلها، وقال له: أرجعها.. فقال له صلاح الشاهد: إنها هدية تساوي أكثر من مائة ألف جنيه، فرد الرئيس وقال له: لم أقم بالثورة من أجل مال وحلي ومجوهرات، وفي إمكاني أن أصدر قرارا غدًا بمضاعفة مرتبي مرات، لكن ليس هذا ما قمت بالثورة من أجله.. اذهب بها ولا أريد أن أراها. رجع صلاح الشاهد للرجل فبكى مرة ثانية وأعطاه

قلم حبر باركر وقال: أرجو أن يتكرم الرئيس ويقبل هذا القلم.. وأحضره صلاح الشاهد فقبله.

وعندما حكى لي الرئيس قال: إن صلاح الشاهد أغاظني.

وعند زواج ابنتنا هدى قدم أحد الوزراء هدية من الحلي فرفض الرئيس قبولها وردها. وكانت إحدى زميلات هدى في الكلية ابنة أحد السفراء فقدمت لها ساعة مرصعة فلم يقبلها، وقال لهدى أن تردها وتكتب لها خطابا رقيقا تشكرها.

البنات والأولاد والأحفاد

نجحت هدى ابنتنا في الثانوية العامة بتفوق وذهبت إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وكانت ضمن الذين صافحهم الرئيس في عيد العلم سنة ١٩٦٣ وأهداهم جائزة وشهادة تقدير.

قابلت هدى الطالب بالكلية حاتم صادق وكان في السنة الثالثة.. أخبرتني عنه وقالت لي إنها تتقابل معه أثناء الرياضة، وكانت في فريق كرة السلة، وإنه قال لها إنه سيتقدم لخطبتها بعد تخرجه. قلت لها ألّا تراه خارج الكلية، ولم أخبر الرئيس.

وفي السنة التالية، وكانت قد انتقلت للسنة الثانية وحاتم انتقل للسنة الرابعة، قالت لي إنها تريد مني أن أخبر والدها فقلت لها: سأخبره. قال لي الرئيس: لقد أخبرتني هدى عن زميلها في الكلية.. فقلت له لقد سبقتني وحدثتك عن زميلها وقد طلبت مني أن أخبرك.. فرد وقال: أتمنى لها السعادة والتوفيق، وأضاف.. إنها ذكرت لي اسمه وأن والده على المعاش، وكان وكيل وزارة الزراعة، ويسكنون في شارع الهرم.. وكنت أعرف كل ذلك إذ كانت هدى قد أخبرتني من قبل.

قال لي الرئيس: سأسأل عنه عندما يحين وقت الخطوبة، وقال: إن هذا هو رأيي في زواج هدى ومنى إن شاء الله.. فهي التي تختار من تريده زوجا لها. استطرد في الحديث فقال لي إنه تلقى طلبات كثيرين للتقدم لخطبتهما من أولاد الأغنياء والباشوات السابقين، واعتذر بأنهما تكملان دراساتهما وقال: ويبلغهم شكري السكرتير الخاص.

في آخر السنة الدراسية عام ١٩٦٤ قبل الامتحان بأيام قليلة قالت لي هدى إن زميلها حاتم صادق يريد التقدم لخطبتها لأنه سيتخرج، وإنها بعد ذلك سوف لا تقابله في الجامعة.. فأخبرت الرئيس فقال: فلتحدد ميعادا، ويحضر مع والدته وتقابليهما، وأنا سوف لا أسأل عنه، فماذا سيجدي سؤالي بما أنهما متفقان؟ أتمنى لها السعادة.

حضر حاتم ووالدته وقابلتهما مع هدى وبعد ذلك سألت الرئيس عن ميعاد ليقابله مع والده وحدد الميعاد. تمت المقابلة، وبعد انصرافهما صعد الرئيس للدور الثاني وهنأني وقال: إن عقد القران سيكون بعد أسبوعين إن شاء الله. قلت: كيف بهذه السرعة؟ قال: لقد قلت لوالده إننا صعايدة ولا تكون هناك خطبة.. إنه عقد القران.

وتخرج حاتم صادق من الكلية ونجحت هدى للسنة الثالثة، وبعد مرور عام على انتهاء الامتحان وفي إجازة الصيف - وكانت هدى لم تزل في الجامعة ونجحت للسنة الرابعة - تم زفافها في ٥ أغسطس سنة ١٩٦٥ . وبعد انتهاء حفل الزفاف، وعند مغادرة هدى البيت صافحها الرئيس وقبلها وبكى. وعندما صعدنا للدور الثاني ودخل حجرته كان متأثرا وقال.. لقد تركتنا هدى.. وفي اليوم التالي في المساء لاحظت عليه أنه لم يزل متأثرا لمغادرة هدى البيت فقلت له: إنها تحب حاتم.. وهي التي قالت لنا إنها تريد أن تتزوجه.. وهي سعيدة الآن. وقد قلت هذا الكلام حتى يذهب عنه التأثر.. قال: إنها تعيش حياتها.. أسعدهما الله.

في سنة ١٩٦٦ تخرجت هدى من الكلية ونجحت بتفوق بتقدير جيد جدًّا مع مرتبة الشرف، وعينت مع حاتم صادق في رئاسة الجمهورية.

نجحت منى في الثانوية العامة في السنة التالية بعد دخول هدى الجامعة، وكانت درجاتها لا تدخلها كلية الاقتصاد كأختها، وكانت رغبتها أن تلتحق بها. رفض الرئيس أن تدخل ابنته الكلية رغم ترحيب وزير التعليم العالي والجامعة. التحقت منى بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بقسم الاقتصاد والعلوم السياسية.

تقدم لمنى أشرف مروان، من خريجي كلية العلوم وكان ضابطا في القوات المسلحة بقسم الكيمياء برتبة ملازم أول، ووالده ضابط بالقوات المسلحة برتبة عميد. وكانت منى قد قابلته مع شقيقته التي كانت على معرفة بها في النادي. أخبرتني وأخبرت

الرئيس وبنفس الطريقة تمت الخطبة وعقد القران، وكانت منى في السنة الثانية في الجامعة الأمريكية، وفي إجازة الصيف تم الزفاف في ٧ يولية سنة ١٩٦٦.

أنجبت هدى الطفلة هالة أول أحفاد الرئيس، وعندما أخبرني حاتم وهنأني بمولد هالة - وكان الوقت مساء - ذهبت للمستشفى ومعي إخوتها، وعندما رجعت وجدت الرئيس في الدور الثاني في حجرته.. استقبلني قائلا: أهلا بالجدة.. وقال لي: أحسن ما يمكن أن تسمعه جدة لأول مرة. وفي اليوم التالي ذهب لزيارة هدى في المستشفى وحمل هالة بين ذراعيه، وقد نشرت صورته في الجرائد وهو يحمل حفيدته، وما زلت أحتفظ بالصورة.

بعد ثلاثة أشهر وضعت منى ابنها جمال، وهي لم تزل طالبة في الجامعة الأمريكية. زارها الرئيس في المستشفى وحمل جمال بين ذراعيه، ونشرت الصورة أيضًا وهو يحمل حفيده جمال.

تخرجت منى ودعتني الجامعة إلى حفل التخرج فذهبت وأعجبت بالجامعة، ورأيت منى وهي تمر في الصف ترتدي روب الخريجين وغطاء الرأس. اشتغلت منى في دار المعارف للنشر.

التحق خالد بكلية الهندسة جامعة القاهرة بعد نجاحه في الثانوية العامة بمجموع ٨١ في المائة. أصبح خالد لا يرى والده كالعادة وقت الغداء كل يوم فكان الرئيس يسأل عنه ويقول: لا أرى خالد.. وتمضي أيام لا يتقابل معه فيها لاختلاف مواعيد الكلية وعدم حضوره وقت الغداء.

عدوان ٥ يونية ١٩٦٧

أول يونية ١٩٦٧..

كان الاعتداء الإسرائيلي على سوريا وكان الرئيس يجلس معنا في الصباح.. قال: إن اليهود سيعتدون على مصر، وحدد بالضبط يوم الاثنين المقبل.. وحصل الاعتداء الإسرائيلي في اليوم الذي حدده الرئيس.. ٥ يونية ١٩٦٧ في الصباح.

في يوم ٩ يونية ألقى الرئيس خطابا، وكنت جالسة في الصالة كعادتي وقت إلقائه خطاباته أمام التلفزيون ومعي أولادنا، وسمعته وهو يعلن تنحيه عن الحكم، ورأيت الحزن على وجهه وهو يتكلم، ولم أكن أعرف أو عندي فكرة أبدًا عن التنحي، وكان يجلس معي عبد الحميد وعبد الحكيم أصغر أبنائي - وكان في الثانية عشرة - فرأيت على وجهيهما الحزن، ودخل ابني خالد الصالة أيضًا فقلت لهم: إن بابا عظيم وهو الآن أعظم فلا تزعلوا. رد عبد الحميد وقال بالحرف: أحسن يا ماما علشان بابا يستريح، وقاموا يمشون في البيت كالعادة.

لم تمض دقائق حتى علا صوت الجماهير حول البيت.. وحضر الرئيس وصعد للدور الثاني ودخل حجرته وخلع بدلته ولبس البيجاما ورقد على السرير.

انسد الشارع وتعذر الدخول للبيت، ومنهم من لم يستطع الوصول للشارع الذي فيه بيتنا. حضر معظم المسئولين.. نواب الرئيس ووزراء وضباط وامتلأ الدور الأول، ومنهم من كان يبكي بصوت، ويصعد السلالم ويطلب الدخول للرئيس في حجرته. ورأيت بعضهم جلس على السلالم ينتحب وكنت أسمع صوت بكائه.. فكنت أدخل

للرئيس في الحجرة وأخبره عمن يطلب مقابلته. وقد سمح لعدد قليل بالدخول إلى حجرته.. ثلاثة أو أربعة وأراهم يخرجون من عنده وهم ينتحبون، ثم قام وارتدى البدلة ونزل للدور الأول ومكث معهم لوقت قصير. وصعد إلى حجرته مرة أخرى وخلع البدلة وارتدى البيجاما ورقد في السرير وأخذ مهدئا وقال: سأنام. وكان محمد علوبة الخاص بخدمته قد صعد وخبط على الباب ومعه مذكرة وأوراق فقال لي الرئيس: قولي له لا يحضر أي أوراق وينصرف، وبقيت بجانبه وأصوات الجماهير تزداد حول البيت.

نمت حتى الصباح وقمت كالعادة وأصوات الجماهير والهتافات لم تنقطع وتعلو بشكل لا أقدر أن أصفه، وخرجت من الحجرة وظل هو راقدا على السرير.. وكنت عندما أخرج من الحجرة في الصباح أخرج بهدوء ولا أدخلها حتى أسمع الجرس ليدخل الخاص بخدمته. وبعد وقت أدخل له ونتبادل تحية الصباح ثم أتركه ويكون قد بدأ في القراءة والاتصالات.. حتى يطلب الإفطار ويطلبني لأجلس معه. لم أدخل الحجرة في هذا الصباح إذ كان يدخل له زوار فرادى يمكثون وقتا قصيرا ويخرجون.. وهو في حجرته لم يغادرها.

وقت الظهر وجدت الحديقة من الخلف يرص فيها كراسي صفوفا، ووجدت الإذاعة والتليفزيون تجهز في الحديقة، ورأيت مذيعًا من الإذاعة وفريقا من الأخبار في التلفزيون، ونظمت الكراسي ووضعت منضدة أمام الصفوف. سألت: ما هذا؟! فقيل لي إن مجلس الأمة سيجتمع هنا. وكان ترتيب الكراسي والصفوف بشكل أدهشني وكأنها صالة مجلس الأمة في الهواء الطلق.. فقلت في نفسي: لقد رأيت كثيرًا من المواقف والمفاجآت الغريبة في حياتي، وها هي تختتم بمجلس أمة في البيت.

تركت الفراندة، وكنت أعد أكلا خاصا للرئيس فذهبت لإكماله.. فدخلت ابنتي منى وقالت: يا ماما أنور السادات – وكان في منصب رئيس مجلس الأمة – يعلن في التليفزيون أن بابا رجع رئيسا للجمهورية وأنت يا ماما هنا؟ فذهبت للصالة ورأيت أنور السادات وقد قرب من الانتهاء من الحديث فسألت: وما هذا مجلس الأمة الذي

أعد في البيت في الحديقة والإذاعة والتليفزيون؟ فقالوا لي: إن أعضاء مجلس الأمة لم يمكنهم الحضور لشدة ازدحام الشوارع بالجماهير، وهم مجتمعون الآن في مقر المجلس بعد أن قبل الرئيس بالعدول عن التنحي. كل هذا والرئيس في حجرته لم يخرج منها.. دخلت له في الحجرة ووجدته راقدا على السرير.. ولم أقل شيئًا.

في صيف سنة ١٩٦٧ بقينا في القاهرة حتى شهر أغسطس فقال لي الرئيس: اذهبي إلى إسكندرية مع الأولاد، وظل هو في القاهرة. وفي شهر سبتمبر حضر الرئيس للإسكندرية بعد أن أحبط مؤامرة دبر لها المشير عبد الحكيم عامر للرجوع لمنصبه بالقوة، بعد تغيير الرئيس للقيادة في القوات المسلحة. أمضى جمال أياما قليلة معنا وفوجئ بانتحار المشير.. تلقى النبأ بحزن عميق ورجع للقاهرة.. ورجعت مع الأولاد في اليوم التالي. وجدت الرئيس حزينا وأشد ما أحزنه أنه عبد الحكيم عامر الصديق، وظل مدة على وجهه الحزن.

كان الرئيس يعمل باستمرار.. وأثناء الليل كنت في أي وقت وبعد أن ينام أسمع جرس التلفون ويكون من القيادة.. والقائد يطلبه في أي وقت وهو يطلبهم ويعطي أوامر وتوجيهات، وتكون عمليات عسكرية مرتبة وينتظر معرفة النتيجة، ومنها ما كان لا ينفذ حسب تعليماته وتوجيهاته وتحدث أغلاط فكان ينفعل.. وهذا أثناء الليل وأنا بجانبه وأرى على وجهه الضيق.

والمذكرات ترسل له في أي وقت من الليل أو النهار ووقت الغداء الذي كما ذكرت لم يكن له ميعاد.. يجهز الأكل على الترابيزة وأذهب له وأخبره ونجلس كلنا.. الأولاد الموجود منهم على السفرة التي هي في الجانب من المدخل في الدور الثاني، وننتظر حضور الرئيس إلى السفرة وهو في حجرته مشغول بالحديث في أمور العمل حتى يدخل ويجلس لدقائق يتناول فيها الغداء، وإذا تأخر وطال انتظارنا كان يقول: لقد تأخرت عليكم.. لِمَ انتظرتموني؟

سنة ١٩٦٨..

شعر الرئيس بألم في ساقه استمر لأشهر، ولم أره قد قلل من شغله أو استراح أبدًا. قابل السفير محمد عوض القوني فأخبره أنه كانت عنده الأعراض نفسها في ساقه،

وذهب لبلد في الاتحاد السوفيتي حيث توجد مياه معدنية تعالج هذه الحالة، وعمل حمامات لمدة ثلاثة أسابيع وشفي تماما بعد فترة، وكررها في العام الذي تلاه وأصبح لا يشعر بتعب وقد مضت عدة سنوات. وكان الرئيس في زيارة للاتحاد السوفيتي في الصيف، وقبل عودته للقاهرة عمل له فحص طبي هناك وطلب منه الأطباء أن يقلع عن التدخين.. وتوقف عنه وهو في الاتحاد السوفيتي، وكانت آخر سيجارة أطفأها هناك. قالوا له أيضًا عن العلاج بالحمامات بالمياه المعدنية فرد: سأحضر للعلاج.. وكان ترحيبا بالغا وعاد للقاهرة.

كان أول حديث له معي أنه توقف عن التدخين قبل يومين، وحدثني عن السفر للاتحاد السوفيتي للعلاج وقال: سترافقينني إن شاء الله وسيرافقنا أولادنا خالد وعبد الحكيم وعبد الحميد.

في آخر يولية غادرنا القاهرة على طائرة سوفيتية خاصة بالرؤساء جاءت للقاهرة خصيصا لنسافر عليها. وصلنا لجمهورية جورجيا في مطار حربي، وكان في استقبالنا رئيس الجمهورية وزوجته، ورافقونا لبلدة سخالطوبو التي توجد فيها المياه المعدنية والحمامات لعمل العلاج، وتبعد نصف ساعة بالعربية عن المطار، وهي بلد صغير به ثلاث أو أربع مصحات، ومنظمة لإقامة المرضى ومرافقيهم من أهلهم فقط، وبه شارع كبير واسع حوله أشجار منسقة ومقاعد، وفي آخر الشارع توجد محلات أغلبها لبيع المرطبات والفاكهة، وكل شيء لخدمة المرضى والمرافقين لهم، ولا توجد مبان للسكن، ولا يذهب إليها إلا المواطنون الروس.

أخليت مصحة لاقامة الرئيس، وكان يزوره كبار الأطباء، وأقام معنا طبيب ليتولى مباشرة العلاج، وكان الرئيس قد أبدى رغبته بأن تكون الزيارة للعلاج فقط ولا يقابل المسئولين هناك.

رتبت رحلة لأولادنا لقضاء وقت على الشاطئ في البحر الأسود وزيارة موسكو. وكان الرئيس يخرج كل صباح إلى الحمام الذي يبعد عن المصحة بدقائق ويرجع ونتناول الإفطار سويًّا، ويخرج في المساء حسب تعليمات الأطباء ليمشي لوقت في الشارع، ويرافقه الدكتور المصري الصاوي حبيب والروسي والسفير المصري

والسكرتير الخاص والضباط المرافقون. وكنت أخرج أمشي مع حرم السفير وكان يقيم معنا في المصحة، وأحيانًا كنا نتقابل مع الرئيس ونراه وهو جالس على أحد المقاعد ومعه المرافقون، وما زلت أحتفظ بصورة وأنا أمشي في الشارع وهو جالس على المقعد.

كان الترحيب بالرئيس أثناء إقامته في سخالطوبو بالغًامن الموجودين هناك، يقفون لينتظروه وهو ذاهب للحمام، وهو يتمشى في الشارع في المساء.

كان كل ليلة بعد الساعة التاسعة مساء يجري اتصالات بالتلفون في القاهرة، والحديث كله شغل وتوجيهات وتعليمات، وترسل له الجرائد العربية والأجنبية ويستمع للإذاعة.

انتهت أيام العلاج ورجعنا للقاهرة وقد مضت ٢٣ يوما.. وكان الأطباء الروس قد قالوا إن نتيجة العلاج سوف لا تظهر مباشرة، وسيستمر الألم في الساق لأكثر من شهر ثم يزول بالتدريج.. وشفي الرئيس وذهب عنه الألم الذي كان في ساقه والحمد لله.

قبل عودتنا أثناء توديعنا قال لي الروس: إنك حضرت للاتحاد السوفيتي لكنك لم تشاهدي فيه شيئًا وكأنك لم تحضري، ودعوني بحرارة للذهاب إلى هناك ووعدهم الرئيس في الزيارة المقبلة إن شاء الله.

عبد الحميد في الكلية البحرية

في سبتمبر سنة ١٩٦٨ التحق عبد الحميد بالكلية البحرية، وكانت رغبته وهو لا يزال في الثانوي أن يلتحق بكلية عسكرية واختار الكلية البحرية.

بعد الأسبوع الأول من ذهاب عبد الحميد للكلية كنت أجلس مع الرئيس وقال: وحشنا ميدو.. فقلت: إن أهالي الطلبة يزورونهم كل أسبوع.. فقال: يمكنك أن تزوريه وتقابليه خارج الكلية إذا كنت ترغبين.. فقلت: نعم. وفي الأسبوع التالي ذهبت إلى إسكندرية بمرافقة إخوته، وعمل ترتيب لخروج عبد الحميد وقت الزيارة المحدد لأهالي الطلبة، ومقابلتي في العربة بجوار سور الكلية. عندما وصلت للكلية رأيت ضباطا واقفين عند الباب.. حيوني ومشيت بالعربة حتى آخر السور، وخرج عبد الحميد مع ضابط وجاء لي بمفرده فهلل إخوته عند رؤيته وهو حالق شعره ويرتدي الملابس العسكرية. بقي معنا حوالي عشر دقائق ورجع للكلية، ودخل مع الضابط الذي كان ينتظره بجوار الباب.. كانت توجد حجرة بجوار الباب يقابل الطلبة فيها أهلهم.

قال لي الرئيس: إن شاء الله يا تحية نذهب سويًّا في حفل التخرج ونرى عبد الحميد ضابطا بحريا. كنت أذهب كل أسبوع لزيارة عبد الحميد حتى انتهت الفترة التي يظل فيها الطلبة المستجدون في الكلية ولا يسمح لهم بالخروج، وفي آخر مرة أمطرت السماء أثناء الزيارة.

قبل حضور عبد الحميد في أول إجازة قال لي الرئيس: اطلبي المصور ليأخذ لنا صورا معه وهو بالملابس العسكرية وقت حضوره ومقابلتنا له. طلبت المصور قبل

وصول عبد الحميد، وأخبرت الرئيس بميعاد حضوره فقال إنه مشغول الآن، وحضر عبد الحميد وأخذت لي صور معه في الحديقة عند دخوله البيت.

تخرج عبد الحميد من الكلية البحرية في ٢٩ يونية ١٩٧٢.. زارني قائد الكلية لدعوتي لحضور حفل التخرج.. قلت له: إن شاء الله سأحضر.. وانحدرت من عيني الدموع وقلت: لقد قال لي الرئيس إنه سيحضر التخرج وأكون معه.. ذهبت إلى الحفل وأنا حزينة. لقيت ترحيبا كبيرا من قائد الكلية ووزير الحربية والمدرسين، وأهداني قائد الكلية صينية من الفضة عليها درع الكلية بالنقش البارز ومكتوب عليها إهداء لي. وبعد انتهاء الحفلة دعاني وزير الحربية وقائد الكلية لتناول الشاي، وحضر المدرسون وطلب قائد الكلية الضابط عبد الحميد جمال عبد الناصر لمصافحتي.. وهنأته وودعوني بالترحيب وكأني مع الرئيس.

الانشغال بالقوات المسلحة

الرئيس مشغول جدًّا وأهم ما يشغله هو القوات المسلحة وإعادة بناء جيش قوي وطرد اليهود. كان يتصل في أي وقت من الليل بقائد القوات المسلحة، والمقاتلون يقومون بعمليات داخل سيناء، وينتظر رجوعهم ولا ينام حتى يعرف النتيجة. وإذا حصلت خسائر أرى الحزن على وجهه.. هذا في الوقت الذي أكون فيه بجانبه، وعند نجاح العمليات أرى على وجهه الارتياح. وفي مرة كان الطيران قد قام بعملية وطائرة فقدت وكان الوقت بعد الظهر، حزن على الطيار.. وكنت معه في الحجرة وسمعت ما دار من حديث.

وفي المساء.. وكنت أمشي في الحديقة ونزل.. وكان يمشي أحيانًا لدقائق قبل حضور زائر، فقابلني وقال لي: لقد وجد الطيار وهبط بالمظلة سالما.. ورأيت على وجهه الارتياح وقال لي: إني أخبرك لأني أعرف أنه يسعدك أن تعلمي بسلامة الطيار. وكنت أتأثر جدًّا عند سماعي لخسائر وأرتاح لنجاح العمليات، ولا أعلق بكلمة كما هي عادتي.

وكان الرئيس يطلب مني كثيرًا الدعاء بالنصر أثناء تأديتي للصلاة ويقول لي: ادعي على اليهود.

لم أكن أتكلم معه فيما يختص بالسياسة أبدًا إلا إذا هو تكلم.. وكان قليلا ما يتكلم معي في موضوع يتعلق بالسياسة. وفي مرة كنت أتحدث معه فقلت له: أنا لا أتحدث إلا عن أشياء عادية ربما تضايقك فقال لي: تكلمي كما أنت.. وهذا يعجبني

منك ويسليني ولا يضايقني أبدًا بل العكس إنه يريحني حديثك الذي يبتعد عما يتعلق بالشغل أي السياسة.

الرئيس مشغول جدًّا ببناء الجيش والحصول على السلاح وتدريب الجيش.. وكل الحديث الذي أسمعه عن الحرب والسلاح. والضيوف.. رؤساء الدول الصديقة يحضرون بكثرة، والعشاء يقدم في البيت حيث توجد حجرة كبيرة للسفرة التي تستخدم صالة للسينما، وترتب فيها المائدة وتقام مأدبة العشاء ويحضر الضيف والوفد المرافق له ونواب الرئيس ووزير أو اثنان، وكنت أحضر العشاء وأرافق الرئيس في استقبالهم في المطار، إذ غالبًا ما يكون الضيف ترافقه زوجته.

النوبة القلبية الأولى

صيف ١٩٦٩..

بعد انتهاء امتحان خالد وحكيم ذهبت إلى إسكندرية إذ كان الرئيس يحب أن أكون مع الأولاد هناك، وكان يذكرني بأن أنبههم ألا يذهبوا بعيدًا في البحر، وظل هو في القاهرة في منشية البكري حتى شهر أغسطس. حضر إلى إسكندرية.. وبقي بضعة أيام أمضاها كلها في مقابلات وشغل.. يجلس في صالون يطل على البحر أو في مكتبه وأمامه دوسيهات يعمل باستمرار.

قال لي إنه سيسافر إن شاء الله للاتحاد السوفيتي ويقابل المسئولين في موسكو، ثم يذهب لسخالطوبو لعمل العلاج بالحمامات هناك مرة أخرى، وكان الأطباء السوفيت نصحوه بأن يكرر العلاج بعد سنة. وقد بني بيت جهز لإقامة الرئيس وقت العلاج، وقال لي الرئيس: سترافقينني، وسيكون السفر في شهر سبتمبر في الأسبوع الأول إن شاء الله. رجع الرئيس إلى القاهرة، وبقيت في إسكندرية حتى شهر أغسطس.

في أول سبتمبر قامت ثورة ليبيا وانشغل الرئيس بأخبارها وتأجل السفر للاتحاد السوفيتي، ولم تمض إلا أيام قليلة وحضر قادة الثورة في زيارة للرئيس.. فقال لي: إن السفر سيكون في منتصف سبتمبر إن شاء الله.

بعد أيام شعر بتعب وارتفاع في درجة الحرارة، وأشار عليه الأطباء بالراحة في السرير.. وكانت النوبة القلبية. لم يخبرني وقال لي إن عنده إنفلونزا، وكان قد أوصى الأطباء بألّا يخبروني عن مرضه. وبعد أيام.. وكنت أقابل ضيوفا في المساء في الدور

الأول.. وبعد انتهاء الزيارة وجدت أدوات بجوار السلم فسألت: ما هذا؟ فقالوا لي إنها لعمل أسانسير.. ففهمت وصعدت السلالم وأنا أبكي. قابلني الدكتور الخاص خارجا ووجدني أبكي فقلت: إني رأيت استعدادا لعمل أسانسير.. إن الرئيس به شيء في قلبه. وطبعًا الدكتور نفى وقال لي: إن أحد الأطباء المعالجين له مريض بالقلب ولا يستطيع أن يصعد السلالم، وسيجهز الأسانسير من أجله.. وطبعًا الدكتور فوجئ ولم يجد كلاما يقوله لي غير هذا.

ودخلت حجرتي وبكيت كثيرًا. لم أظهر أي شيء أمام الرئيس ولم أذكر الأسانسير.. وبقيت كما أنا بجانبه.

كيف أمضى الرئيس أيام المرض؟

كان يتحدث بالتليفون طوال اليوم في توجيهات مع القوات المسلحة والوزراء وغيرهم، وقد لاحظ ذلك الطبيب الخاص الصاوي حبيب الذي كان يقضي وقتا في البيت، ويقوم بتحضير الدواء في أوقاته وينتظر حتى تنتهي المكالمة. وكنت قد لاحظت المجهود الزائد الذي يقوم به الرئيس رغم أني لم أكن أعلم عن المرض في الأيام الأولى إذ كان يطلب وجبات الطعام تجهز على ترابيزة صغيرة في الحجرة، وأجلس معه ونتناول الطعام سويًّا.. أي لم يكن يرقد في السرير كما أعرف عن مرضى القلب.. ويقوم للحمام ويحلق ذقنه كالعادة، وكل ما كان يفعله ألّا يذهب للصالة حيث حجرة الطعام الملحقة بها، أي أنه لم يكن يستريح في السرير كل الوقت، وأحيانًا كان يجلس على فوتيه موجود في الحجرة في مكانه للآن.

وقد أخبر الطبيب الخاص الأطباء المعالجين فنصحوه بالراحة التامة لكنه ظل كما هو. وبعد أقل من أسبوعين كان يطلب الزائر، ويصعد للدور الثاني ويقابله في المكتب الملحق بحجرته ويجلس معه لوقت.. والمقابلة شغل. وبعد شهر سألني: هل انتهى عمل الأسانسير؟ فظهر عليّ الارتباك.. فقال: إني أعلم أنه يجهز في البيت أسانسير، وقد سألني الأطباء ووافقت وإنك لم تقولي لي عنه.. فقلت: نعم إنه انتهى العمل فيه.. وقال: غدًا إن شاء الله سأنزل للدور الأول. وفي اليوم التالي حضر مقابلة، وظل حوالي شهرا يقابل الزوار في الدور الأول، وأحيانًا في مكتبه في الدور الثاني.

بعد مضي شهرين حكى لي الرئيس عن مرضه وقال: إنه كان نوبة قلبية لكن حاجة بسيطة الحمد لله.. فقلت: إني فهمت وكنت أعرف، وابتدأت أشعر بالدموع فخرجت من الحجرة..

بعد شفائه جاء شهر رمضان.. وكان أول مرة يفطر فيه الرئيس ولم يصمه.. يتناول وجبة خفيفة وقت الظهر ويتناول معنا الإفطار وقت المغرب.

عودة إلى العمل المكثف

في شهر يناير سنة ١٩٧٠ سافر الرئيس لموسكو ورافقه طبيب اختصاصي مع الطبيب الخاص في زيارة قصيرة لمدة أربعة أيام.

استمر الرئيس يخرج في المساء، ويجتمع بالضباط في القيادة، ويسهر لساعة متأخرة كما كان يفعل قبل مرضه.

كان بعد أن ينتهي من الشغل والمقابلات في الدور الأول.. يطلب البالطو وقت الشتاء ويخرج، ولم يقلل من شغله أبدًا، وكان الأطباء يطلبون منه الراحة ويقول لهم: إني أنفذ كل ما تطلبونه من علاج إلا أن أستريح وأقلل من الشغل.. فهذا ليس في إمكاني تنفيذه. وكان يذهب للجبهة ويجتمع مع المقاتلين ويبقى يوما أو يومين.

وفي مرة بعد عودته من زيارة الجبهة قال لي: كنت أتمنى لو أبقى هناك حتى لو أموت.. وكان قد أمضى يومين بين المقاتلين وحرب الاستنزاف على أشدها.. مع المجندين والكثير منهم من خريجي الجامعات والمعاهد ويقومون بعمليات بطولية داخل سيناء.

كان الرئيس عند حدوث خسائر يحزن حزنا شديدا.. وقال لي يوما: عندما أرى خالد ابني أكاد لا أقدر أن أنظر إليه ويزداد حزني إذ أراهم مثله تمامًا ويذكرني بهم.. وكان خالد وقتها طالبا في كلية الهندسة جامعة القاهرة.

ذهب الرئيس لاستراحة القناطر الخيرية وكنت في منشية البكري، وكان يوم عيد ميلاده في ١٥ يناير ١٩٧٠. ذهبت والأولاد لنقضي اليوم معه في القناطر، وكنا - أولاده وأنا - كل واحد يقدم له هدية رمزية ونحتفل بعيد ميلاده.

ولم يكن يشاركنا أبدًا في الاحتفال، ونحضر حلوى ونضع عليها الشموع ونطفئها كلنا، وكان يخرج من حجرته لينزل للدور الأول فيرى الحلوى على الترابيزة في حجرة السفرة الملحقة بالصالة فيبتسم ويحيينا وينزل لمكتبه أو يخرج.. وكان البيت يملأ بالأزهار المهداة للتهنئة بعيد ميلاده.

رجعت بعد الظهر لمنشية البكري واحتفلنا بعيد ميلاده وأطفأنا الشموع، وظل هو في استراحة القناطر حيث أمضى يومين.

في فبراير ١٩٧٠ ذهبنا بالقطار لأسوان، وكان الرئيس تيتو رئيس جمهورية يوجوسلافيا سيحضر ومعه السيدة يوانكا حرمه في زيارة لمصر، وأبدى رغبته أن تكون مدة إقامته في أسوان. رافقنا في الرحلة أنور السادات، وكان الرئيس قد عينه في منصب نائب رئيس الجمهورية حديثا، كما رافقنا في الرحلة حسين الشافعي، وعلي صبري وزوجتاهما.

أمضى الرئيس تيتو أربعة أيام في أسوان، وبقينا هناك ورجعنا للقاهرة بعد أن قضينا أسبوعًا. لم يكن الرئيس يتنقل داخل الجمهورية بالطائرة، حتى أسوان كان يفضل الذهاب إليها بالقطار، وعند ذهابه إلى إسكندرية يذهب إليها بالعربة أو بالقطار.

صيف ١٩٧٠..

نجح في الامتحان عبد الحكيم أصغر أبنائنا لينتقل من السنة ثانية ثانوي إلى الثالثة. قبل الامتحان قال له الرئيس: إذا كانت النتيجة أكثر من ٨٠ في المائة تطلب أي شيء تريده ومحمد أحمد - سكرتيره الخاص - يحضره لك.

نجح عبد الحكيم بمجموع ٨٤ في المائة، ودخل لوالده يخبره، وكان حكيم كل يوم ينتظر فرصة ليدخل لوالده في حجرته فيصافحه ويقبله، وإذا كان الرئيس أحضر كاميرا أو راديو أو جهاز تسجيل صغير يلفت نظره ويقول له: هل أعجبتك؟ وعند خروج عبد الحكيم من الحجرة يقول له: خذها معك.. ثم يقول لي: إنه جدع لطيف.

هنأ الرئيس ابنه عبد الحكيم وقبله وسأله: ماذا تطلب؟

رد عبد الحكيم قائلا: يا بابا أنا لا أريد شيئًا السنة دي.. أريد أن أذهب إلى لندن لمدة أسبوع مع مهندس الطائرة سعد الصيرفي، الذي كان يرافق الرئيس في رحلاته، وكان حكيم يقابله في مكتب السكرتارية.. فقال له الرئيس، وكنت في الحجرة وقت دخول حكيم: إن لك إخوة في الجبهة الآن في الحر وأنت تذهب إلى لندن؟ إن شاء الله بعد ما نطلع اليهود أرسلك تسافر كما تشاء حتى لو طلبت أن تذهب لطوكيو.

وكان عبد الحكيم في الخامسة عشرة من عمره فقال: نعم يا بابا. وطلب من محمد أحمد شراء موتوسيكل.. وكنت لا أوافق على ركوب الموتوسيكل، فأحضره ولم يظهره لي حكيم حتى رأيته في إسكندرية وهو يركبه.

كنت أجلس مع الرئيس في حجرته وتحدث معي عن أنور السادات نائب الرئيس وقال: إنه أطيب واحد ويحبنا.. ولا ينسى أبدًا.. ودائمًا يقول لي أنا لا أنسى فضلك.. لم أكن في الثورة وأنت بعت لي وجبتني. وقال لي الرئيس: أنت عارفة إنه ما كانش في الثورة وأنا بعت جبته؟ فقلت: نعم أعرف ذلك. ولم يكن أنور السادات في القاهرة وقت قيام الثورة وأرسل الرئيس في طلبه من رفح.

سافر الرئيس للاتحاد السوفيتي وذهبت إلى إسكندرية مع خالد وعبد الحكيم، وكان بعد انتهاء امتحان آخر السنة.

بعد انتهاء زيارة الرئيس لموسكو وقبل عودته عمل له فحص طبي، وأشار عليه الأطباء هناك بأن يذهب في مكان قريب من موسكو.. وقالوا له: إنك لم تستكمل العلاج وقت النوبة القلبية وكان يلزمك وقت للراحة. وكان ضمن المرافقين هيكل ورجع بعد انتهاء الزيارة في موسكو.. طلبني في التليفون وقال لي: إن الرئيس يهديك سلامه وهو بخير وسيبقى في الاتحاد السوفيتي أسبوعين للاستجمام.

وقت وجود الرئيس في موسكو خرجت لزيارة إحدى السيدات في المساء، وبعد رجوعي للمنزل قال لي السفرجي: إن سيادة النائب أنور السادات حضر في غيابك وسأل عنك وعن الأولاد، ولم يكن أحد منهم موجودا.

كنت قلقة على صحة الرئيس لبقائه في الاتحاد السوفيتي رغم مكالمة هيكل لي،

وطلبت أنور السادات في التليفون وسألته عن صحة الرئيس فقال لي: اطمئني إنه بخير وبصحة جيدة.

بقيت في إسكندرية حتى قبل رجوع الرئيس بيوم، ثم رجعت للقاهرة مع الأولاد لنكون في استقباله، وكان قبل عيد ثورة ٢٣ يولية بأيام قليلة. حكى لي الرئيس عن بقائه في الاتحاد السوفيتي وأنهم قالوا له إنها الطريقة التي يمكن أن يستريح بها أن يبقى هناك، وقال: لقد قلت لهيكل أن يتصل بك عند حضوره مباشرة حتى لا تقلقي.. فقلت: نعم لقد كلمني هيكل وطمأنني.

كان يوم ٢٣ يولية ١٩٧٠ في المساء وجلست كالعادة أمام التليفزيون مع أولادي نستمع لخطاب الرئيس الذي أعلن فيه الانتهاء من بناء السد العالي وهنأ الشعب ببناء السد.. وكان آخر خطاب له في عيد الثورة.

مكثنا في القاهرة بضعة أيام وقال لي الرئيس: لا داعي للبقاء هنا في الحر، اذهبي والأولاد للإسكندرية.. وإن شاء الله سأحضر بعد أيام قليلة.

نشر في الجرائد عن مرض أنور السادات بالإنفلونزا.. وعندما حضر الرئيس لإسكندرية سألته عن أنور السادات فقال: إنه موجود في إسكندرية، فقلت: ممكن أذهب لزيارته؟ وكان الرئيس قد زاره فقال لي: كما تريدين. ذهبت لزيارة أنور السادات ووجدته جالسا في الفراندة.. واستقبلني بترحيب ومكثت زيارة قصيرة معه.

أمضى الرئيس في إسكندرية ١١ يوما قضاها في شغل كالعادة ورجع للقاهرة، ثم سافر للخرطوم لحضور مؤتمر.

بقيت في إسكندرية مع الأولاد، وكان الرئيس يطلبني كل يوم بالتليفون من القاهرة ويسأل عن الأولاد، وإذا كانوا موجودين في البيت يتحدث معهم، وكان يقول لي: أنا بمفردي في البيت.. ويقول لي بالحرف: البيت وحش جدًّا لا يطاق من غيرك والأولاد.. فأقول له: أحضر.. وأكون مسرورة بوجودي معك.. فيقول لي: أنا مشغول وأخرج، ولا أرجع إلا في وقت متأخر من الليل وسوف تكونين بمفردك.. فالأحسن أن تبقي مع الأولاد في إسكندرية.

في أول سبتمبر سافر الرئيس إلى ليبيا لحضور احتفالات الثورة، وكان أول عيد لثورة ليبيا.. وبقى هناك أياما قليلة.

وحضرت للقاهرة والأولاد لنكون في استقباله ثم رجعنا لإسكندرية، وكانت رغبة الرئيس أن يستمتع خالد وحكيم بالبحر، وما زال هناك وقت على انتهاء الإجازة.. وقال إنه سيكون مشغولا ولن يكون عنده وقت يقضيه معنا.. وأضاف: وإن شاء الله سأحضر لإسكندرية قريبا وأبقى معكم فترة.

لم يحضر الرئيس لإسكندرية وظل يكلمني كل يوم بالتليفون، وكان أحد الضيوف سيحضر.. رئيس جمهورية هنغاريا ولا ترافقه زوجته فلم أذهب للقاهرة لأكون مع الرئيس في استقباله. وفي يوم ١٢ سبتمبر رجعت للقاهرة مع خالد وعبد الحكيم.. وكان اليوم السبت إذ أراد حكيم أن يقضي في إسكندرية يوم الجمعة.

هل تأتين معي إلى مرسى مطروح؟

في اليوم التالي خرج الرئيس في المساء وذهب للقيادة كالعادة ورجع في ساعة متأخرة.

في يوم الثلاثاء.. وكان الرئيس سيغادر القاهرة في المساء بالقطار للإسكندرية ويبيت فيها، ثم يذهب بالقطار أيضًا لمرسى مطروح في اليوم التالي.. قال إنه سيزور القوات المسلحة هناك وسيرافقه وزير الحربية وحسين الشافعي، وسيحضر الرئيس الليبي معمر القذافي في زيارة ليوم واحد. أثناء تناولنا الغداء قال لي: هل تحضرين معي؟

قلت: إنه يسرني أن أذهب معك لمرسى مطروح.. وكنت لم أذهب إليها منذ ١٩٥٣، وقت أن رافقته مدة النقاهة بعد أن أجريت له عملية الزائدة.

غادرنا القاهرة ومعنا عبد الحكيم، ونحن في القطار قال الرئيس: لم أر عبد الحميد منذ حوالي شهرين.. وقت الإجازة كنت في موسكو، وعندما رجعت كان عبد الحميد في رحلة مع الكلية في البحر، وغدًا إن شاء الله سأغادر إسكندرية وضحك.. وكان وزير الحربية جالسًا معنا في الصالون.

بعد وصولنا للمعمورة.. حوالي الساعة التاسعة مساء طلبني عبد الحميد بالتليفون وقال: لقد قالوا لي أن أخرج وأحضر للبيت.. يا ماما أنا لا أريد أن أخرج بمفردي في غير وقت الخروج، إني أشعر بإحراج ولا أريد الحضور للبيت الآن.. وسألني: هل طلبتم خروجي؟ وكان متضايقا وهو يتحدث.

ودخل الرئيس أثناء الحديث فقلت له: عبد الحميد يتحدث.. فأخذ السماعة وحياه بحرارة وقال له: وحشتني جدًّا يا ميدو.. كما تريد.. افعل ما يريحك.. فقلت: فليحضر لنراه.. فقال لي الرئيس: إنه جدع حساس وضحك وقال: إنه وزير الحربية الذي طلب خروجه بعد الحديث في القطار، ثم دخل حجرته.

بعد وقت قصير.. وكان يتحدث بالتليفون وكنت في الصالة ورأيت عبد الحميد أمامي. استقبلته بحرارة ودخلت معه للرئيس في الحجرة فصافحه وقبله ثم قال له وهو يضحك: إنك تدخن.. وسأله عن عدد السجائر التي يدخنها وقال له: لا تدخن كثيرًا حتى لا تضر بك، وبعدين لما تكبر يقول لك الأطباء لا تدخن.. ثم استمر في الحديث بالتلفون. وكان الذي يتحدث معه هيكل.. وحكى له وهو يضحك عن عبد الحميد، وكيف أنه شم رائحة السجائر وهو يقبله، وكان الرئيس لم يدخن ولو سيجارة واحدة منذ أن كان في الاتحاد السوفيتي في شهر يولية ١٩٦٨ وطلب منه الأطباء عدم التدخين.

جلسنا نتناول العشاء وقال عبد الحميد: لقد رفضت الخروج، وبعد شوية قال لي الضابط النوبتشي: إنك يجب أن تخرج الآن فلدينا أمر بخروجك، فسأله الرئيس ومتى سترجع الكلية؟ قال: إنهم قالوا لي ارجع الكلية الساعة العاشرة صباح الغد، لكن يا بابا أريد أن أرجع الليلة حتى أكون مع الطلبة في الصباح.. فقال له الرئيس: اذهب يا بني كما تريد، وصافحه ودخل حجرته.. وغادر عبد الحميد البيت للكلية بعد تناوله العشاء معنا.. وكانت آخر مرة رأى فيها الرئيس ابنه الطالب في الكلية البحرية في السنة الثالثة.

في اليوم التالي.. وكان يوم الأربعاء قبل الظهر غادرنا الإسكندرية بالقطار لمرسى مطروح، وكان وزير الحربية وحسين الشافعي في القطار معنا. قال وزير الحربية

للرئيس: لقد طلبت خروج عبد الحميد من الكلية وذهابه للبيت لتراه، وبعد وقت سألت عنه إذا كان غادر الكلية، فقالوا لي إنه رفض الخروج فقلت: فليخرج بالأمر.. وشكر وأثنى على عبد الحميد وقال: إنه طالب مثالي في تهذيبه وأخلاقه.. إنه غير معقول ويمدح فيه المدرسون في الكلية ويحافظ على واجباته.. فشكره الرئيس.

وصلنا مرسى مطروح في المساء.. وكان الاستقبال من الجماهير كالعادة حارًا، وذهبنا لنقيم في بيت المحافظ وكان خاليًا. كان الرئيس يخرج في مرسى مطروح، وفي مرة كان سيمشي على البحر فقال لي: تعالي معي. وذهبنا لبيت قريب من البيت الذي نقيم فيه وقال: إنها استراحة يقيم فيها حسين الشافعي، وكان قد حضر بعد أن أخذ حماما في البحر.. مكثنا وقتا قصيرا معه ورجعنا البيت.

في اليوم التالي حضر الرئيس الليبي معمر القذافي ومعه عدد من أعضاء مجلس الثورة، ومكثوا يوما واحدا تناولوا فيه الغداء مع الرئيس في البيت في الدور الأول، وتناولت الغداء في الدور الثاني مع عبد الحكيم، وقبل خروج الرئيس الليبي ومرافقيه طلبني الرئيس لمصافحتهم.

مكثنا ثلاثة أيام زار فيها الرئيس القوات المسلحة في مرسى مطروح. وفي يوم السبت غادرنا بالقطار للإسكندرية، وفي الطريق أثناء سير القطار وفي المحطات كان الأهالي ومعهم أولادهم يقفون لتحية الرئيس، فنظر لي وقال: إنني أشتغل من أجل هؤلاء.. فقلت: إنهم في مظهر أحسن من قبل، فرد وقال: أريد أن ينال هؤلاء الأطفال فرصة التعليم والعلاج والمظهر كخالد ابننا.. لم يحن الوقت بعد.

وكان الرئيس يتأثر عند رؤيته لطفل يشتغل عند أسرة كخادم، وكان يقول لي: إنها مشكلة لا تحل إلا بالتدريج، ويستطرد: ليس في وسعي عمل شيء إلا العمل باستمرار على رفع مستوى الفلاح في القرية والكادحين ونشر التعليم.. وإن شاء الله تتلاشى.

أخبار الاعتداء على الفلسطينيين في الأردن
ومؤتمر القمة في الهيلتون

بقينا في إسكندرية حتى يوم الاثنين ٢١ سبتمبر.. لم أره يستريح، وكل وقته كان مشغولا بمتابعة أخبار الاعتداء على الفلسطينيين في الأردن.

وأمضى يومي الأحد والاثنين يمهد لمؤتمر قمة عربي، ويطلب الرؤساء والملوك العرب بالتلفون ويتحدث معهم، وقال لي: سنغادر الإسكندرية في المساء. وكان في الصباح - وهو يوم الاثنين - قد علم بوفاة زوجة خاله فقال: سأذهب لتعزية أولاد خالي ونحن في طريقنا للقاهرة، إذ يقيمون في إسكندرية. مكثنا عندهم نصف ساعة.. وفي الساعة السابعة مساء غادرنا إسكندرية للقاهرة.

أثناء الطريق تحدث بالتلفون وهو في العربة وعلم أن الرئيس الليبي معمر القذافي يصل في نفس الليلة فقال لي بعد وصولنا: سأخرج لأجتمع مع الرؤساء الذين وصلوا فقلت: الأحسن أن تستريح الليلة.. فرد: لقد عملت ترتيب مقابلتهم.

ورجعنا البيت بمنشية البكري وكانت الساعة حوالي العاشرة مساء. استبدل الرئيس ملابسه وخرج.. وكنت قد رقدت في السرير أستريح، وأنا أعرف ما بذله من مجهود طوال اليوم وأراه يخرج.. رجع في الساعة الثالثة صباحًا.

اليوم التالي الثلاثاء خرج في الصباح ورجع قبل تناول الغداء، وفي المساء خرج ورجع بعد تناول العشاء مع الضيوف في قصر القبة.

يوم الأربعاء خرج في الصباح وتناول الغداء مع الضيوف وظل خارج البيت، وفي المساء خرجت لزيارة إحدى قريباتي وتسكن في الدقي.. دعوتها أن تحضر معي للبيت لتشاهد فيلما في السيتما. عندما رجعت إلى البيت وجدت الرئيس في حجرته.. دخلت له فوجدته يستعد للخروج.. تبادلنا التحية وقلت له: لقد كنت عند قريبتي وأحضرتها معي لنشاهد فيلما فقال: أحسن فلتتسلي معها، ثم أضاف: سأذهب وأبقى في الهيلتون مع الضيوف حتى ينتهي المؤتمر.. وحياني وخرج حتى المدخل بجوار السلم.. وخرجت معه ووقف حوالي دقيقتين يقرأ في نوتة صغيرة ثم حياني ونزل السلالم.. وبقيت واقفة فنظر لي مرة ثانية وهو ينزل السلالم وحياني بيده.. وكان ذلك من عادته قبل خروجه إذا كنت واقفة أثناء نزوله السلم.

خرج وقريبتى جالسة في الصالون في الدور الثاني، وكان يدخل الصالة ويصافح الضيوف الموجودين ويكونون عادة من الأقارب، لكنه لم يدخل في هذه المرة.

اللحظات الأخيرة

لبث الرئيس في الهيلتون.. وكنت أتتبع الأخبار في الجرائد والإذاعة والتلفزيون. وفي يوم الأحد، وكنت جالسة أمام التلفزيون وكانت نشرة الأخبار الساعة التاسعة مساء تقرؤها المذيعة سميرة الكيلاني وقالت: لقد تم الوفاق واختتم المؤتمر أعماله، وغادر الضيوف من الملوك والرؤساء القاهرة، وكان في توديعهم الرئيس وسيغادر الباقي غدًا.. فهللت من الفرحة وصفقت بيدي، وكانت ابنتي منى حضرت في هذه اللحظة، وبعد انتهاء نشرة الأخبار قالت لي: نشاهد يا ماما فيلما في السينما؟ ونزلنا للدور الأول.

وفي الساعة العاشرة والنصف جاء لي السفرجي يقول: لقد حضر سيادة الرئيس.. فقلت لمنى: فلتكملي أنت الفيلم وسأصعد، وتركتها. دخلت الحجرة وجدت الرئيس راقدا على السرير.. صافحته بحرارة وقلت له: الحمد لله لقد سمعت نشرة الأخبار وفرحت جدًّا وهللت.. فقال: الحمد لله.. وكان قد طلب العشاء وسألني: هل تناولت عشاءك؟ فقلت: نعم.. وجلست معه ولم يأكل إلا لبن زبادي ورجع إلى السرير.

لم تستكمل منى مشاهدة الفيلم وطلعت ودخلت حجرة والدها وصافحته وجلست معه على طرف السرير، وحضر خالد أيضًا وصافحه وجلسا في الحجرة قليلا يتحدثان مع والدهما.

ظل الرئيس يتحدث في التلفون حتى الساعة الثانية عشرة ثم قال: سأنام مبكرًا، وغدا سأذهب في الصباح لتوديع الملك فيصل وأمير الكويت.. وأطفأ النور ونام.

في الصباح استيقظ الرئيس قبل الثامنة، وحضر الطبيب الخاص وكنت قد قمت وخرجت من الحجرة ودخلت حجرتي، استعدادا للدخول للرئيس في حجرته لأتناول معه الإفطار فدخل لي في الحجرة لتحيتي قبل خروجه وقال: سأذهب للمطار.. ووجدت الإفطار قد جهز في حجرته ولم يتناول شيئًا، وعلمت أنه تناول فاكهة فقط.

رجع الرئيس في الساعة الثانية عشرة وحضر الطبيب الخاص ودخل له، وكنت سأدخل للرئيس ووجدت الدكتور يجري له فحص رسم قلب فرجعت ولم أدخل له في الحجرة، ثم بعد ذلك خرج الرئيس مرة ثانية لتوديع أمير الكويت.

رجع الرئيس من المطار في الساعة الثالثة بعد الظهر، وعند خروجي من حجرتي وجدت ابنتي هدى تستعد لتذهب إلى بيتها بعد أن انتهت من الشغل، وكانت تجلس في مكتب والدها في الدور الثاني تعمل سكرتيرة له منذ عام.

وكان الرئيس بعد مضى بضعة شهور من شغلها معه قال لي: إن هدى الآن تدربت على العمل معي وتعلمت وتريحني.. وكان سعيدا بها.

قالت لي هدى بصوت خافت.. وكنت قد مشيت حتى باب حجرة النوم: إن بابا تعبان وسينام.. فرآني وقال: تعالي يا تحية.. فدخلت الحجرة، وأشار لي بيده وهو راقد على السرير أن أجلس.. فجلست على طرف السرير فسألني: هل تناولت الغداء يا تحية؟ قلت: نعم تناولته مع الأولاد.. فقال لي: أنا مش هاتغدى.. وأشار لي بيده أن أبقى كما أنا جالسة.. فبقيت حوالي عشر دقائق وهو راقد لم يتكلم.

وحضر الدكتور الصاوي حبيب فقال له الرئيس: ادخل يا صاوي فدخل، وقمت كعادتي عند دخول الأطباء له في الحجرة وخرجت إلى المكتب، فقال الدكتور: نريد عصيرًا.. فذهبت وأحضرت عصير برتقال وليمون جهزته بنفسي بسرعة وحملتهما ودخلت له في الحجرة..وقلت: هذا برتقال محفوظ وليمون طازج فقال: آخذ برتقال، وشرب الكوب وأنا واقفة وقال لي: متشكر.

خرجت من الحجرة وجلست في حجرة المكتب، وبعد دقائق حضر طبيب اختصاصي.. منصور فايز فقلت له بالحرف: أنت جيت ليه يا دكتور دلوقتي؟ أنا

لما بأشوفك بأعرف إن الرئيس تعبان وبأكون مشغولة.. فرد: أنا معتاد أن أحضر كل أسبوع في يوم الاثنين واليوم الاثنين.. ودخل للرئيس.

بقيت جالسة في حجرة المكتب وسمعت الرئيس يتحدث، وسمعت الراديو.. نشرة الأخبار في إذاعة لندن.

قالت لي منى ابنتي: بابا بخير والحمد لله.. تعالي نخرج من هنا. وخرجت معها وجلسنا على الترابيزة في حجرة السفرة، وبعد دقائق جاء لي الطبيب الاختصاصي وقال: الرئيس الآن تحسن وإذا أردت الدخول له فلتدخلي.. وأخذ يدخن سيجارة فقلت له: لا داعي حتى لا يشعر بأني قلقة.

بعد لحظات جاء الدكتور الصاوي يجري مسرعا قائلا: تعال يا دكتور.. ودخل الدكتور يجري، ودخلت لحجرة المكتب ومنعتني منى من الدخول لوالدها وقالت: إن بابا بخير لا تخافي يا ماما، وأجلستني في حجرة المكتب وجلست معي. وبعد فترة حضر دكتور آخر ثم ثالث.. فدخلت عنده ووجدت الأطباء بجانبه يحاولون علاجه.. وكنت أبكي وخرجت حتى لا يراني الرئيس وأنا أبكي، ثم دخلت له مرة ثانية وازداد بكائي وخرجت وجلست في حجرة المكتب، ودخل عدد من السكرتارية، ثم حضر حسين الشافعي ومحمد حسنين هيكل.. وكل واحد يدخل الحجرة ولا يخرج منها.. وكنت أبكي.

أصرت منى على أن أخرج إلى الصالة فكنت أمشي وأقول: جمال جمال.. ووجدت الكل يخرج وينزل السلالم فدخلت مسرعة.. رأيت حسين الشافعي يخرج من الحجرة يبكي ويقول: مش معقول يا ريس. وحضر خالد وعبد الحكيم في هذه اللحظة ولم يكونا في البيت ولا يدريان شيئًا، ودخلا مسرعين، وحضرت هدى وكانت لا تعلم بما جرى بعد ذهابها لبيتها.

دخلت للرئيس ووقفت بجواره أقبله وأبكيه، ثم خرجت من الحجرة لأستبدل ملابسي وألبس ملابس الحداد. ونزلت مسرعة إلى الدور الأول ووجدت الكل.. الأطباء والسكرتارية وهيكل وحسين الشافعي وأنور السادات حضر.. والكل واقف في الصالون.

قلت لقد عشت ثمانية عشر عامًا لم تهزني رئاسة الجمهورية ولا زوجة رئيس الجمهورية وسوف لا أطلب منكم أي شيء أبدًا.. أريد أن يجهز لي مكان بجوار الرئيس لأكون بجانبه.. وكل ما أرجوه أن أرقد بجواره.

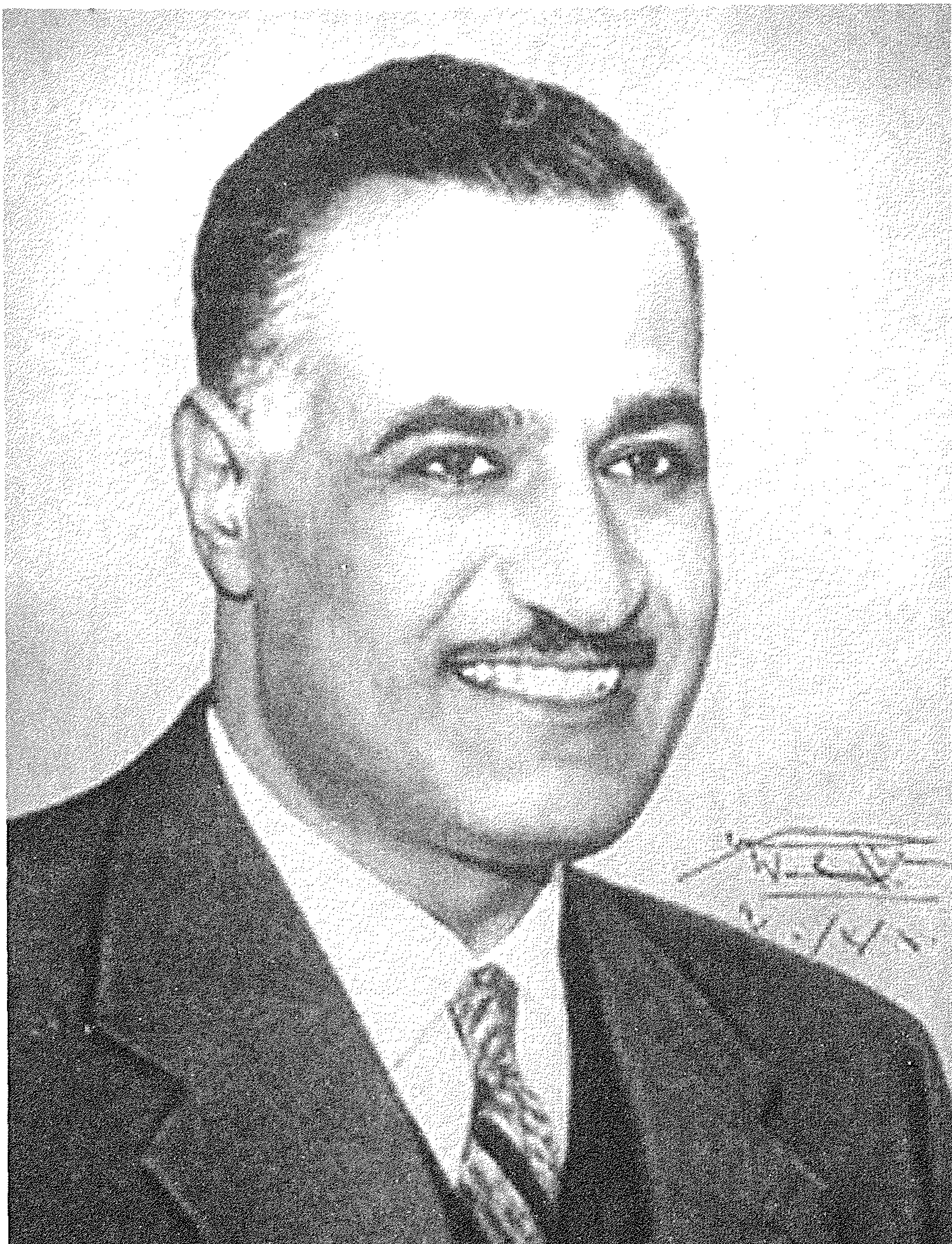
خرجت إلى الصالة وجاء لي هيكل والدكتور الصاوي وطلبا مني أن أصعد للدور الثاني، ثم أدخلني الدكتور حجرتي وأعطاني بضع حبات دواء وظل بجانبي، ثم أعطاني حقنة. وحضرت إحدى قريباتي وظلت معي، وجاء عبد الحميد من إسكندرية ودخل لي في الحجرة وهو يبكي وقال: لقد قالوا لي إن بابا تعبان وحضرت في طائرة، ودخلت هدى ومنى.. ولم أدر كم مضى من وقت.. فقمت لأخرج من الحجرة فقال لي الدكتور: لماذا قمت؟ فقلت سأذهب وأجلس بجانبه.. فقالت هدى: لقد ذهب بابا لقصر القبة.. وذهبنا معه.. فقلت: حتى الآن أخذوه!

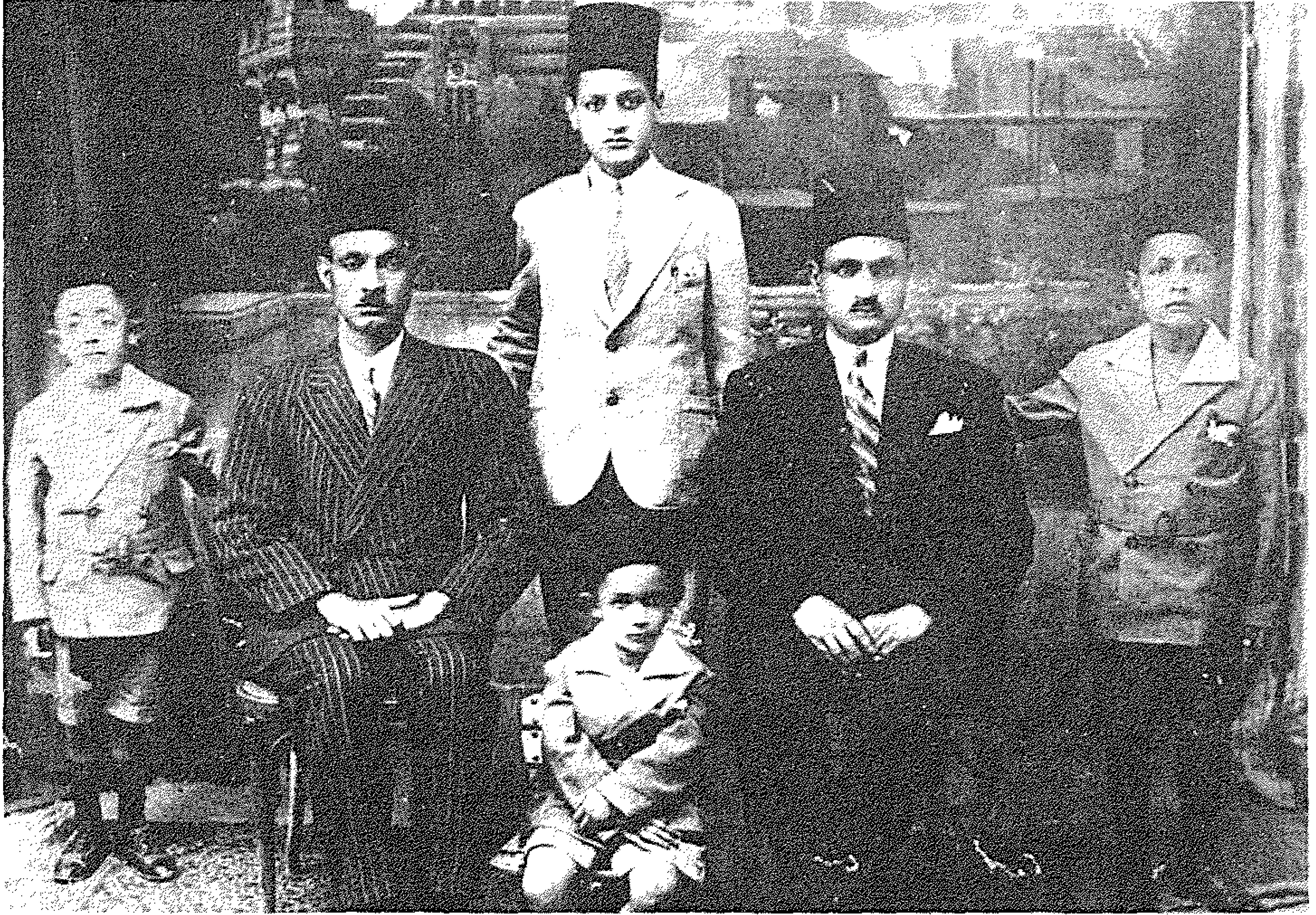
والآن أعيش المرحلة الثالثة من حياتي حزينة أبكيه.. وقد زاد حزني حسرة، وسأظل أبكيه حتى أرقد بجانبه في جامع جمال عبد الناصر بمنشية البكري.. وقد جهز لي المكان كما طلبت.

إنه جمال عبد الناصر الذي عاش عظيمًا.. وهو في رحاب الله عظيم.. تاريخه وحده هو شاهده.

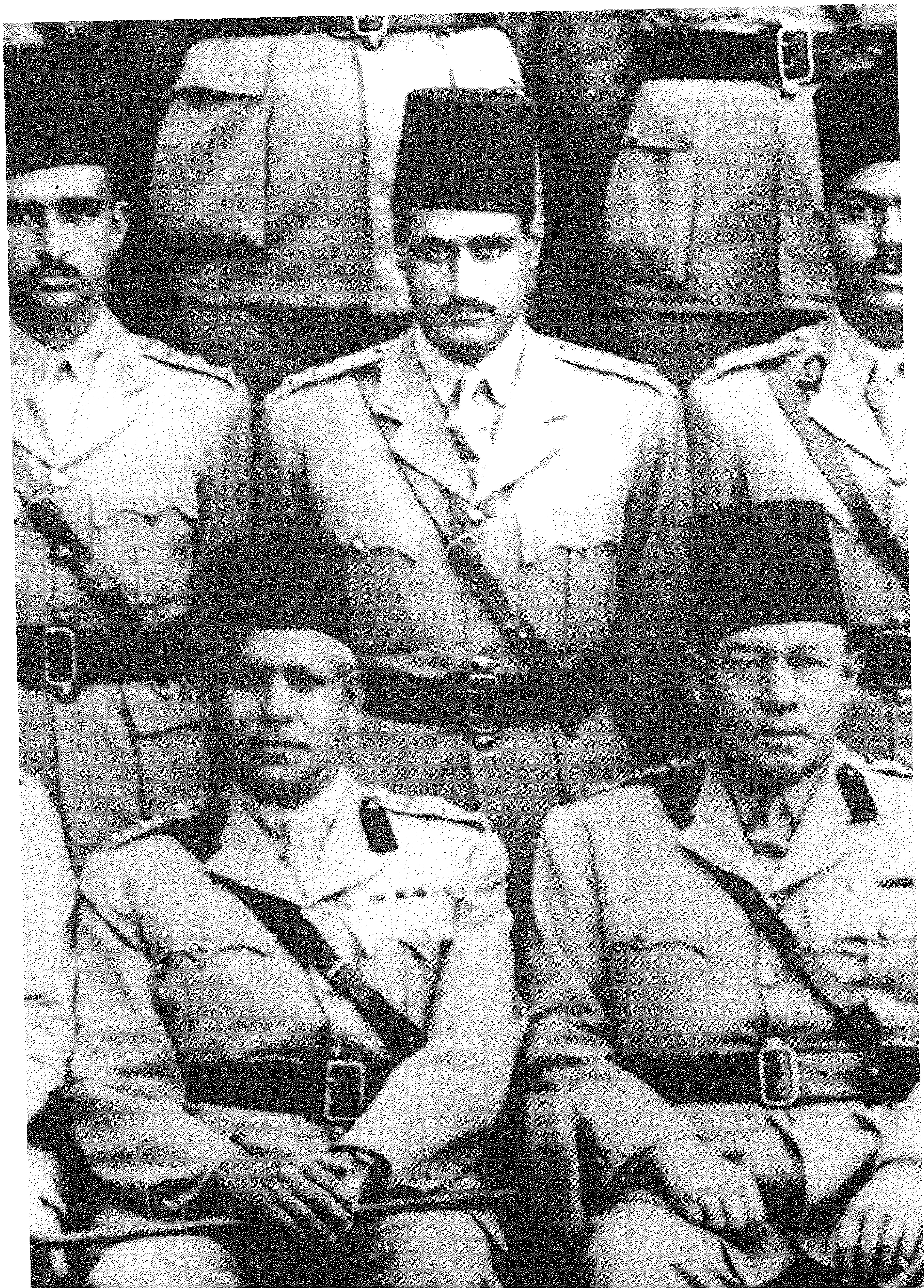
تحية جمال عبد الناصر

ملحق الصـور





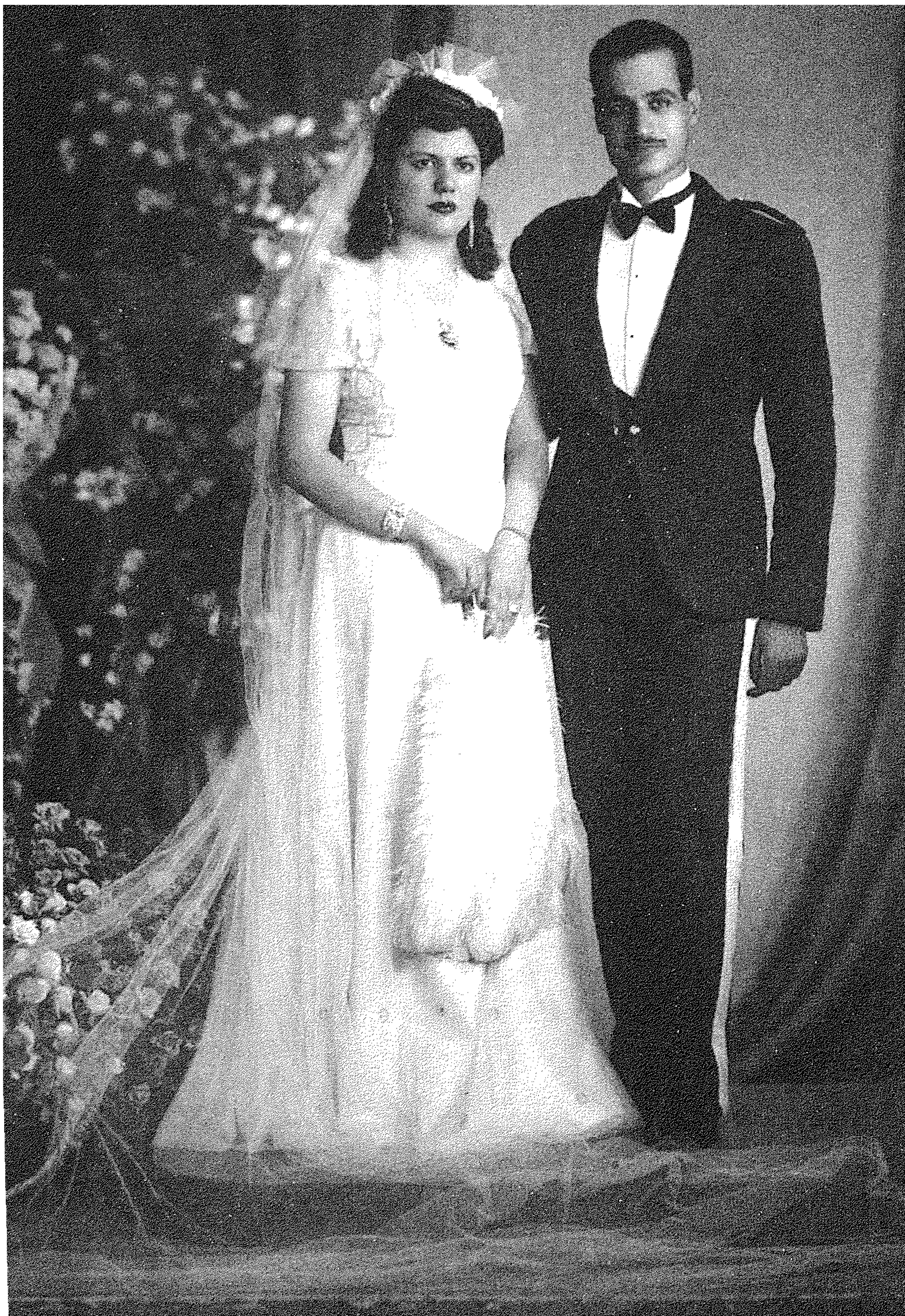
مع والده وعمه وأشقائه



يوزباشي عندما تقدم لها



في بداية معرفته بها



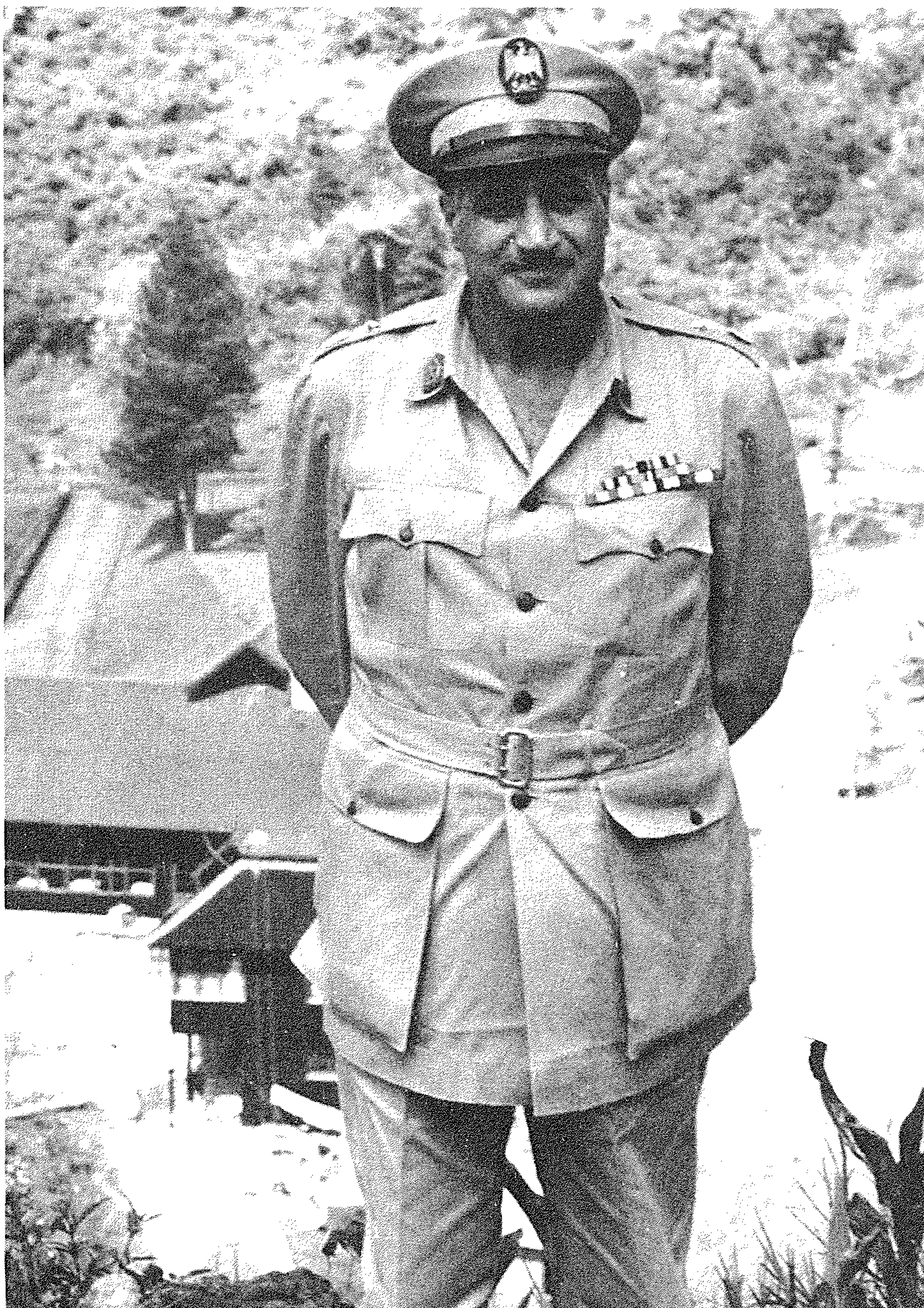
صورة الزفاف



في فلسطين



في فلسطين



في حرب فلسطين بعد أن رقي لرتبة صاغ



في بداية الثورة



وهو يخطب فى بداية الثورة
ويوزع صكوك الأرض على الفلاحين.









مع أعضاء مجلس قيادة الثورة أثناء جولاتهم



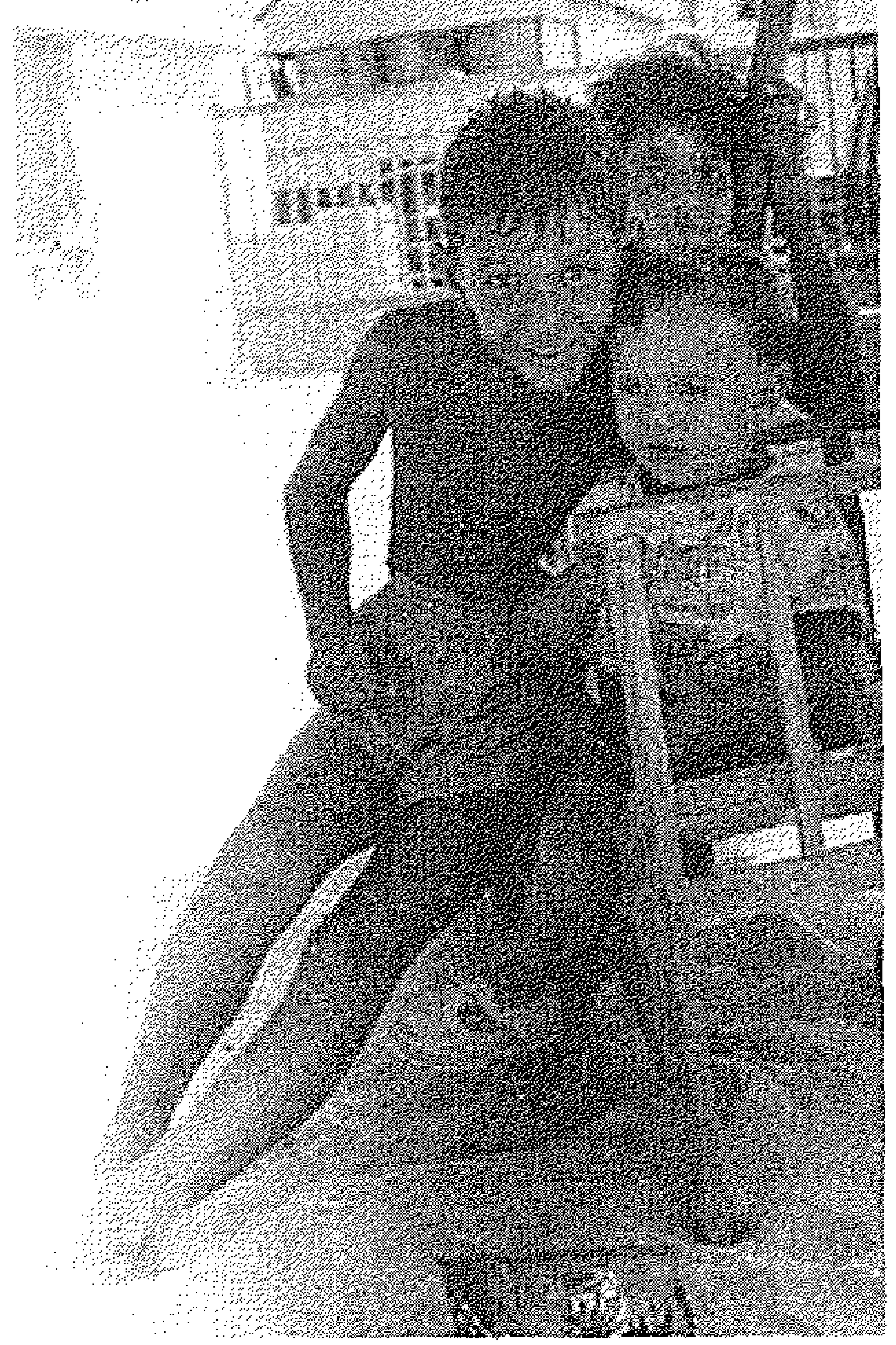


جولات وخطب فى بداية الثورة وتوزيع الأرض على الفلاحين





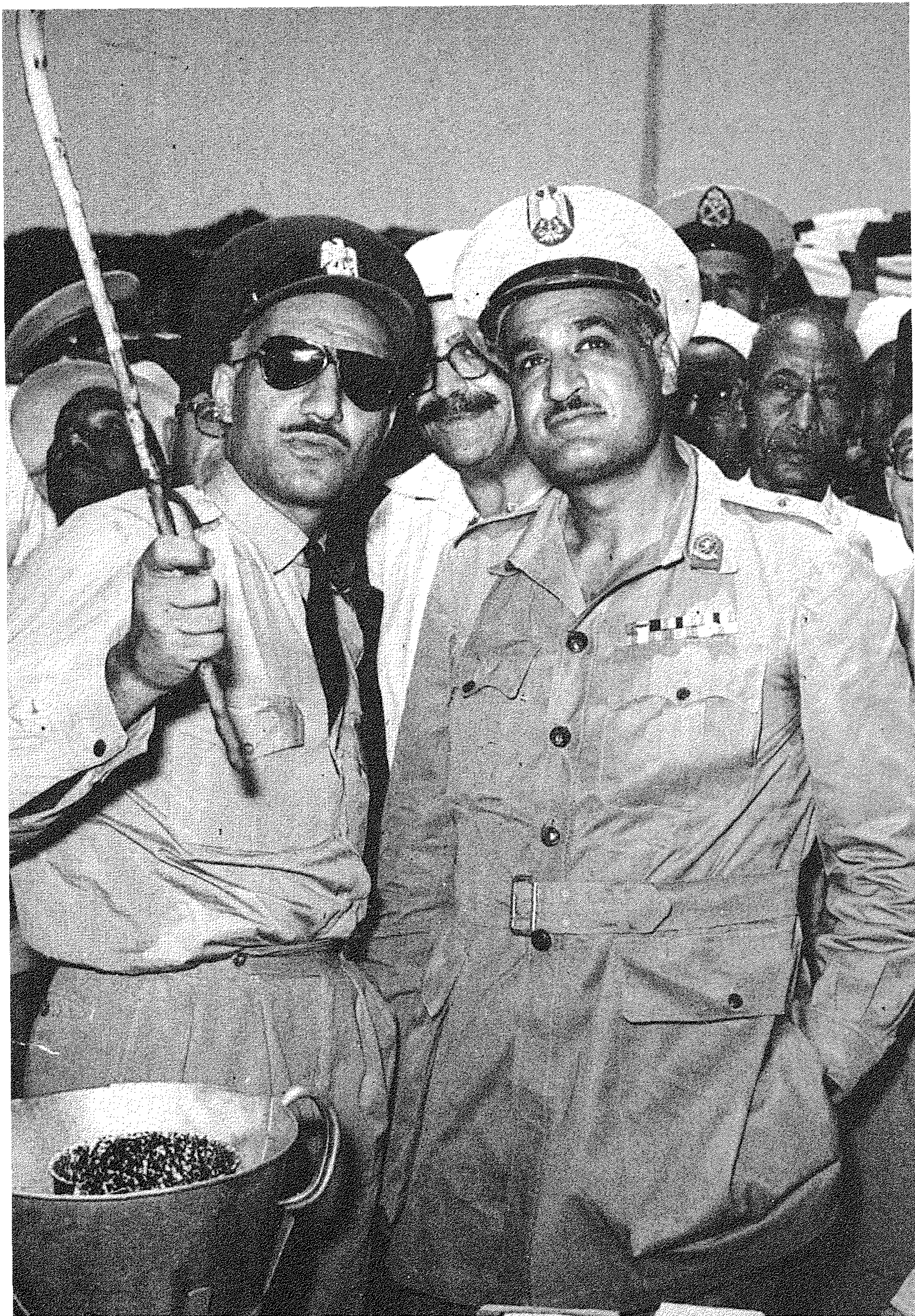
مع أولاده في بداية الثورة



على شاطئ البحر منى وخالد وحكيم



عملية الزائدة في المستشفى.. والده وعمه وشقيقه شوقي
وهدى ومنى وخالد



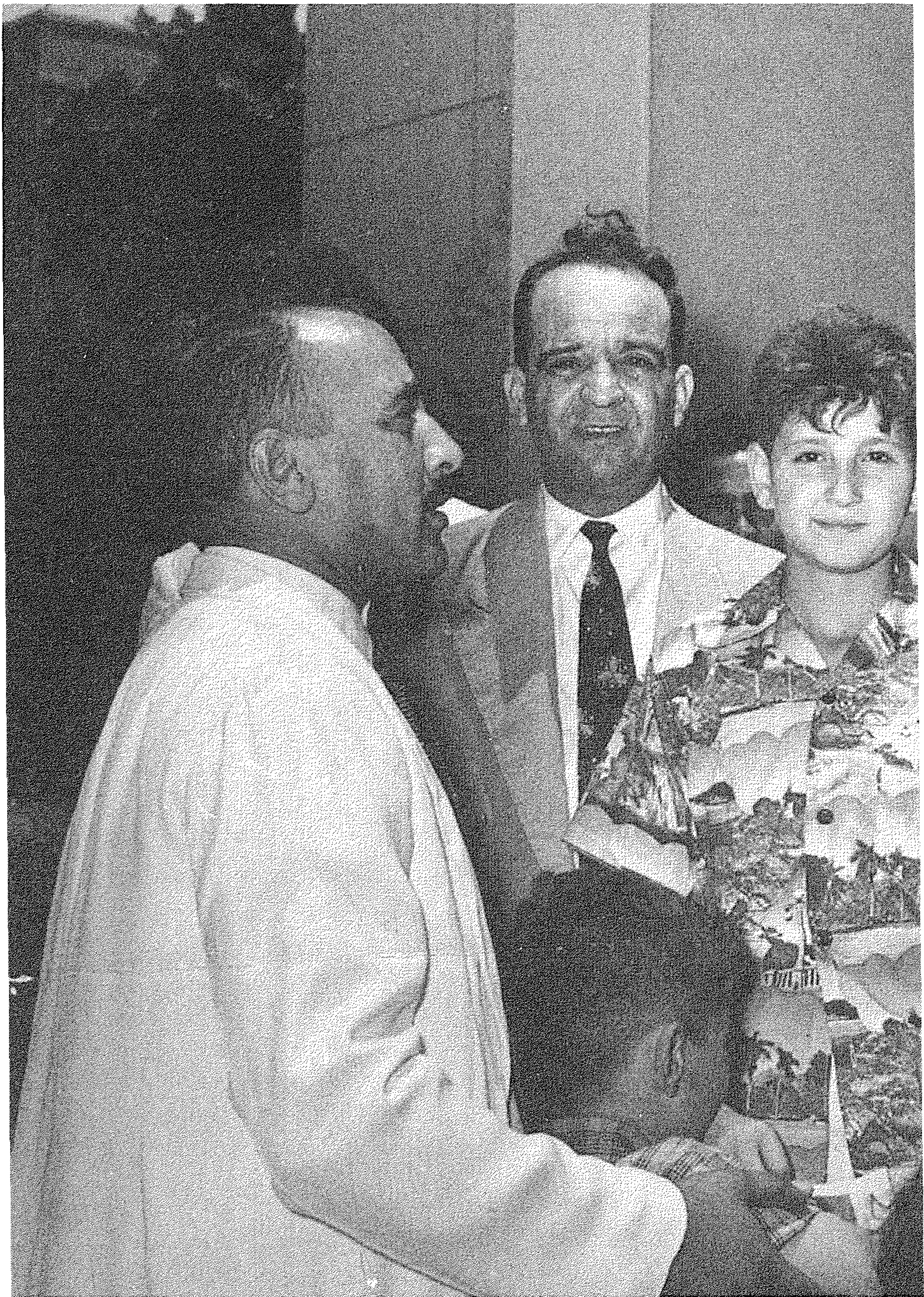
مع جمال سالم أثناء إحدى الجولات



يخطب فى بداية الثورة



في لقاء مع أسرة أحد
المواطنين أثناء جولاته





توزيع صكوك ملكية الأرض
على الفلاحين

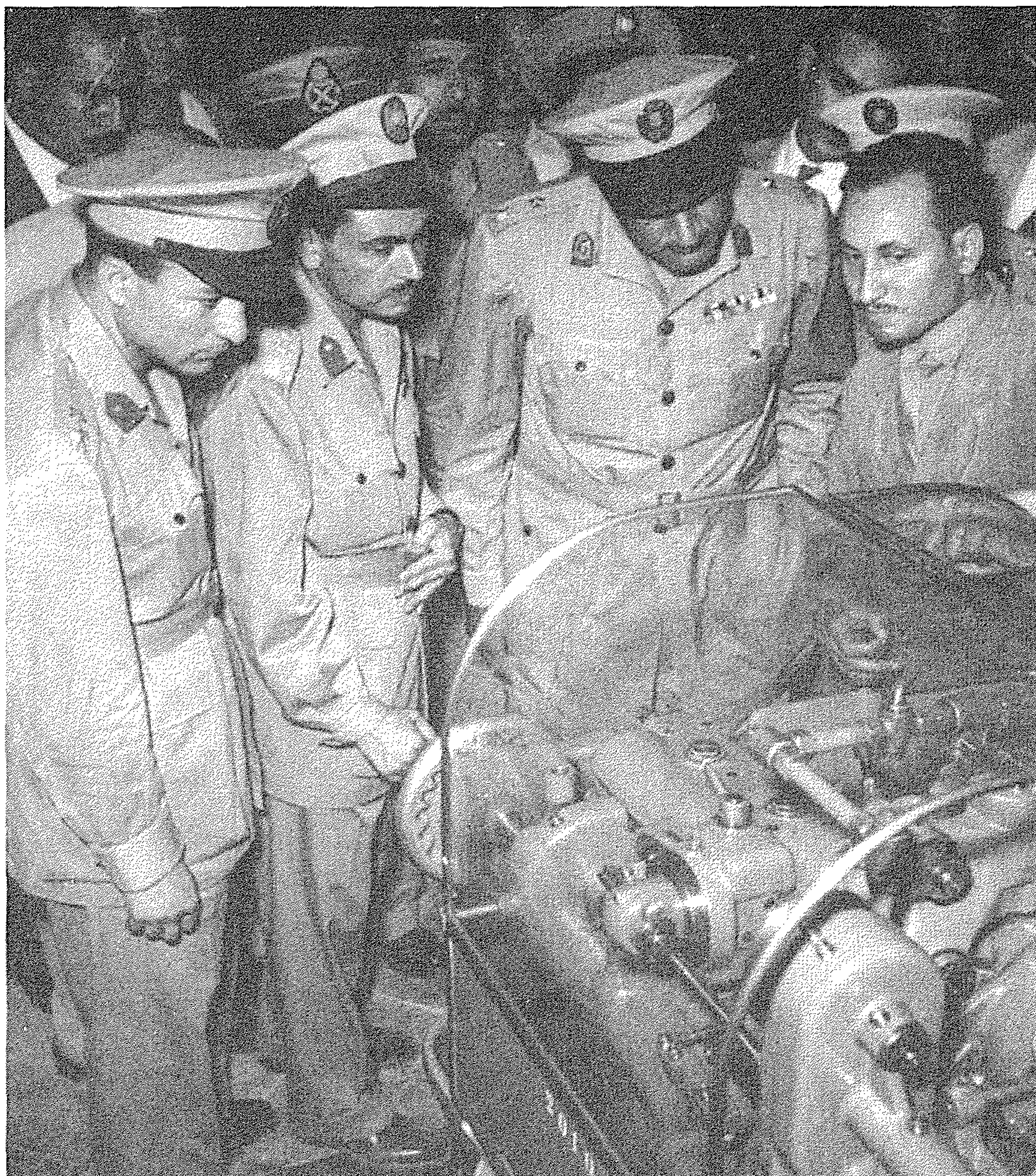




يتفقد منتجات إحدى المزارع



يدخل القاعة أثناء مفاوضات الجلاء



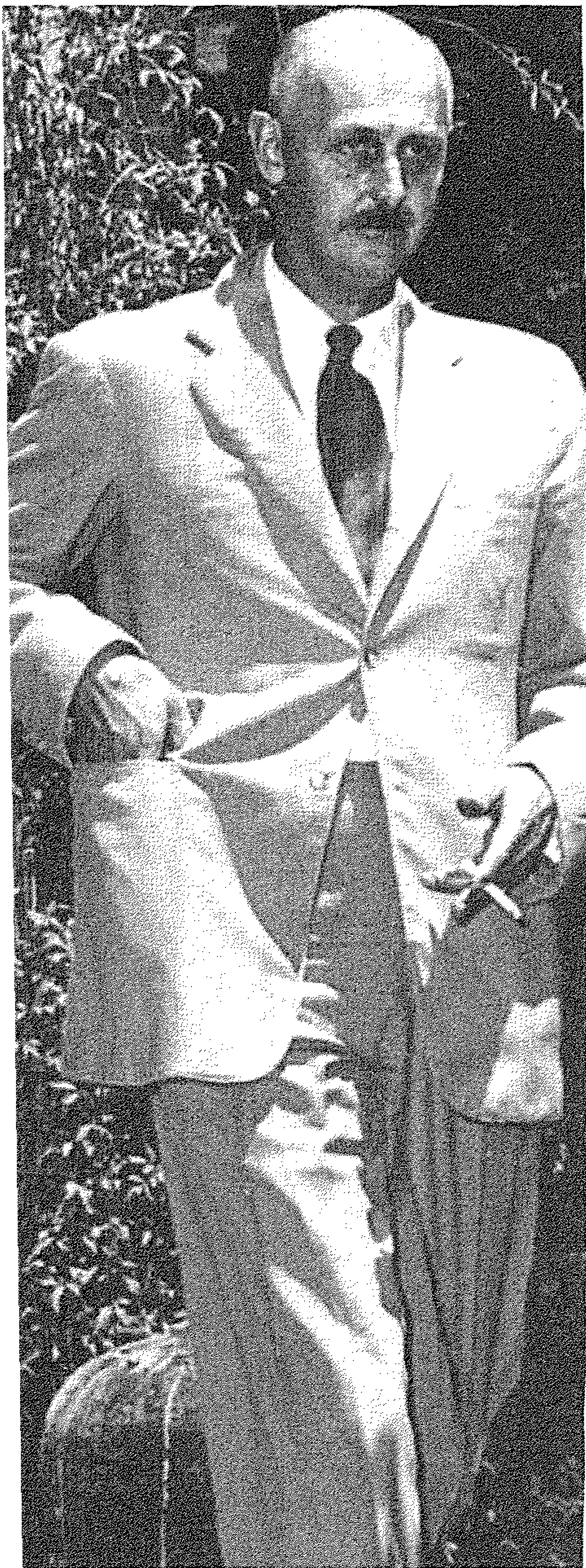
في زيارة لمصنع في بداية الثورة



في مباحثات الجلاء





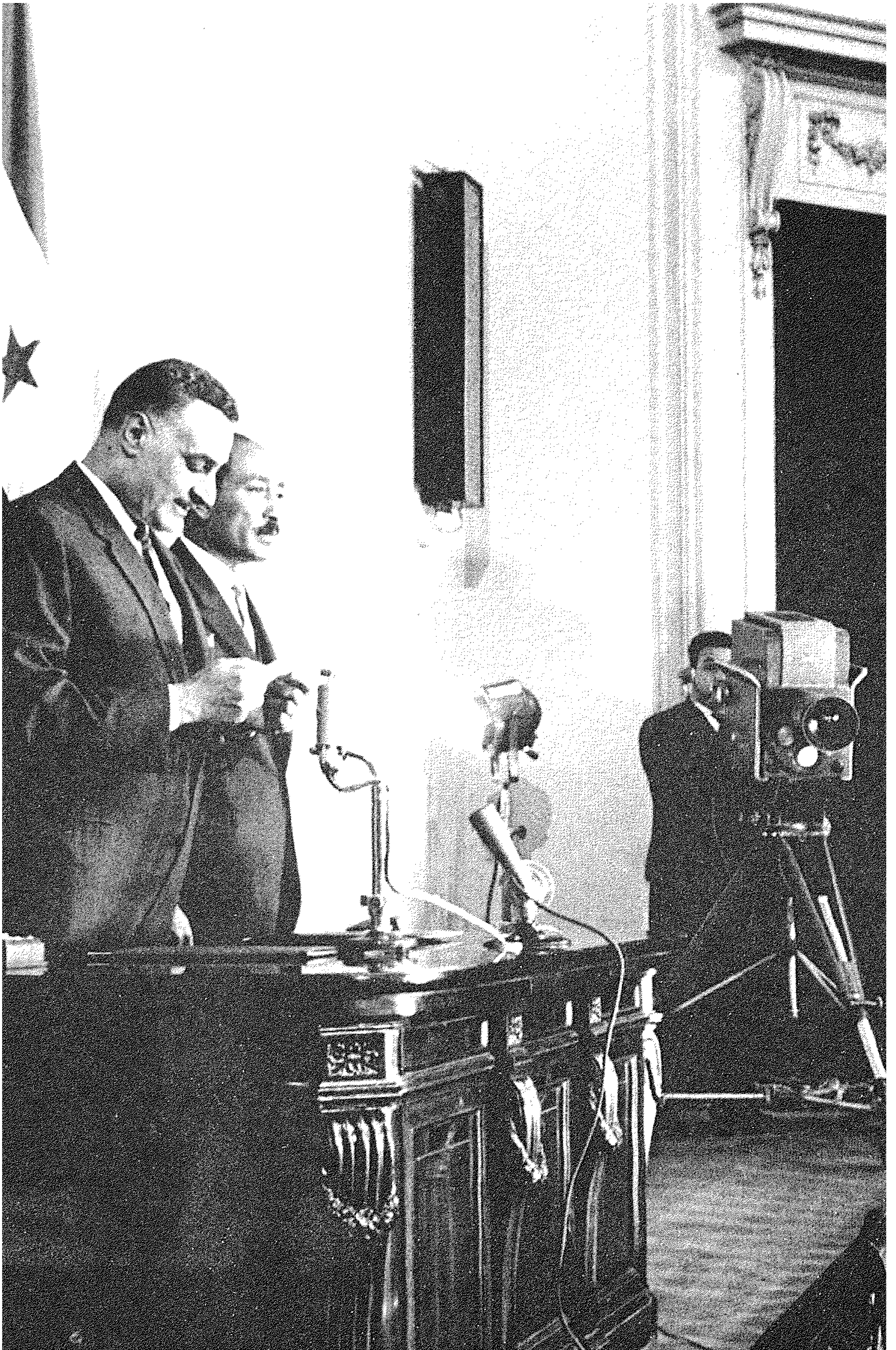


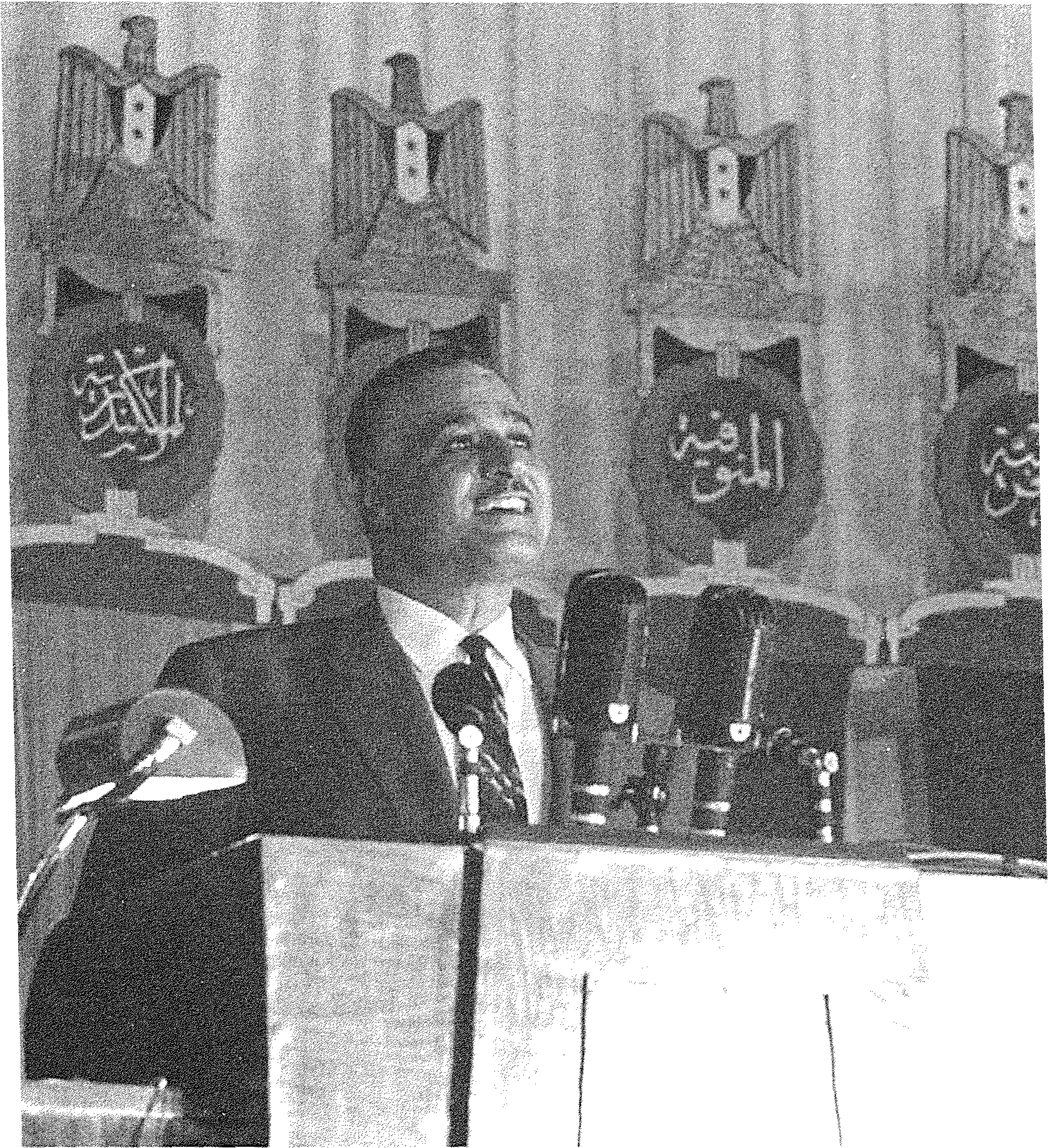
في مباحثات الجلاء



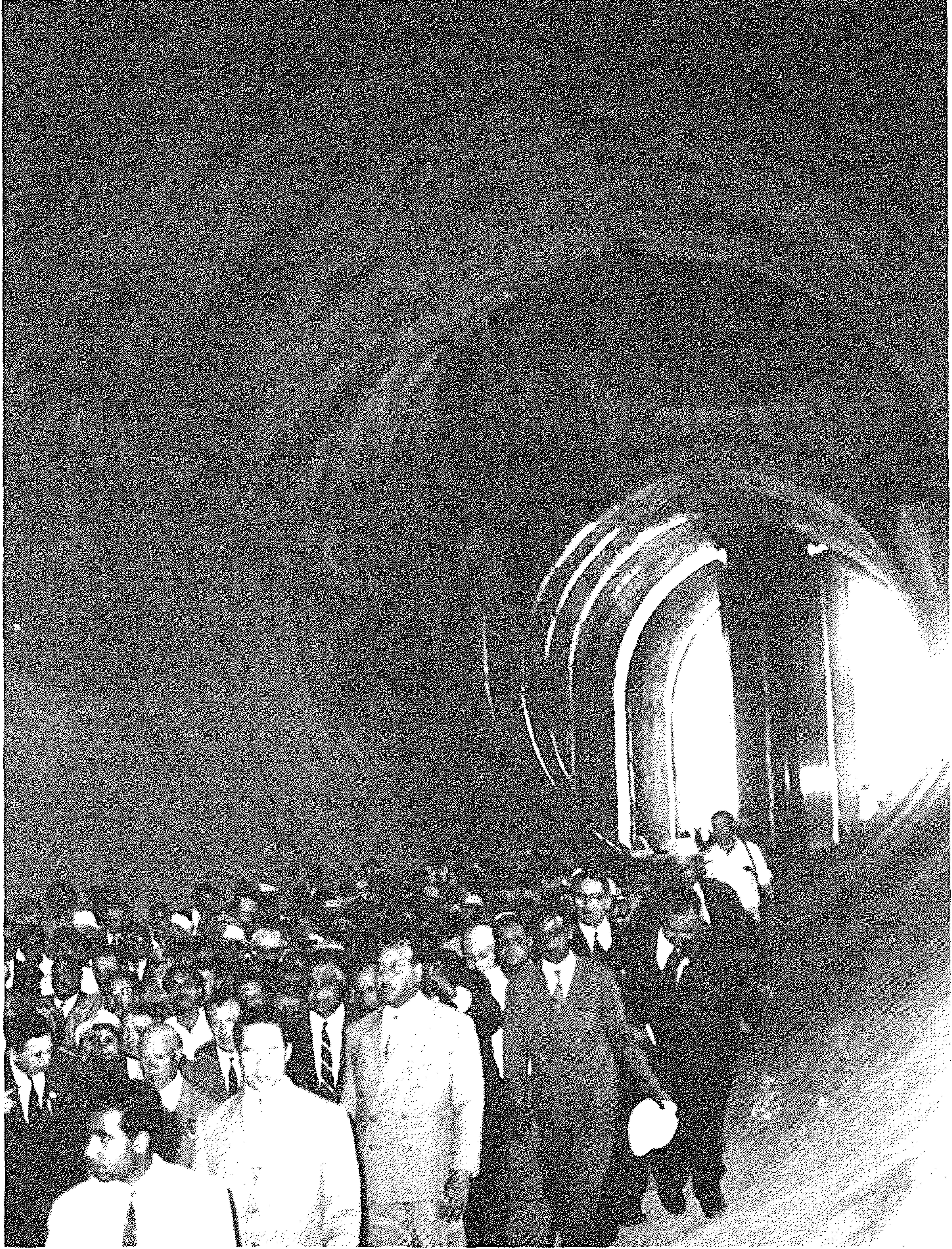


يحلف اليمين بعد انتخابه
رئيسًا للجمهورية

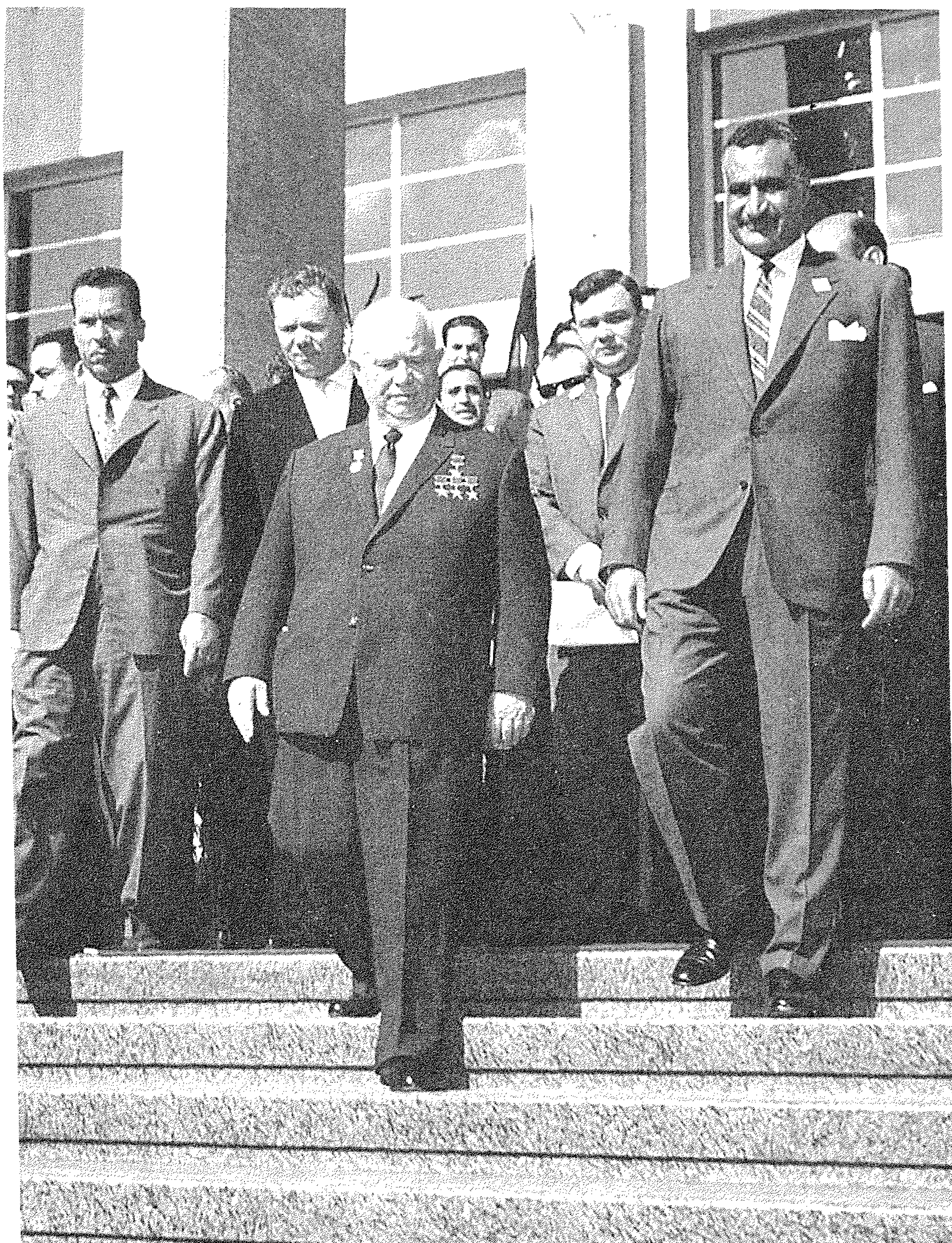




وهو يخطب



في أنفاق السد العالي



في استقبال خروشوف بالمحطة البحرية بالإسكندرية



تحية تدلي بصوتها في الانتخابات



أثناء إلقاء خطابه



مع جاجارين رائد
الفضاء السوفيتي في
استاد القاهرة



في اجتماع



وهو يخطب





في رحلة بالسيارة في يوغوسلافيا



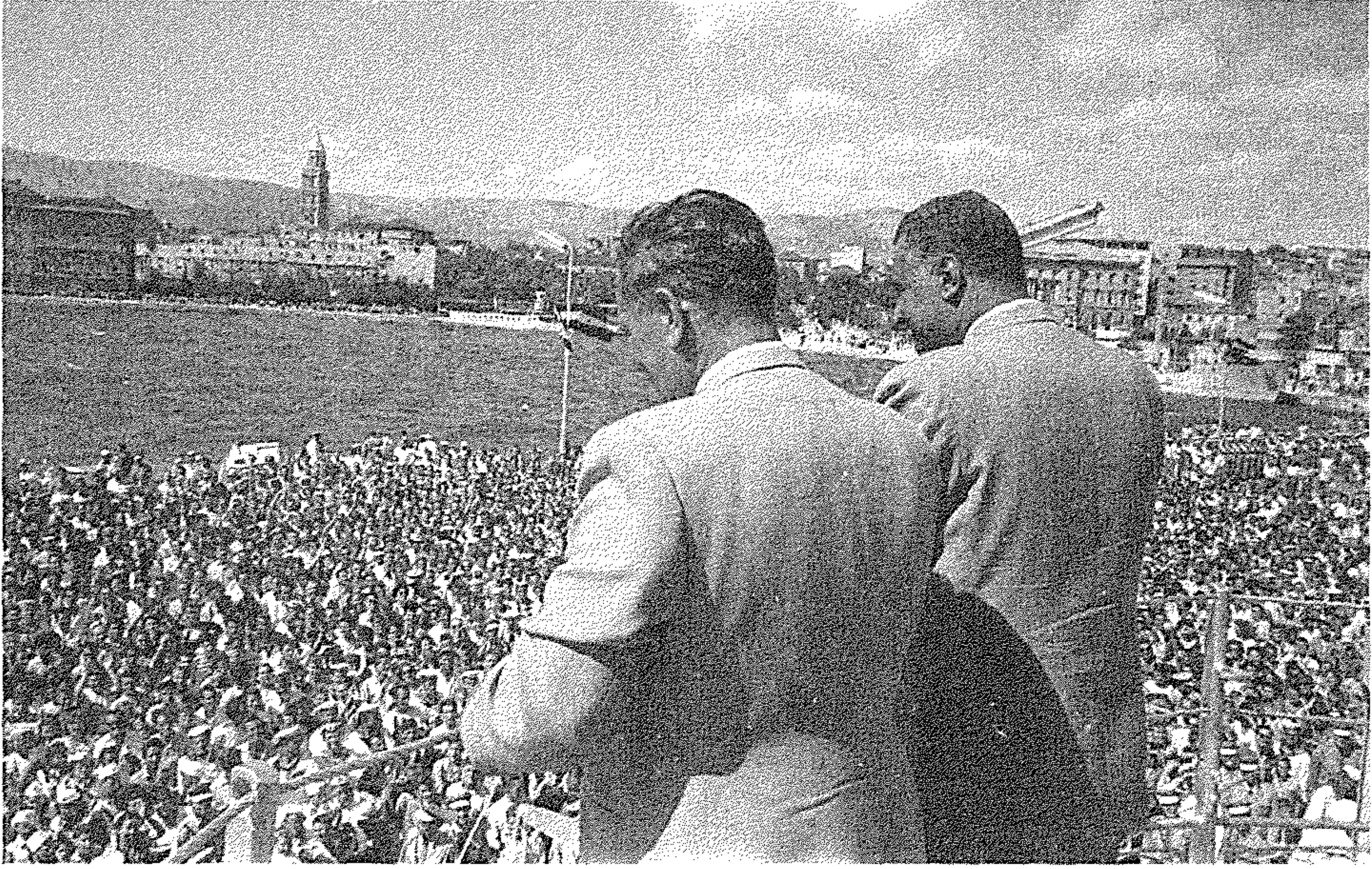
في أحد الاستقبالات الرسمية بالمطار



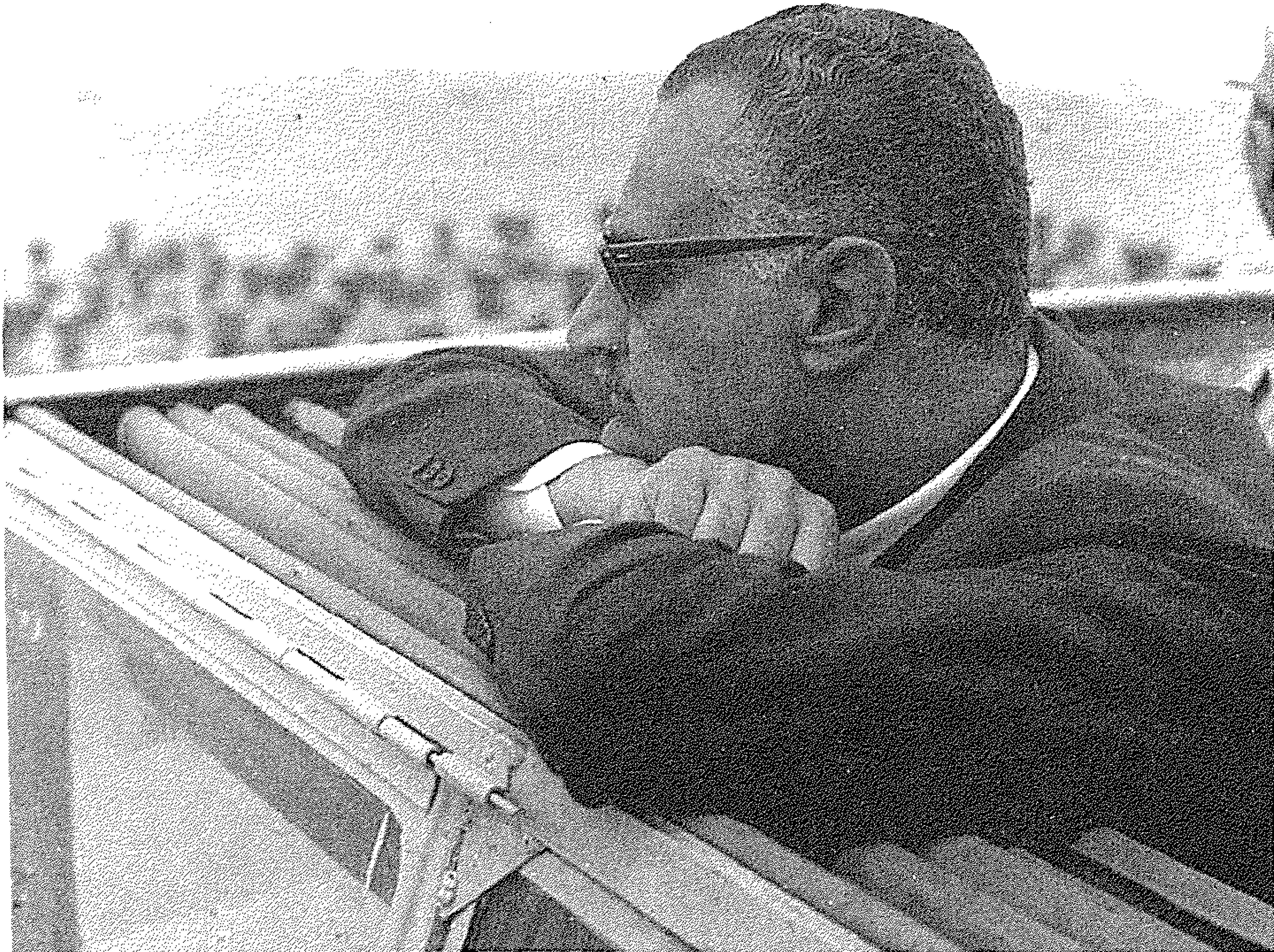
أثناء سفره بالقطار



في المطار بعد توديع أحد
ضيوف مؤتمر القمة في سبتمبر
١٩٧٠



مع تيتو في يوغوسلافيا



في الجبهة أثناء حرب الاستنزاف



أثناء العمرة بالمملكة العربية السعودية



أثناء العمرة



أثناء حرب الاستنزاف





في الجبهة



في الجبهة



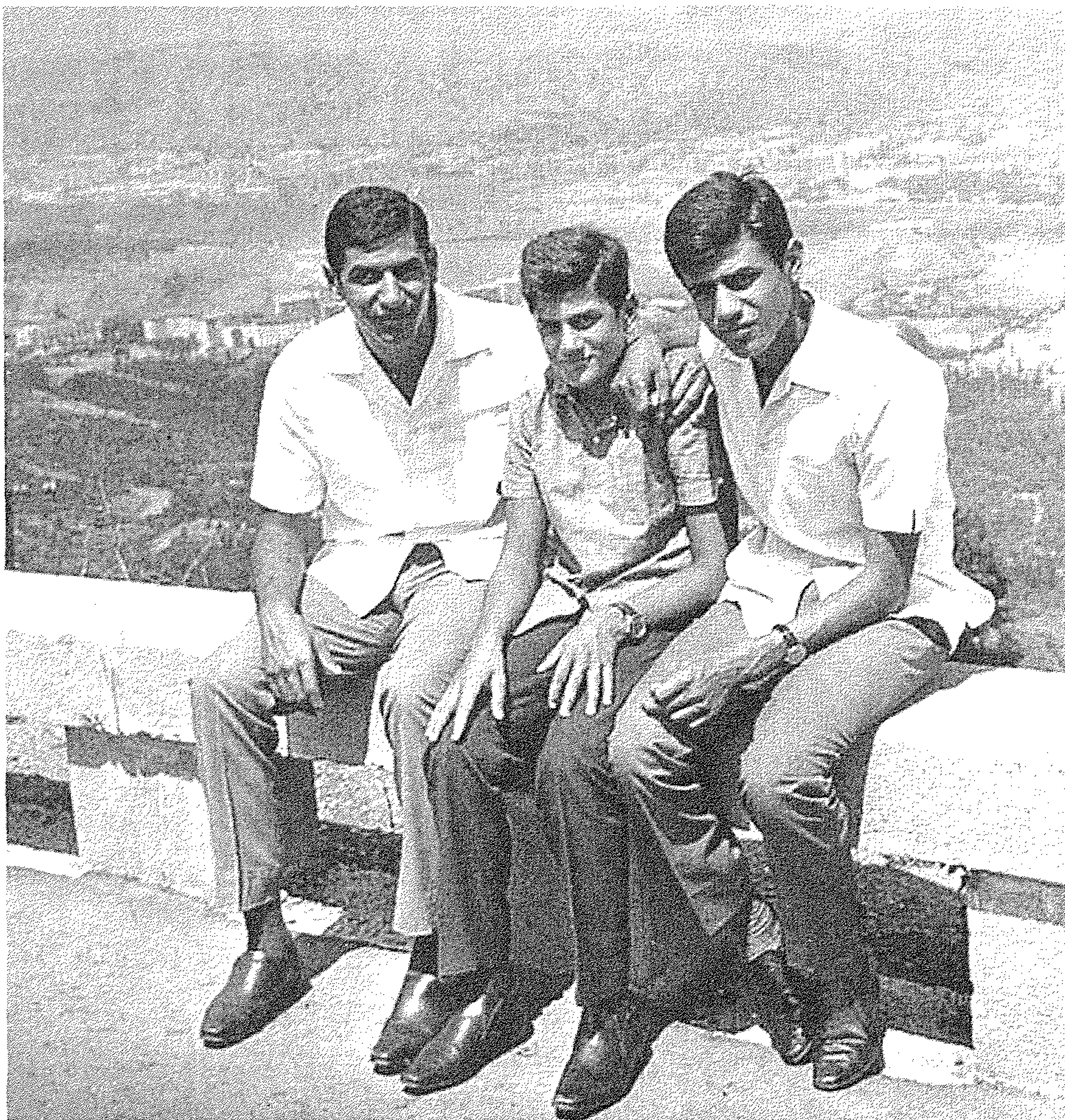
في زيارة للجبهة أثناء حرب الاستنزاف



في موسكو في يناير ١٩٧٠



صور سخالطوبو ١٩٦٨



صور سخالطوبو ١٩٦٨



بورتريه لمصور روسي



في فرح هدى في ٥ أغسطس ١٩٦٥




مع أول حفيد


يحمل هالة في المستشفى



يوم ميلاد جمال بن منى (الرئيس وحرمه وحكيم)


أمام النيل بالقناطر الخيرية





مع هدى وابنتها هالة في القناطر



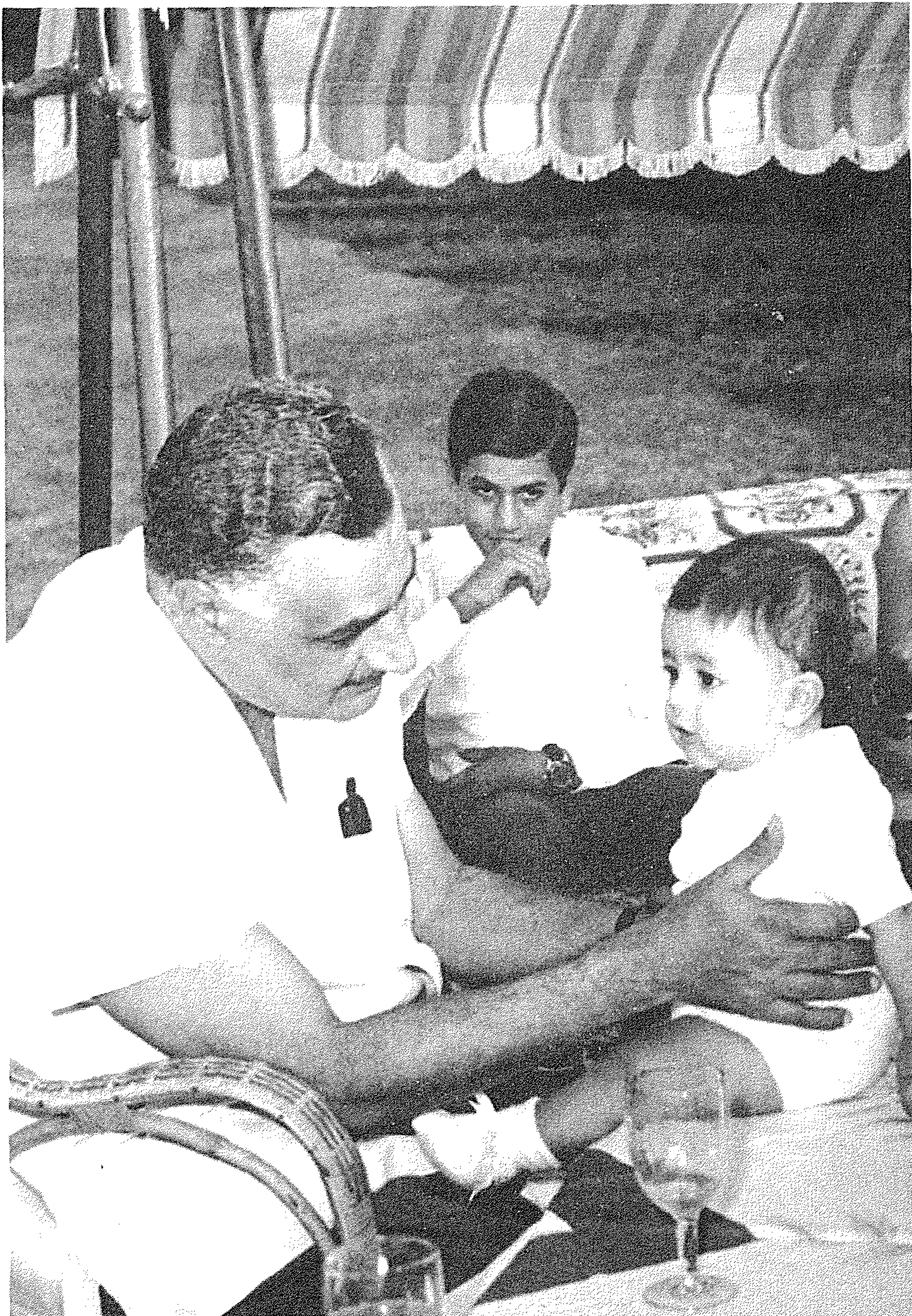
يلعب الشطرنج مع ابنه خالد في حديقة منشية البكري



مباراة حامية في الشطرنج مع خالد



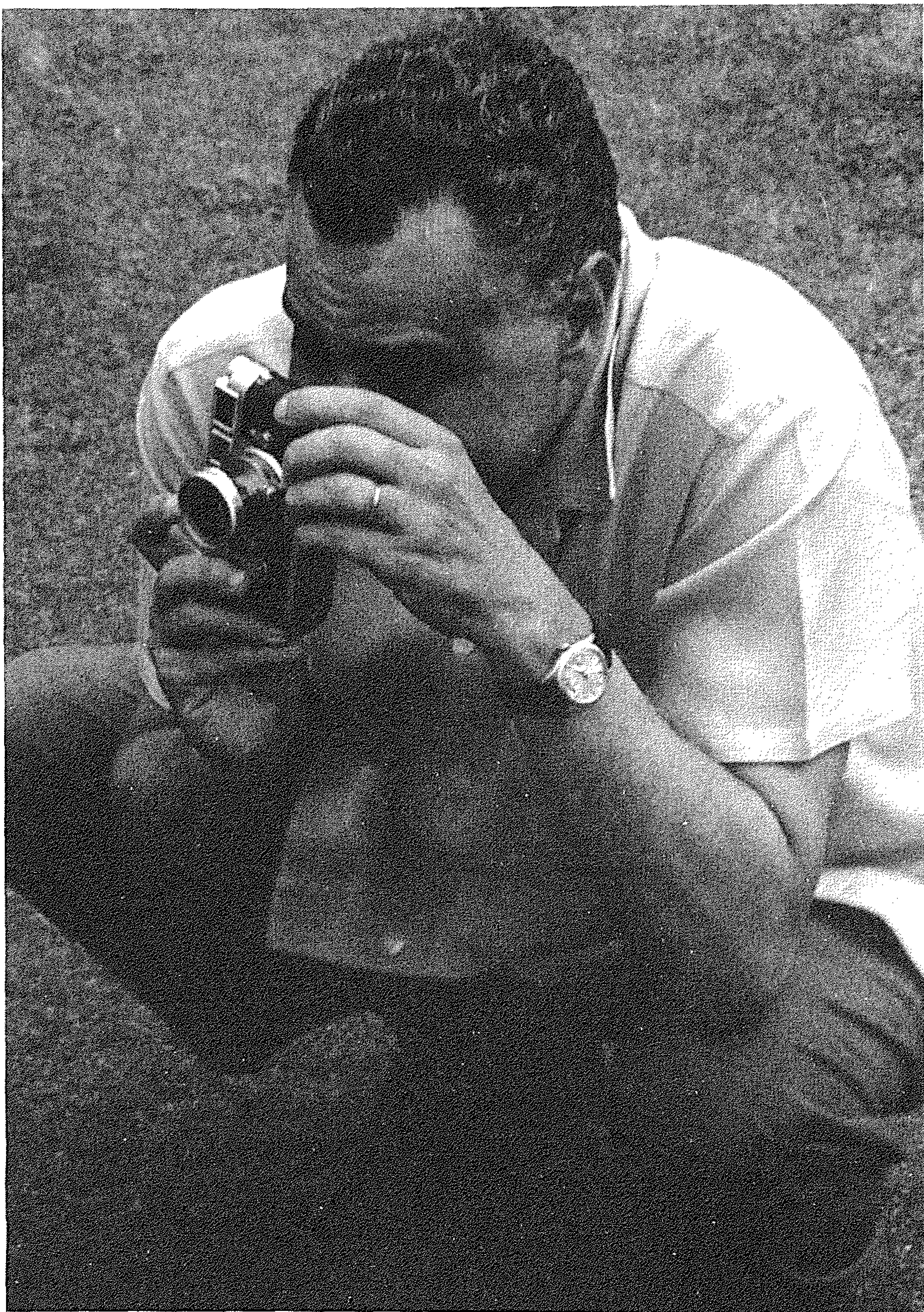
مع حرمه في حديقة منشية البكري



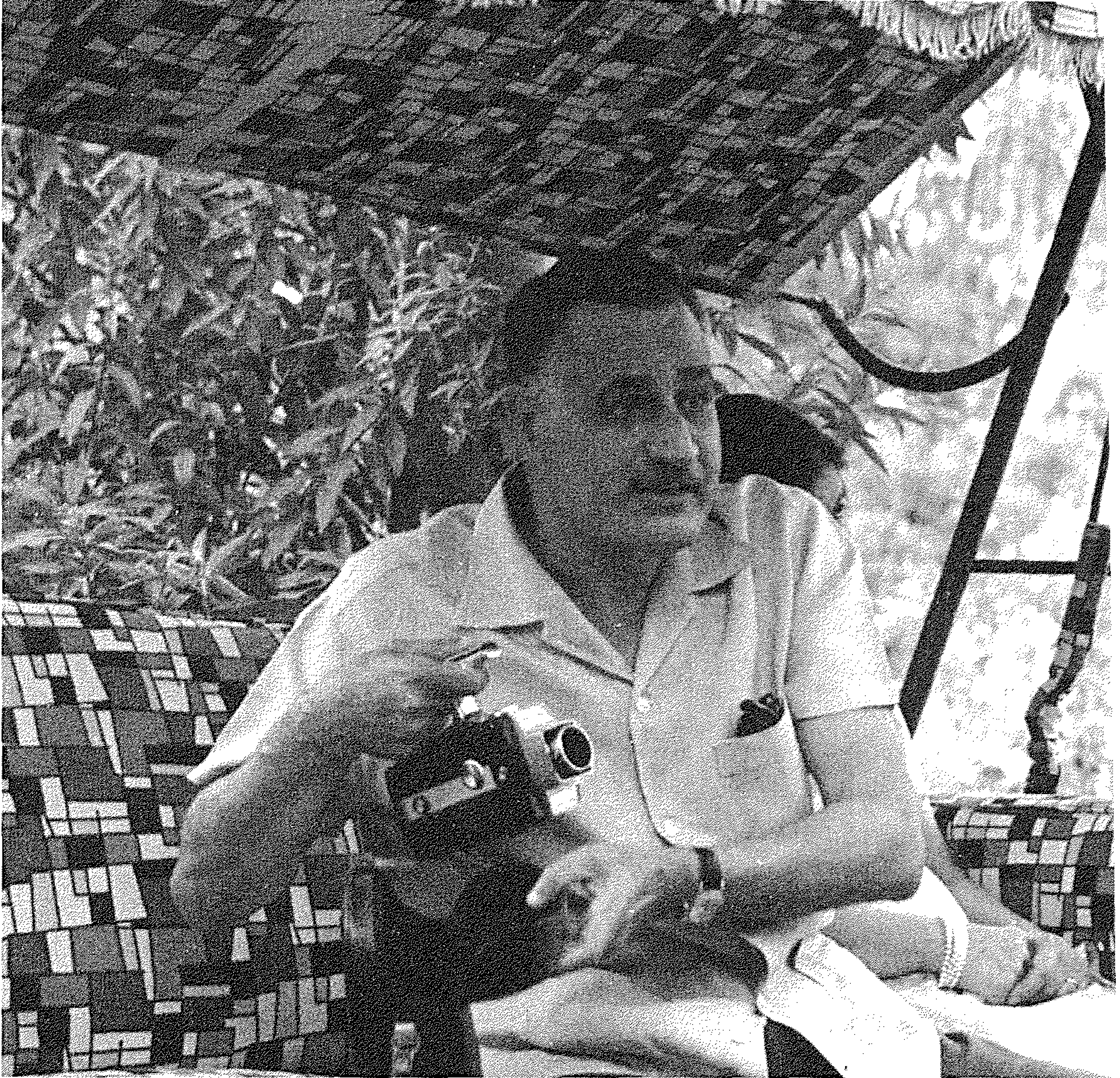
مع أولاده وأحفاده في حديقة استراحة القناطر



الرئيس وحرمه وهي تحمل هالة في منشية البكري



يصور في حديقة منشية البكري



في يده الكاميرا في حديقة منشية البكري



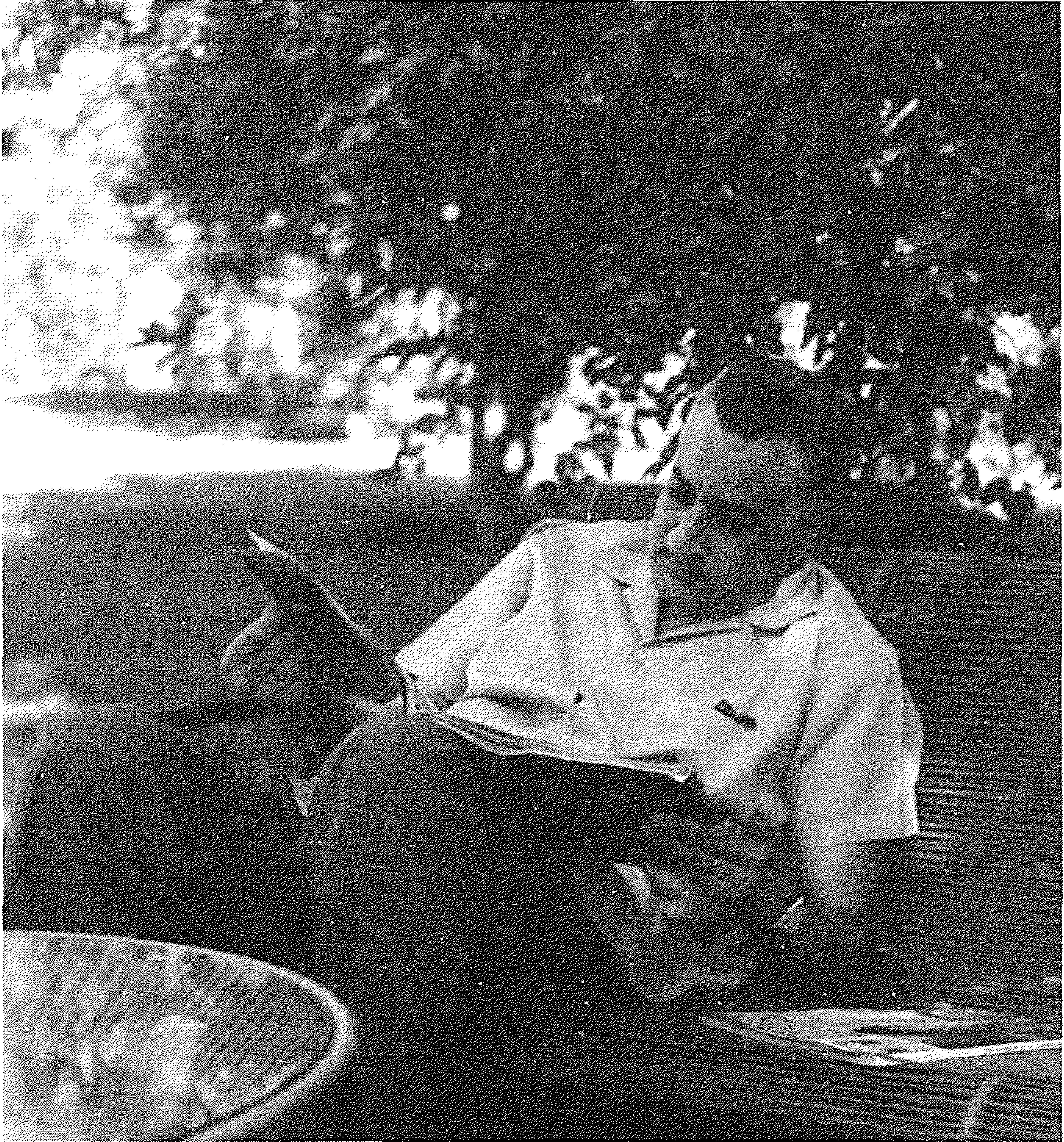
هواية التصوير السينمائي



مع حفيدته هالة في منشية البكري



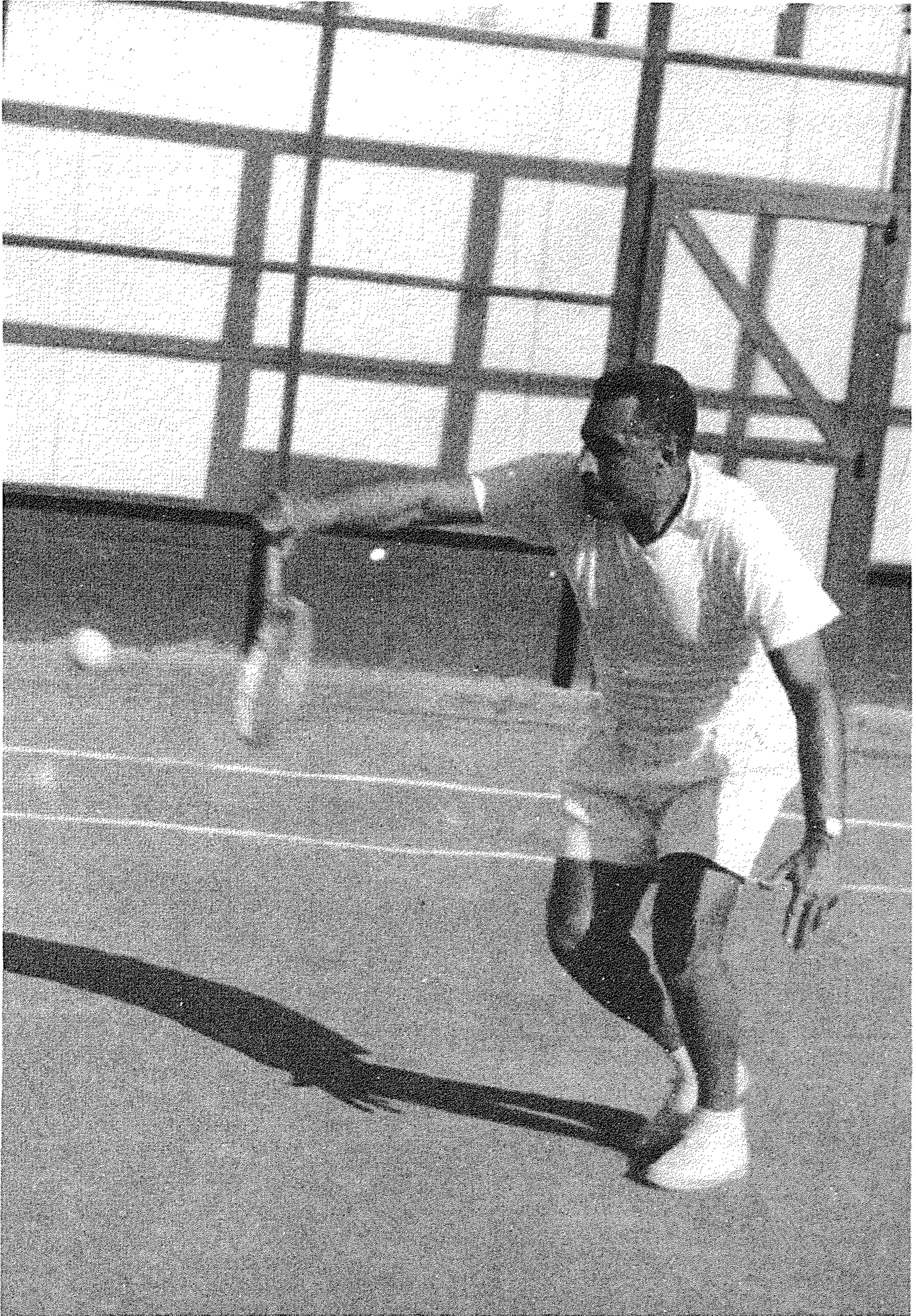
مع أحفاده في منشية البكري



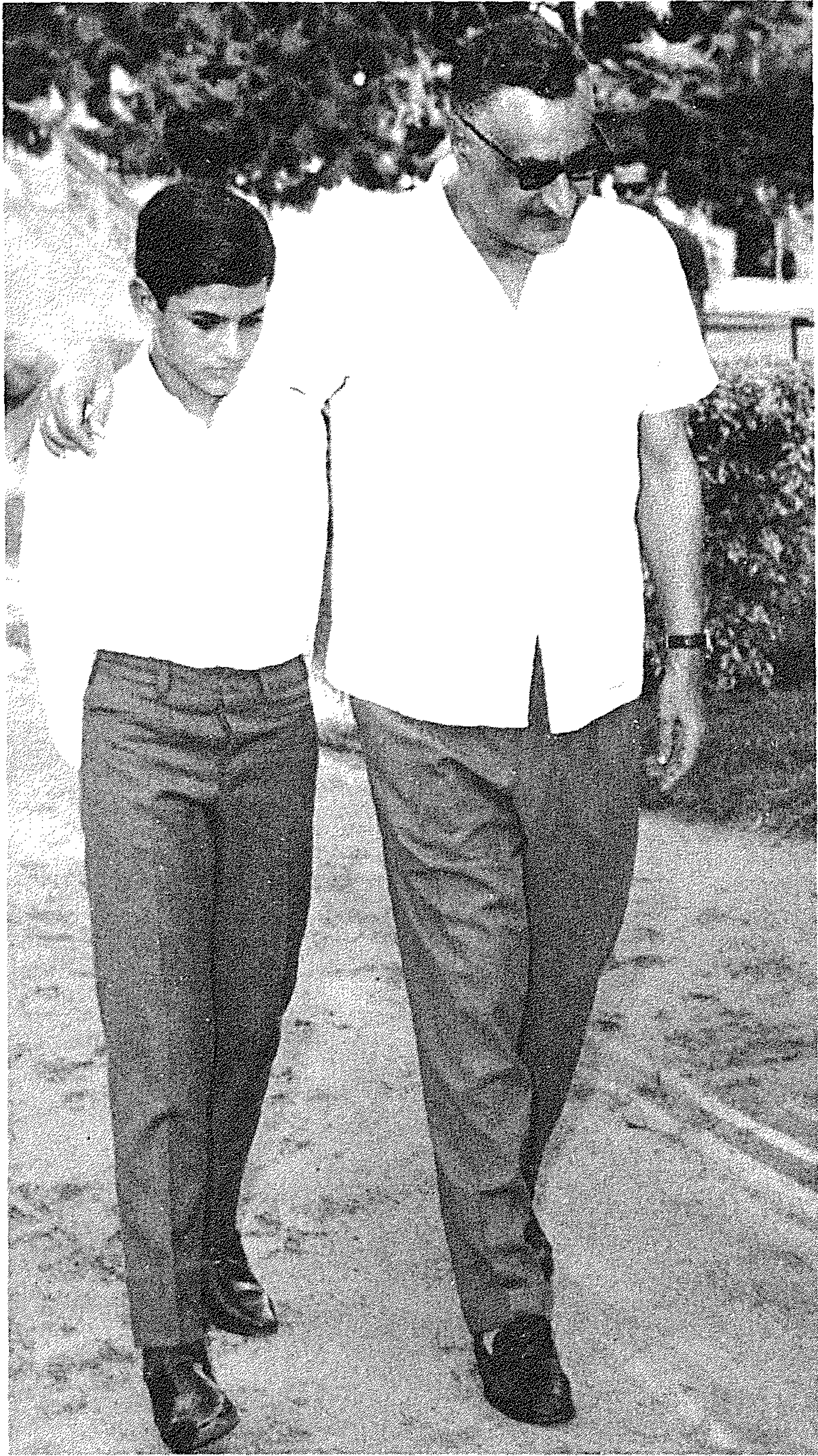
الرئيس يقرأ في حديقة منشية البكري ١٩٦٨



يتمشى في الحديقة



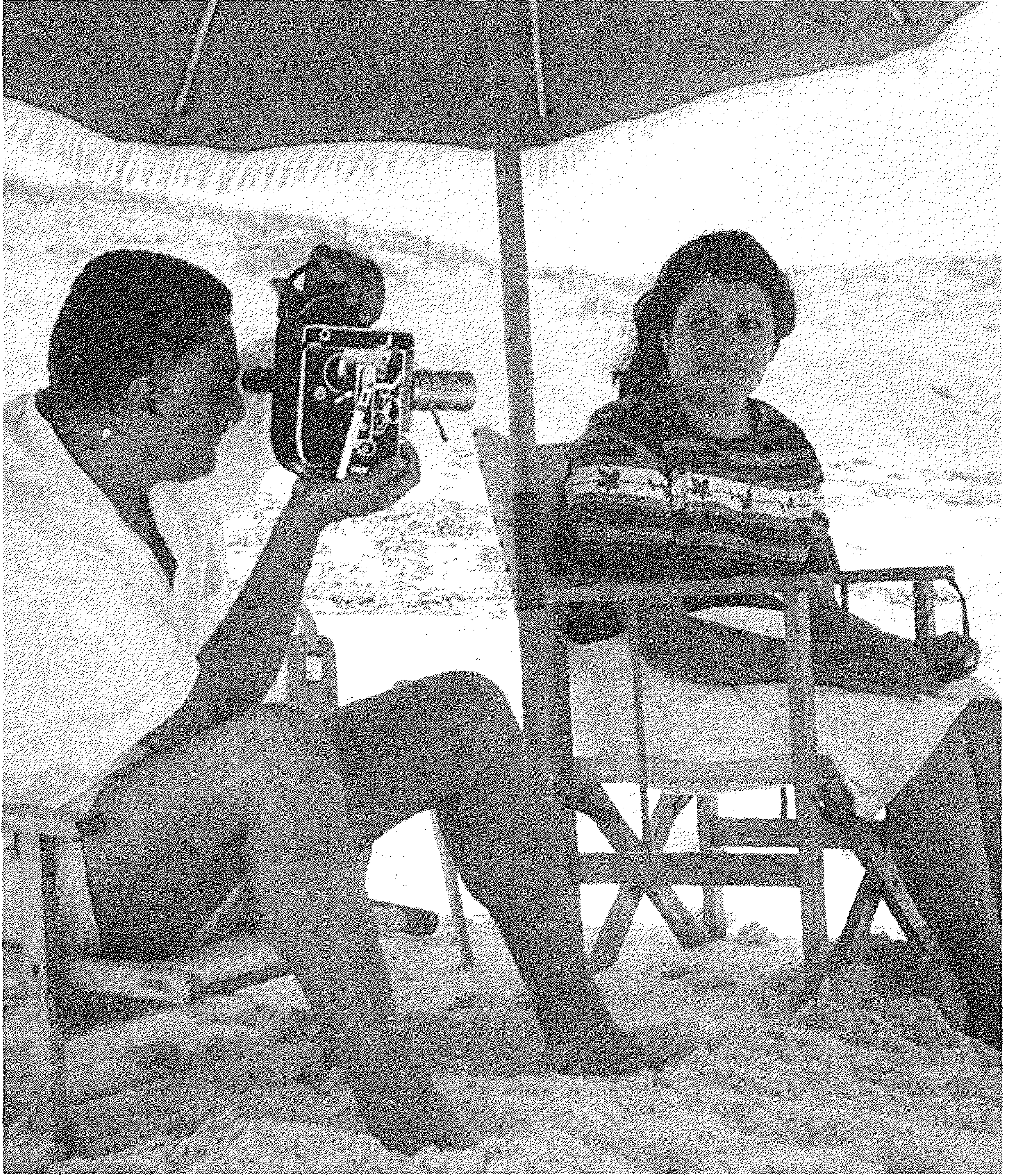
يلعب التنس



مع حكيم في القناطر الخيرية



في رحلة في البحر الأحمر



معه على الشاطئ في برج العرب



عيد ميلاد حكيم



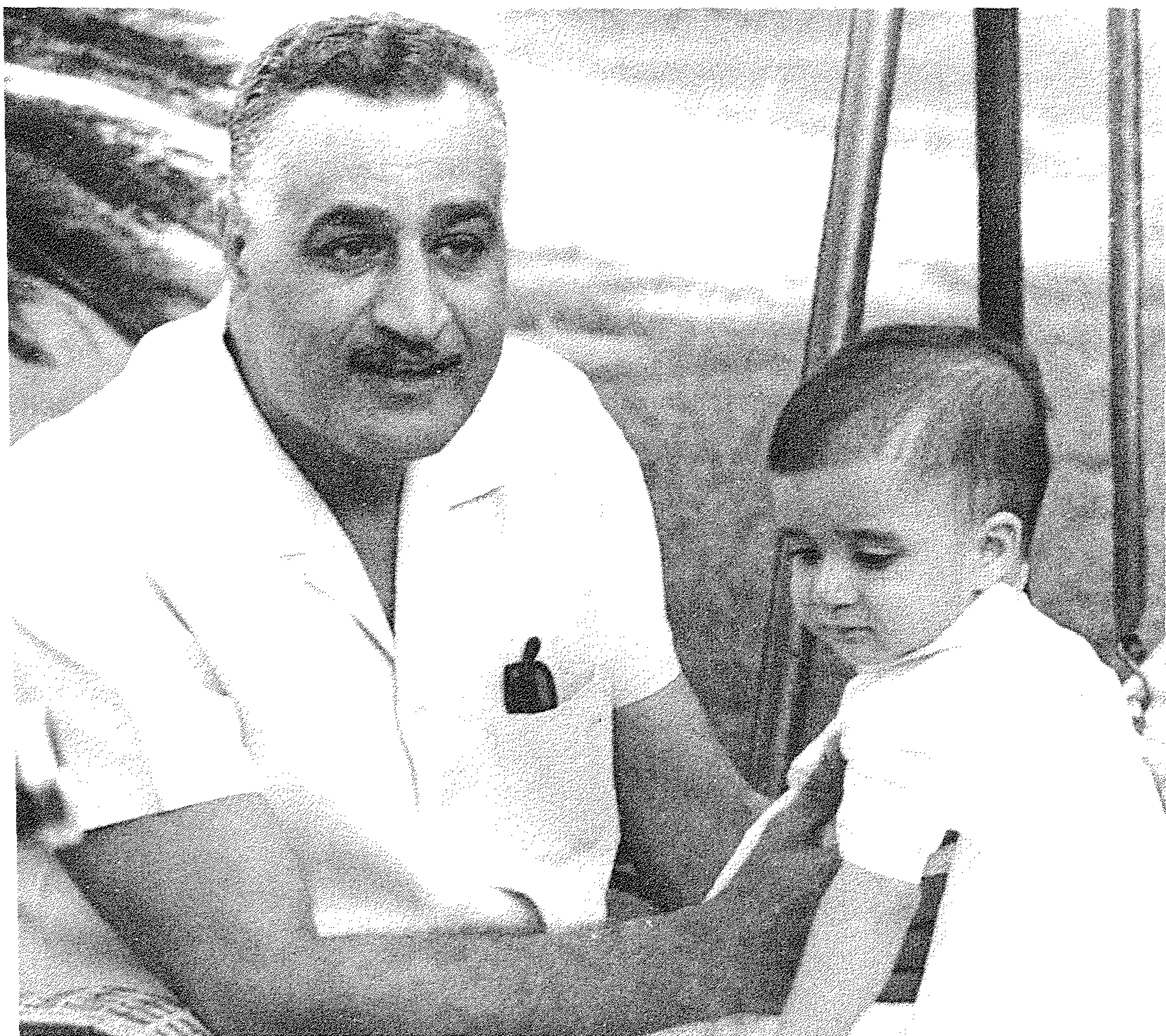
هي وعبد الحميد



مع تحية في القناطر الخيرية



مع أولاده في حديقة منشية البكري



يحمل هالة في حديقة القناطر ١٩٦٨

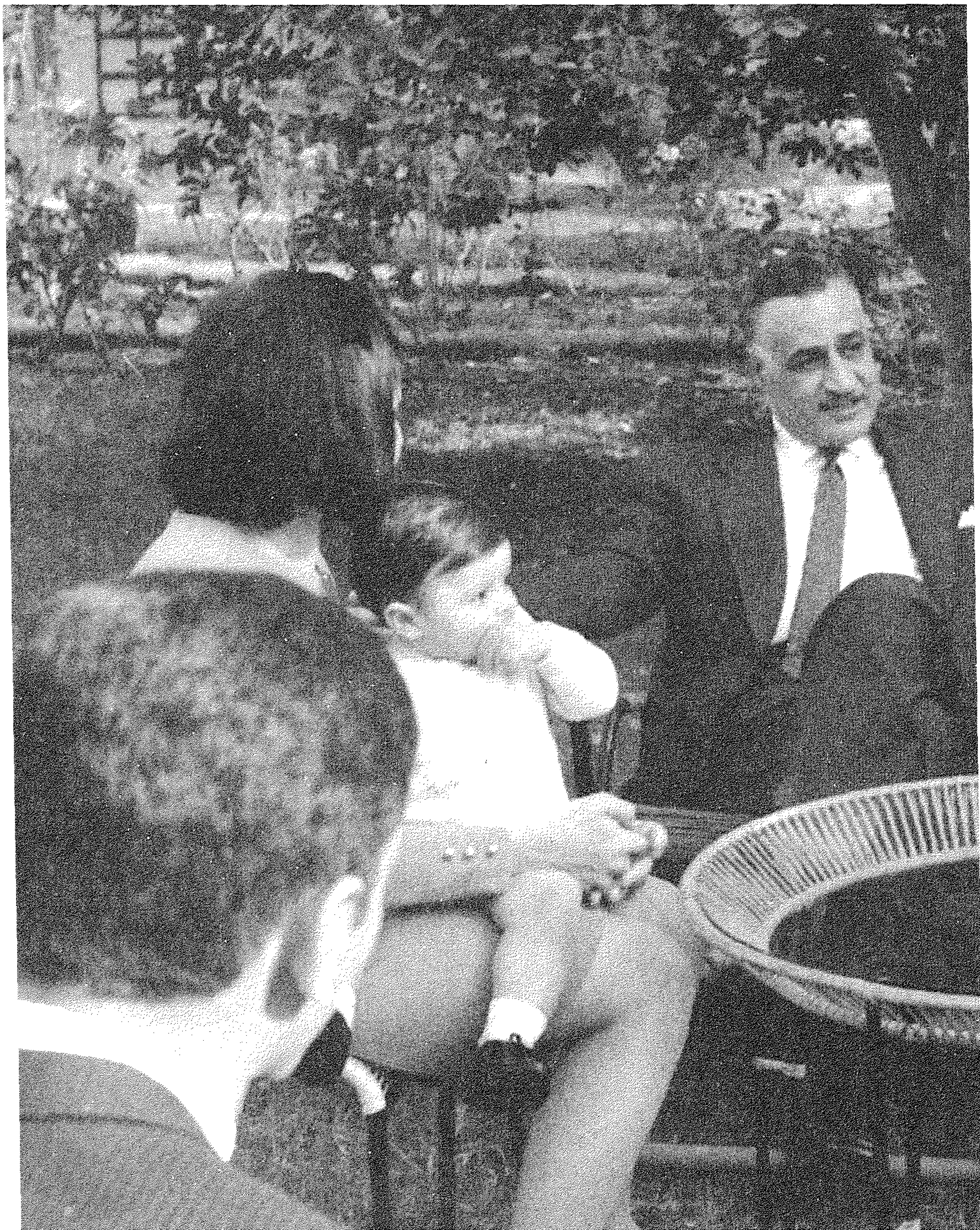


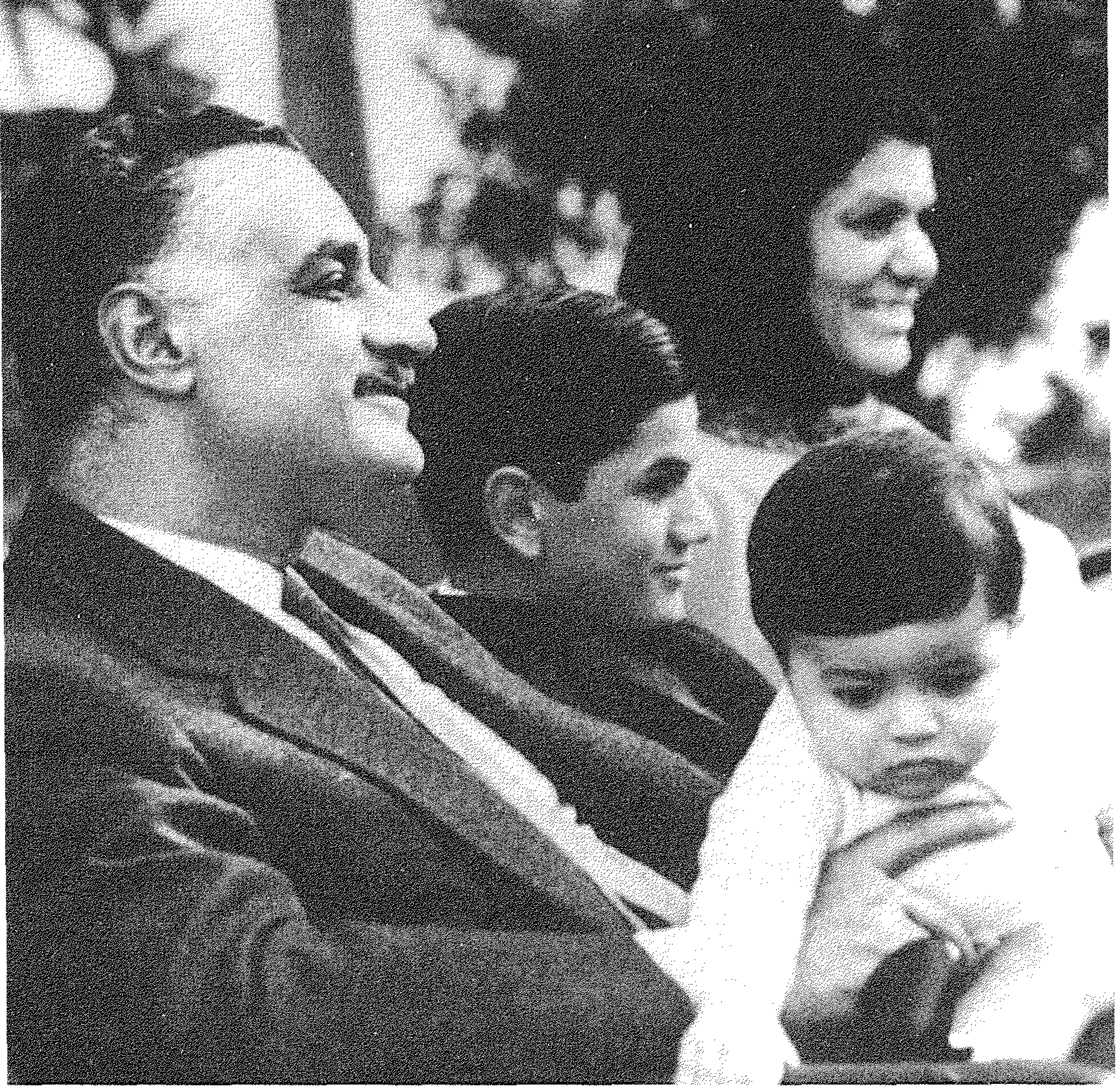
مع جمال أول حفيد





مع أسرته في حديقة منشية البكري

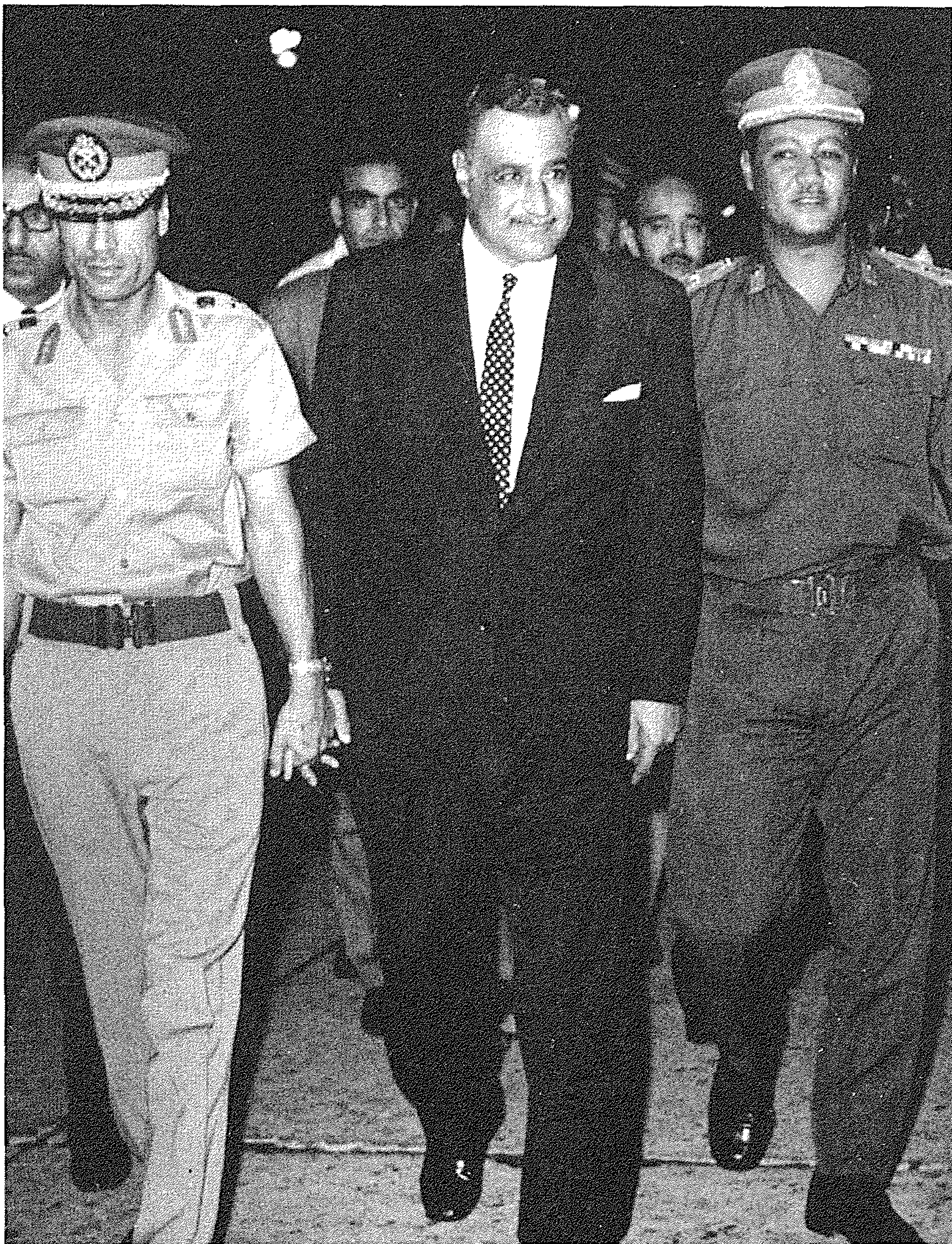




مع أسرته في حديقة منشية البكري



مع عبد الحميد الطالب بالكلية البحرية



مع العقيد معمر القذافي والرئيس النميري في مؤتمر القمة العربي في سبتمبر ١٩٧٠



مع الملك فيصل وياسر عرفات في مؤتمر القمة العربي في سبتمبر ١٩٧٠




آخر صورة في وداع أمير الكويت في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠


لقطات من الجنازة






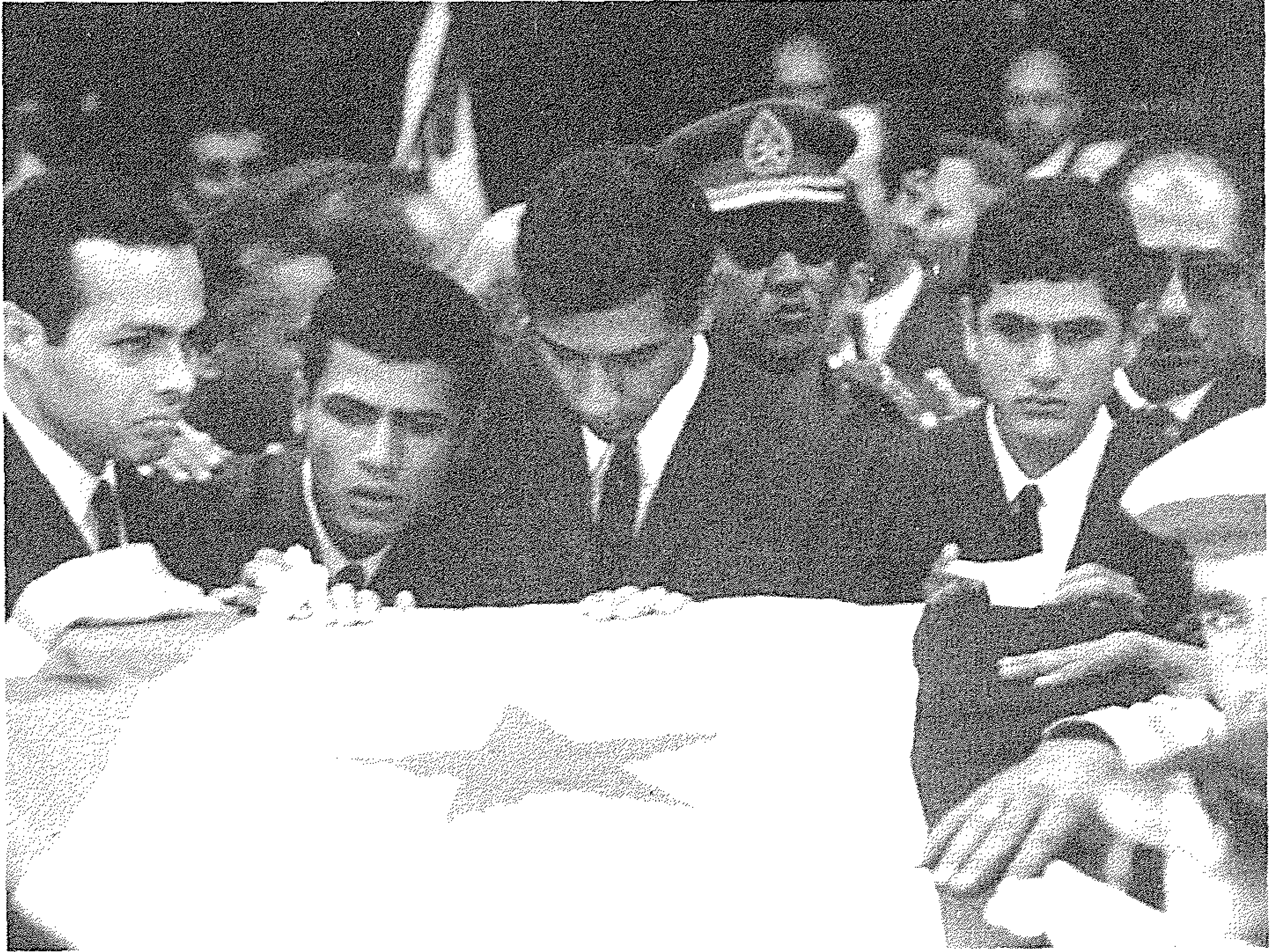






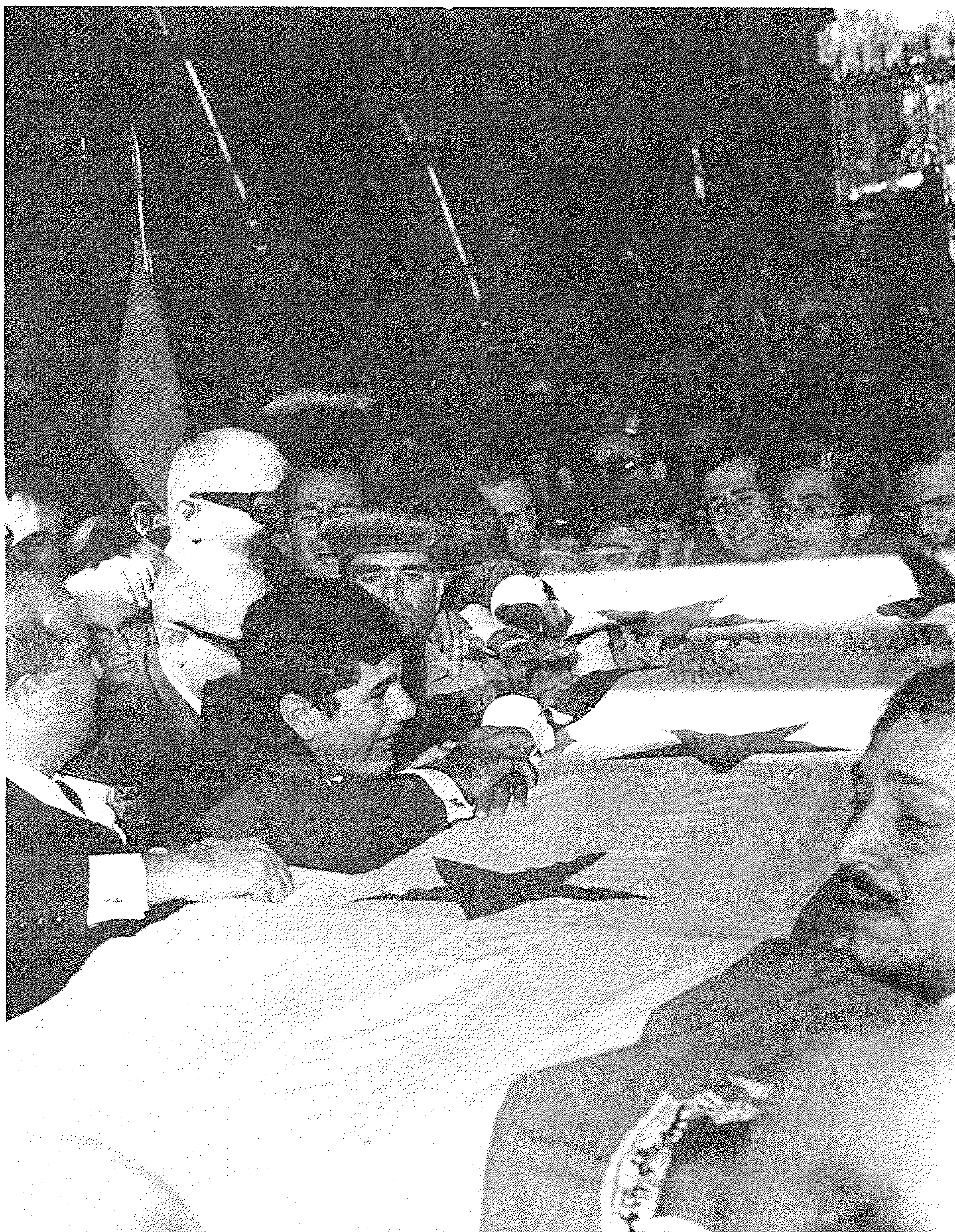






أولاده عند بدء الجنازة





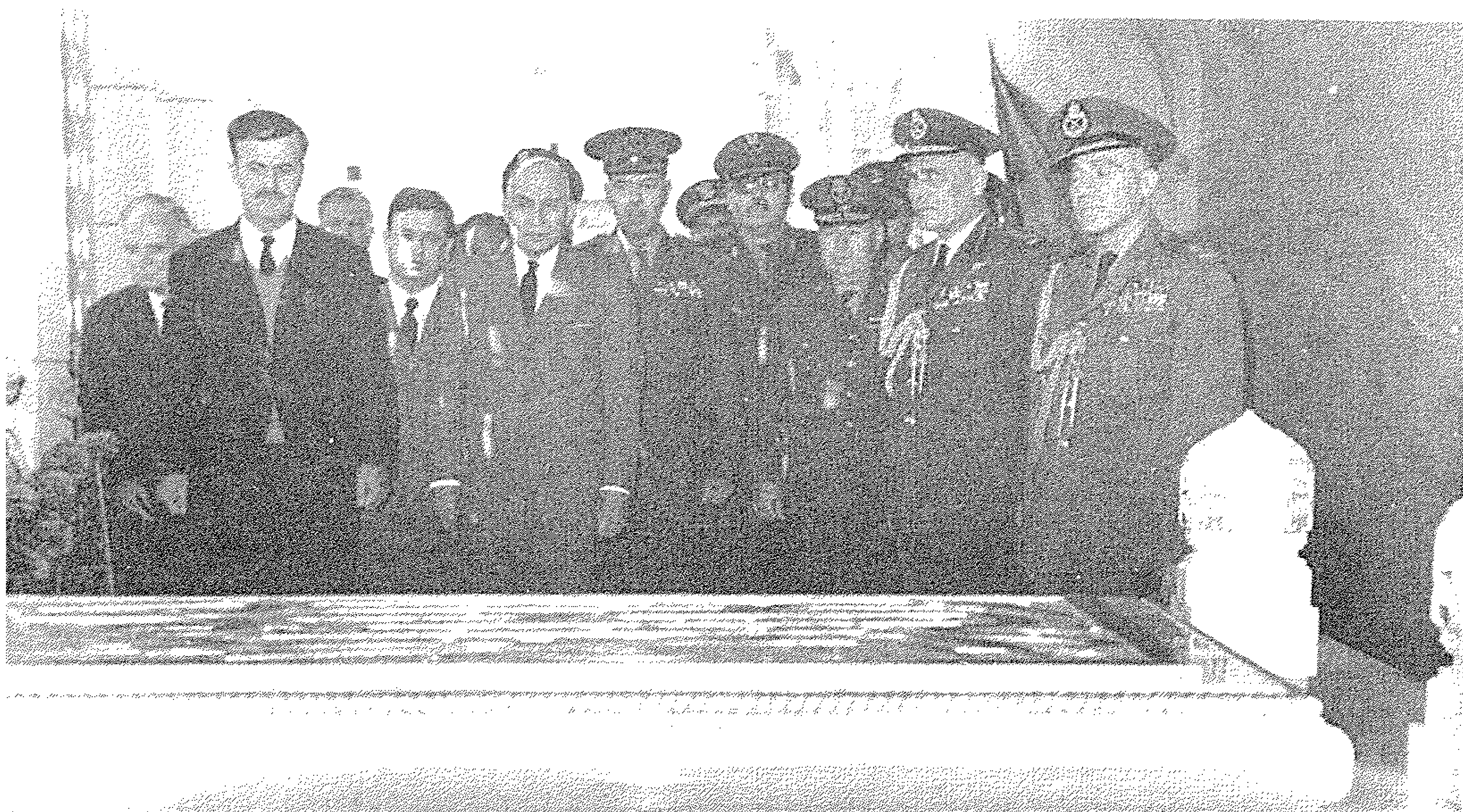
حكيم يبكي والده



إنديرا غاندي تضع باقة من الأزهار على ضريحه



العقيد معمر القذافي يزور ضريحه



حافظ الأسد أمام الضريح




ياسر عرفات يقرأ
الفاتحة أمام الضريح




قل هو الله احد الله الصمد لم يلد









في هذا الكتاب الذي يُعدُّ واحدًا من أهم السير الذاتية التي صدرت في السنوات الأخيرة تظهر زوجة عبد الناصر للمرة الأولى شاهدة على الأحداث التي مرت بها مصر منذ حرب فلسطين ١٩٤٨ وحتى رحيل عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

تأتي هذه المذكرات التي كُتبت بعفوية آسرة وبأسلوب بسيط شيق مزيجًا من السيرة الذاتية والعائلية، غير أنها وهي تسرد محطات حياتها مع الزعيم الراحل تكشف الغطاء عن مواقف وأحداث سياسية لا تزال محاطة بغلالة من الغموض، بحيث تضيف جديدًا وم

وتُقدم - ضمن ما تُقدم - قراءة عن كثب لتفاصيل العلاقة الإنسانية بين وأعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢.

حاولت تحية عبد الناصر كتابة مذكراتها مرتين، الأولى في حياته، والثانية لم تقوَ على المواصلة فمزقت ما خطت يدها، حتى كانت المحاولة الثالثة في الذ «الرئيس» كما كانت تسميه، فكتبت.. بخط يدها.





دار الشروق
www.shorouk.com